الحياة الاجتماعية عند العرب في شمال ووسط الجزيرة العربية

في فترة ما قبل الإسلام وعصر الرسول

(٥٠٠ ــ ٦٣٢) م

إعداد

محمود محمد أحمد عدوي

المشرفة

الدكتورة غيداء خزنة كاتبي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات درجة الدكتوراه في

التاريخ

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار ٢٠٠٣

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ٢٧ ــ ٥ ــ ٢٠٠٣

أعضاء لجنة المناقشة التوقيع

الدكتورة غيداء خزنة كاتبي رئيسة

الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري عضوا

الأستاذ الدكتور أحمد الحسو عضوا

الأستاذ الدكتور صالح درادكة عضوا

شكر وتقدير

يسعدني أن أتقدم بوافر الشكر والامتنان إلى الدكتورة الفاضلة غيداء خزنة كاتبي على تفضلها بقبول الإشراف على هذه الرسالة ، وقراءتها لفصولها ، وإعطائي الملاحظات القيمة التي كان لها أثرها الكبير في إثراء فصولها ، وعلى ما بذلته من جهد موصول في توجيهي وإرشادي أثناء إعدادها ، حيث كان لتوجيهاتها وإرشاداتها ونصائحها نتائجها الإيجابية المباركة فيها .

كما أتقدم بالشكر إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة : الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري ، والأستاذ الدكتور أحمد الحسو ، والأستاذ الدكتور صالح درادكة ، على تفضلهم بقراءة الرسالة وتحملهم عناء تدقيقها .

المحتويات

ملخص

الحياة الاجتماعية عند العرب في شمال ووسط الجزيرة العربية

في فترة ما قبل الإسلام وعصر الرسول

(٥٠٠ ــ ٦٣٢) م

إعداد

محمود محمد أحمد عدوي

المشرفة

الدكتورة غيداء خزنة كاتبي

يهدف هذا البحث إلى دراسة الحياة الاجتماعية عند العرب في شمال ووسط الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام وعصر الرسول . يعتمد هذا البحث على المعلومات التي تزودنا بها المصادر الأولية المتنوعة : القرآن الكريم ، وكتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ والجغرافيا والشعر الجاهلي والأدب واللغة .

لقد خصص الفصل الأول لدراسة العوامل التي أثرت في تكوين وطبيعة المجتمع من خلال دراسة الأوضاع الجغرافية والسياسية والاقتصادية والدينية في المنطقة المدروسة في الفترة المدروسة ، وخصص الفصل الثاني لدراسة الوحدة الاجتماعية في هذا المجتمع المعروفة باسم القبيلة ، والعلاقات بين القبائل التي تؤدي إلى نشوء تجمعات قبلية أكبر من مستوى القبيلة ، والتسميات التي كانت تطلق على القبائل ، ودراسة توزيع السلطة فيها ، والمناصب المؤثرة فيها سواء على مستوى القبيلة ، أم على مستوى أوسع ، وخصص الفصل الثالث لدراسة الفئات الاجتماعية التي كان يتكون منها هذا المجتمع ، وخصص الفصل الرابع لدراسة كيفية تكون الأسرة ، وأنواع الزواج ، وكيفية انحلال الرابطة الزوجية ، وبعض المظاهر الاجتماعية المتعلقة بالأسرة ، وأوضاع المرأة في الأسرة ودورها ، وخصص

الفصل الخامس لدراسة العادات والتقاليد التي عرفها العرب في هذه الفترة ، ودراسة القيم السائدة في هذا المجتمع ، ودراسة الاحتفالات والأعياد التي عرفها العرب في هذه الفترة وارتباط هذه الاحتفالات والأعياد بمناسبات دينية واقتصادية واجتماعية ودراسة وسائل الترويح والتسلية التي عرفها العرب في هذه الفترة ، وخصص الفصل السادس لدراسة وسائل المعيشة التي عرفها العرب في هذه الفترة ، وذلك من خلال دراسة المساكن وأنواع الأطعمة والأثاث والملابس التي عرفها العرب في هذه الفترة ومدى تنوعها .

الرموز والمختصرات

تورد الإشارات إلى أسماء المصادر والمراجع في الهوامش مختصرة بجزء دال من اسم المؤلف وجزء دال من اسم الكتاب ، مع ذكر الجزء والصفحة .

مثال : البلاذري ــ أنساب ، ج ٣ ، ص ٥٢ .

تكتب عبارة المصدر نفسه ، الجزء ، الصفحة ، عندما تتوالى الإشارات إلى المصدر نفسه في الصفحة الواحدة .

مثال : المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٠٢ .

E.I2 : Encyclopaedia of Islam , second edition .

vol : volume

p : page

ج : جزء

ع : عدد

هـ : هجرية

م : ميلادية

د . ت . : دون الإشارة إلى تاريخ الطبع

ط : الطبعة

ت : تاريخ الوفاة

ملخص

الحياة الاجتماعية عند العرب في شمال ووسط الجزيرة العربية

في فترة ما قبل الإسلام وعصر الرسول

(٥٠٠ ــ ٦٣٢) م

إعداد

محمود محمد أحمد عدوي

المشرفة

الدكتورة غيداء خزنة كاتبي

يهدف هذا البحث إلى دراسة الحياة الاجتماعية عند العرب في شمال ووسط الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام وعصر الرسول . يعتمد هذا البحث على المعلومات التي تزودنا بها المصادر الأولية المتنوعة : القرآن الكريم ، وكتب التفسير والحديث والسيرة والتاريخ والجغرافيا والشعر الجاهلي والأدب واللغة .

لقد خصص الفصل الأول لدراسة العوامل التي أثرت في تكوين وطبيعة المجتمع من خلال دراسة الأوضاع الجغرافية والسياسية والاقتصادية والدينية في المنطقة المدروسة في الفترة المدروسة ، وخصص الفصل الثاني لدراسة الوحدة الاجتماعية في هذا المجتمع المعروفة باسم القبيلة ، والعلاقات بين القبائل التي تؤدي إلى نشوء تجمعات قبلية أكبر من مستوى القبيلة ، والتسميات التي كانت تطلق على القبائل ، ودراسة توزيع السلطة فيها ، والمناصب المؤثرة فيها سواء على مستوى القبيلة ، أم على مستوى أوسع ، وخصص الفصل الثالث لدراسة الفئات الاجتماعية التي كان يتكون منها هذا المجتمع ، وخصص الفصل الرابع لدراسة كيفية تكون الأسرة ، وأنواع الزواج ، وكيفية انحلال الرابطة الزوجية ، وبعض المظاهر الاجتماعية المتعلقة بالأسرة ، وأوضاع المرأة في الأسرة ودورها ، وخصص

الفصل الخامس لدراسة العادات والتقاليد التي عرفها العرب في هذه الفترة ، ودراسة القيم السائدة في هذا المجتمع ، ودراسة الاحتفالات والأعياد التي عرفها العرب في هذه الفترة وارتباط هذه الاحتفالات والأعياد بمناسبات دينية واقتصادية واجتماعية ودراسة وسائل الترويح والتسلية التي عرفها العرب في هذه الفترة ، وخصص الفصل السادس لدراسة وسائل المعيشة التي عرفها العرب في هذه الفترة ، وذلك من خلال دراسة المساكن وأنواع الأطعمة والأثاث والملابس التي عرفها العرب في هذه الفترة ومدى تنوعها .

مقدمة

تمثل الفترة السابقة للإسلام في التاريخ العربي الخلفية التاريخية والحضارية للتحول التاريخي الأكثر أهمية في التاريخ العربي ، فالبيئة العربية قبل الإسلام هي البيئة التي ظهر فيها الإسلام ، ومن ثم فإن دراسة هذه المرحلة ، تزود بفهم أفضل لهذا التحول ، كما أنها تمثل الخلفية التاريخية للتعاليم الإسلامية ، فهي البيئة التي تقبلت الإسلام وتشريعاته ، ولا بد أن تكون هذه البيئة محتوية على عناصر أدت إلى حدوث التحول بسهولة ويسر .

إن تراث فترة الرسالة الإسلامية هو الجزء الأكثر أهمية في التراث الإسلامي ، فإلى جانب قيمته التاريخية البحتة ، فقد صار يمثل موجها للمسلمين في المراحل التالية من تاريخهم ، وأصبح لا بد من الاستناد إليه في اتخاذ مواقف من المتغيرات الحضارية التي واجهها المسلمون في مسيرتهم التاريخية اللاحقة .

ومن ثم فإن الفهم الأفضل لتراث فترة الرسالة الإسلامية ، له جانبان من الأهمية : الجانب التاريخي البحت ، والجانب المستقبلي الذي لا يزال قائما حتى الآن .

والصورة التي وصل فيها تراث الرسالة الإسلامية هي عن طريق اللغة ، وهذه اللغة هي نفسها اللغة العربية التي كانت مستخدمة في الفترة السابقة للإسلام ، ومن ثم فإن التراث العربي قبل الإسلام وتراث فترة الرسالة ، يشتركان في الصورة التي وصلا فيها ، ومن ثم فإن التراث العربي قبل الإسلام يمثل العمق بالنسبة لتراث فترة الرسالة ، ومن هنا يكتسب التراث العربي قبل الإسلام أهمية أخرى إلى جانب أهميته التاريخية البحتة .

ولكن التراث العربي قبل الإسلام لم يصل وحدة واحدة ، حيث أن محاولة إعطاء صورة متكاملة عن الفترة السابقة للإسلام اقتصرت على جوانب محدودة ، سياسية في معظمها ، تتمثل في أسماء الملوك ، وشجرات الأنساب ، والتي تغوص بسرعة في أعماق الماضي لدرجة تفقدها مصداقيتها في كثير من الأحيان ، عدا عن تأثرها بالميول والنزعات

المختلفة ، عندما يشكل هذا الماضي القابل للتزييف بسهولة ــ نتيجة أسلوب انتقال المعرفة في ذلك العصر ــ مجالا لأهداف غير موضوعية .

أما الجانب الحياتي في التراث العربي قبل الإسلام ، فقد جاء منثورا في مواضع مختلفة من التراث المتجمع ، دون أن يكون هذا الجانب موضعا للاهتمام بحد ذاته إلا في قليل من الأحيان .

لقد جاء هذا البحث لدراسة جزء من الجانب الحياتي في التراث العربي قبل الإسلام ، وهو موضوع الحياة الاجتماعية ، من خلال المصادر الأولية العائدة لهذه الفترة المتمثلة في مختلف كتب التراث العربي الإسلامي ، فالمصادر التاريخية لم تخصص دراسة خاصة لهذا الموضوع لقلة اهتمامها به مقارنة باهتمامها بالنواحي السياسية ، وجاءت المعلومات حول هذا الموضوع على شكل إشارات مبعثرة ومشتتة في أنواع المصادر المختلفة ، لذلك فهذا البحث يهدف إلى تجميع هذه الإشارات من خلال المصادر الأولية ومحاولة إعطاء صورة متكاملة عن هذا الموضوع من خلال دراسة هذه المعلومات وفق منهج البحث التاريخي .

أما فيما يتعلق بالدراسات الحديثة فيلاحظ عدم وجود دراسة متخصصة في هذا الموضوع استندت إلى المصادر الأولية العائدة إلى هذه الفترة ودرست الموضوع على نحو متكامل ، حيث يمكن تصنيف الدراسات السابقة التي تعرضت للحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام وفي عصر الرسول إلى صنفين :

١ ــ دراسات جاءت ضمن كتب عامة تتعلق بدراسة عصر ما قبل الإسلام وعصر الرسول .

٢ ــ دراسات اهتمت بدراسة جوانب محددة من النواحي الاجتماعية عند العرب في فترة ما قبل الإسلام وعصر الرسول .

ومن هنا يلاحظ عدم وجود دراسة وافية ومتخصصة للحياة الاجتماعية عند العرب في فترة ما قبل الإسلام وعصر الرسول .

إن هذا البحث يهدف إلى محاولة سد النقص الموحود في الدراسات السابقة حول هذا الموضوع ومحاولة تقديم صورة متكاملة لهذا الموضوع من خلال دراسة العناصر التالية :

١ ــ دراسة العوامل التي أثرت في تكوين وطبيعة المجتمع من خلال دراسة الأوضاع الجغرافية والسياسية والاقتصادية والدينية في المنطقة المدروسة في الفترة المدروسة ، وهذا هو موضوع الفصل الأول .

٢ ــ دراسة الوحدة الاجتماعية في هذا المجتمع المعروفة باسم القبيلة ، والعلاقات بين القبائل التي تؤدي إلى نشوء تحمعات قبلية أكبر من مستوى القبلية ، والتسميات التي كانت تطلق على القبائل ، ودراسة توزيع السلطة في هذه القبائل ، والمناصب المؤثرة في القبائل سواء على مستوى القبيلة أم على مستوى أوسع ، وهذا هو موضوع الفصل الثاني .

٣ ــ دراسة الفئات الاجتماعية التي كان يتكون منها هذا المجتمع ، وهذا هو موضوع الفصل الثالث .

٤ ــ دراسة كيفية تكون الأسرة وأنواع الزواج ، وكيفية انحلال الرابطة الزوجية ، وبعض المظاهر الاجتماعية المتعلقة بالأسرة ، وأوضاع المرأة في الأسرة ودورها ، وهذا هو موضوع الفصل الرابع .

٥ ــ دراسة العادات والتقاليد التي عرفها العرب في هذه الفترة ، ودراسة القيم السائدة في هذا المجتمع ، دراسة الاحتفالات والأعياد التي عرفها العرب في هذه الفترة وارتباط هذه الاحتفالات والأعياد بمناسبات دينية واقتصادية واجتماعية ودراسة وسائل الترويح والتسلية التي عرفها العرب في هذه الفترة ، وهذا هو موضوع الفصل الخامس .

٦ ــ دراسة وسائل المعيشة التي عرفها العرب في هذه الفترة وذلك من خلال دراسة المساكن وأنواع الأطعمة والأثاث والملابس التي عرفها العرب في هذه الفترة ، وهذا هو موضوع الفصل السادس .

وهنا لا بد من الإشارة أن الباحث كان قد سبق أن درس موضوع " الملابس عند العرب في شمال ووسط الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام وعصر الرسول (٥٠٠ ـــ ٦٣٢) م " ، حيث كان هذا هو موضوع رسالته للماجستير ، لذلك جاء هذا الموضوع في هذه الرسالة موجزا ومختصرا ، ومن باب الاكتمال .

أما فيما يتعلق بالإطار المكاني للموضوع فقد تم حصره في شمال ووسط الجزيرة العربية ، إذ أن منطقة جنوب الجزيرة العربية نتيجة لطبيعتها الجغرافية وللعوامل المناخية مرت بمسيرة تاريخية مختلفة أدت إلى تكوين دول مستقرة فيها تركت آثارا ونقوشا بلغة مختلفة عن اللغة العربية السائدة في شمال ووسط الجزيرة العربية وهي اللغة العربية الجنوبية ، ومن ثم اقتصرت الدراسة على مناطق شمال ووسط الجزيرة العربية التي يمكن النظر إليها بأنها كونت وحدة ثقافية واحدة ، تمثلت بوحدة اللغة فيها ، ووحدة أسلوب انتقال التراث إلينا عن طريق المصادر العربية الإسلامية .

أما فيما يتعلق بالإطار الزماني للموضوع فقد تم حصره في القرن السادس الميلادي والثلث الأول من القرن السابع الميلادي ، إذ أن هذه هي الفترة الزمنية التي تعود إليها معظم المعلومات التي وصلتنا عن العرب قبل الإسلام عن طريق المصادر العربية الإسلامية ، وقد تم التوقف عند وفاة الرسول ، إذ أن السنتين الأخيرتين من عصر الرسول هما اللتان شهدتا بداية دخول معظم مناطق الجزيرة العربية في الإسلام ، ومن ثم فإن بداية التحول الحضاري في الجزيرة العربية الذي رافق دخول الجزيرة العربية في الإسلام بدأ في هذه الفترة ، ومن ثم يمكن القول أن نهاية عصر الرسول مثلت نهاية مرحلة في تاريخ الجزيرة العربية وبداية مرحلة جديدة .

المصادر والمراجع

دراسة وتحليل

تتناثر المعلومات الأولية لهذه الدراسة في جميع أنواع مصادر التراث الإسلامي ، ولذا فقد شكلت جميع أنواع المصادر الإسلامية مصادر لهذه الدراسة .

ويأتي على رأس هذه المصادر القرآن الكريم ، فالبيئة التي نزل فيها القرآن الكريم هي البيئة العربية قبل الإسلام ، ويهدف القرآن الكريم إلى إحداث تغيير في هذه البيئة ، وهذا التغيير في الدرجة الأولى هو تغيير ديني ، ويتبع هذا التغيير الديني تغيير اجتماعي ، ومن ثم نجد في القرآن الكريم تشريعات تتناول النواحي الاجتماعية خصوصا فيما يتعلق بالأسرة والعادات الاجتماعية ، وهذه التشريعات تهدف إلى إحداث تغيير مرغوب فيه في المجتمع ، فعندما ينهى القرآن الكريم عن شيء ، فهذا يدل على وجوده في المجتمع ، كما أن القرآن الكريم عندما يرسم صورة الجنة ، ويحث الناس على العمل من أجل الوصول إليها ، فهو يرسم الصورة المرغوبة لدى العرب من حياة مترفة ، فهو من هذه الناحية يصور الحياة لدى الطبقات المترفة في المجتمع العربي قبل الإسلام .

ولا بد لفهم آيات القرآن ومعرفة ظروف نزولها ، من العودة إلى كتب التفسير ، إذ أن آيات القرآن موجزة التعابير ، وتم اعتماد كتب التفسير المبكرة في تفسير الآيات بصورة أساسية ، وعلى رأسها كتاب جامع البيان للطبري ، ويتميز بغزارة معلوماته ، كما يتميز بعرضه الروايات المختلفة في أسباب نزول الآيات ، وبما أن أسباب النزول هي وقائع وأحداث كانت تجري في هذا المجتمع ، لذلك فهي تعطي صورة واضحة لهذا المجتمع .

ومن المصادر الأساسية لهذه الدراسة كتب الحديث ، وقيمة كتب الحديث تتمثل في ناحيتين ، فهي من ناحية مصدر للتشريعات الإسلامية ، وهي بهذا تكمل دور القرآن في هذه الناحية ، ومن ناحية أخرى تصوركتب الحديث ما كان يجري في المجتمع في ذلك الزمن ،

لذلك فإن كتب الحديث تعطي صورة حية للمجتمع العربي قبل الإسلام ، فقد احتوت معظم كتب الحديث المرتبة حسب الموضوعات على أبواب مخصصة للنواحي الاجتماعية ، فهناك أبواب للنكاح والطلاق والطعام والملابس وغيرها من المواضيع الاجتماعية ، عدا عن المعلومات المتعلقة بالنواحي الاجتماعية المنثورة في الأبواب الأخرى المختلفة ، وتم الاعتماد بصورة أساسية على كتب الحديث الستة في هذا المجال لقيمتها الواضحة من حيث دقة معلوماتها ، وكذلك كتب الحديث المشهورة مثل موطأ مالك، ومسند ابن حنبل ، وسنن الدارمي .

وتكمل كتب السيرة والمغازي دور كتب الحديث في هذا المجال ، فكتب السيرة والمغازي تصور المجتمع في ذلك الوقت ، وتتميز كتب السير والمغازي بترتيبها الزمني ، وإبرازها الترابط بين الأحداث المختلفة ، مما يجعل الصورة في كثير من الأحيان أكثر وضوحا ، وعلى رأس هذه الكتب سيرة ابن هشام الذي هو تهذيب لأقدم سيرة متكاملة وهي سيرة ابن إسحق ، وهو كتاب يعرض سيرة الرسول من المولد إلى الوفاة ، إضافة لمجموعة من الروايات التاريخية المتعلقة بفترة ما قبل الإسلام يبدأ بها الكتاب ، تتناول هذه الروايات بصورة أساسية أحوال مكة وقريش قبل البعثة ، وقد قدم هذا الكتاب معلومات قيمة للدراسة ، فالكتاب يعطي اهتماما كبيرا لتحديد المواقع الاجتماعية للأشخاص الذين يلعبون دورا في الأحداث من خلال اهتمامه الكبير بتحديد أنسابهم وأصولهم ، ومن ثم يمكن تصور الدور الاجتماعي المترتب على موقع الفرد الاجتماعي ، ويعطي الكتاب أهمية كبرى لتصوير الناحية الدينية عند العرب قبل الإسلام من خلال عرضه لأصنام العرب والديانات الأخرى الموجودة في المجتمع العربي قبل الإسلام ، وما يرافق هذه الديانات من مظاهر اجتماعية ، كما قدم الكتاب معلومات عن الأحلاف العربية قبل الإسلام ، والنزاعات القبلية المعروفة باسم أيام العرب ، كما أن تتبع أحداث الصراع الناشئ بين الرسول والبيئة العربية قبل الإسلام يقدم

معلومات قيمة تتعلق بالأوضاع القبلية ، كما يعرض هذا الكتاب لبعض النواحي الخاصة بحياة الرسول فيتحدث عن زوجاته وعلاقاته بهن ، ولهذه المعلومات قيمتها فيما يتعلق بالنواحي المتعلقة بالأسرة .

وهناك كتاب مغازي الواقدي ، وهو كتاب يعرض بصورة أساسية للتاريخ العسكري للرسول بعد الهجرة النبوية ، وهذا له أهمية كبرى في تصوير العلاقات القبلية ، كما أن التوسع الكبير في هذا الكتاب في عرض الأحداث ومحاولة تحديد إطاريها الزماني والمكاني ، يقدم معلومات تتناول جوانب اجتماعية أخرى ، فهو يقدم صورة حية للأشخاص ودورهم في الأحداث وعلاقة ذلك بمواقعهم الاجتماعية .

وكذلك فإن كتب التراجم والطبقات لها أهميتها ، فالروايات عندما تترجم للأشخاص ، فإنها لا تهمل الدور الاجتماعي للأشخاص ، وعلى رأس هذه الكتب كتاب طبقات ابن سعد ، ويتناول هذا الكتاب سيرة الرسول وسير الصحابة ، ويتميز هذا الكتاب عند عرضه للسيرة النبوية بإعطائه اهتماما كبيرا لتصوير النواحي الحياتية والشخصية لحياة الرسول ، فتحدث عن ملابس الرسول وأطعمته وزوجاته وسراريه وبيوته وممتلكاته، وكذلك صور النواحي الشخصية لحياة الصحابة الذين ترجم لهم ، مما جعل معلوماته التي قدمها في هذه المجالات ذات أهمية كبرى ، كما أنه خصص ترجمات للصحابيات ، وهذا قدم معلومات قيمة فيما يتعلق بالمرأة العربية قبل الإسلام ودورها الاجتماعي .

وأما كتب التاريخ العام ، فعلى الرغم من اهتمامها الأساسي عند عرضها لتاريخ العرب قبل الإسلام ، بالتاريخ السياسي وأسماء الملوك وشجرات الأنساب ، إلا أنه بالتدقيق في الروايات يمكن الوصول إلى بعض المعلومات المتعلقة بالنواحي الاجتماعية ، وعلى رأس هذه الكتب تاريخ الطبري ، فقد تعرض الطبري في كتابه لعلاقات بعض القبائل العربية مع الدول المجاورة من بيزنطيين وساسانيين وأحباش ، كما عرض لدول الأطراف فتحدث عن

المناذرة والغساسنة وعلاقاتها بالقبائل العربية ، كما تعرض لمكة قبل الإسلام وسيرة الرسول ، ومن ثم فقد قدم الطبري معلومات جيدة فيما يتعلق بالعلاقات القبلية .

ومن كتب التاريخ الأخرى التي كانت ذات أهمية في هذه الدراسة كتاب أخبار مكة للأزرقي ، ومعلوماته قيمة فيما يتعلق بتصوير الحياة الاجتماعية في مكة ، فتحدث عن العلاقات القبلية ، حيث عرض لعلاقة قريش بالقبائل الأخرى ، كما عرض للصراعات الداخلية في مكة ، والتطورات الاجتماعية التي رافقت التطورات الاقتصادية والدينية نتيجة دور مكة التجاري ، ودورها الديني .

وهناك كتاب المحبر لابن حبيب ، ومعلوماته فيما يتعلق بالنواحي الاجتماعية للعرب قبل الإسلام غزيرة وواسعة ، فقد تحدث عن القبائل العربية قبل الإسلام وأنسابها ، والأحلاف التي كانت تنشأ بين هذه القبائل ، وتحدث عن الأشخاص المشهورين من أشراف وحكام وأجواد ودهاة ، وهذا يعطي صورة للمكانة الاجتماعية لهؤلاء الأشخاص ، والقيم الاجتماعية السائدة في هذا المجتمع ، كما تحدث عن المواسم والأسواق ، والمظاهر الاجتماعية التي رافقتها ، كما تحدث عن الديانات العربية قبل الإسلام ، والأصنام ، وما رافق هذه الديانات من ظواهر اجتماعية ، كما أنه قدم معلومات عن الزواج والطلاق والرضاعة والميراث عند العرب قبل الإسلام ، كما قدم معلومات قيمة تتعلق بأوضاع المرأة العربية قبل الإسلام .

ولابن حبيب كتاب آخر هو كتاب المنمق في أخبار قريش ، وقد تميز هذا الكتاب بمعلومات فريدة ، خصوصا فيما يتعلق بالأحلاف التي دخلت فيها قريش ، والأشخاص الذين دخلوا في أحلاف مع القرشيين ، وأسباب ذلك المتعلقة بأوضاعهم الاجتماعية في قبائلهم السابقة ، ووضعهم الاجتماعي بعد تحالفهم مع قريش ، مما يعطي صورة واضحة للطبقات الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام .

ومن الكتب الهامة كتاب المعارف لابن قتيبة ، حيث تناولت عدة موضوعات لها علاقة بالمجتمع العربي قبل الإسلام ، ومنها المهن التي عمل بها الأشراف ، وهذا أفاد في تحديد النظرة الاجتماعية للمهن المختلفة ، كما تجدث عن السادة وعن الرقيق وهذا أفاد في موضوع الطبقات الاجتماعية .

وهناك كتاب تاريخ اليعقوبي ، وتميز الكتاب بتخصيص مباحث خاصة لموضوعات لها علاقة بالمجتمع العربي قبل الإسلام ، فتحدث عن أديان العرب وحكام العرب وأزلام العرب وشعراء العرب وأسواق العرب ، وعرض خلال حديثه عن هذه الموضوعات لكثير من المظاهر الاجتماعية المرافقة لها .

ومن الكتب الهامة كتاب مروج الذهب للمسعودي ، وقد خصص مباحث خاصة لديانات العرب قبل الإسلام وآراء العرب في الجاهلية والمعتقدات العربية القديمة ، وقد أفادت الدراسة كثيرا من المعلومات المتعلقة بالنواحي الاجتماعية من خلال هذه المواضيع .

وهناك كتاب الكامل في التاريخ وقد تميز هذا الكتاب عن كتب التاريخ العام بتخصيص مبحث خاص لأيام العرب ، وقد أفاد هذا المبحث الدراسة في إعطاء صورة عن العلاقات القبلية عند العرب قبل الإسلام .

ومن الكتب الهامة كتاب الأصنام لابن الكلبي ، وهوسجل للديانة الوثنية عند العرب قبل الإسلام ، وأفاد الدراسة في الحديث عن المظاهر الاجتماعية المصاحبة للطقوس الدينية عند العرب قبل الإسلام .

وهناك كتاب أيام العرب قبل الإسلام لأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وأفاد الدراسة في تصوير العلاقات القبلية عند العرب قبل الإسلام ، كما عرض لبعض المظاهر الاجتماعية المرافقة للأيام ، مثل السبي والرق .

وأما كتب الجغرافية فلها أهميتها ، فالجغرافية هي الإطار المكاني للأحداث ، حيث لا بد من إعطاء تصور لتوزع القبائل العربية في الجزيرة العربية قبل الإسلام ، وانعكاس البيئة الجغرافية على الأنماط المعيشية لهذه القبائل ، ومن أهم الكتب التي قدمت فائدة كبيرة لهذه الدراسة كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني ، فهو يربط الأماكن بالقبائل النازلة فيها ، كما أن ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان كان ذا فائدة كبيرة في هذا المجال ، فعند ذكره للأماكن كان يذكر أسماء القبائل النازلة فيها وبعض المعلومات التاريخية المتعلقة بها ، وكذلك فإن كتاب البكري معجم ما استعجم يقدم معلومات وافية عن أماكن نزول القبائل ، وعن تنقلاتها وعلاقاتها مع بعضها .

أما الشعر الجاهلي فهو مصدر هائل لكثير من المعلومات في هذه الدراسة ، إذ أن اهتمام الشعراء بتصوير النواحي الحياتية كان كبيرا ، ومن ثم فقد قدم الشعر معلومات قيمة فيما يتعلق بالنواحي الاجتماعية ، فصور ملابسهم وأطعمتهم ومساكنهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم والنواحي الأسرية ، ومن ثم كانت الدواوين الشعرية للشعراء الجاهليين والمجموعات الشعرية مثل المفضليات للمفضل الضبي ، والأصمعيات للأصمعي وجمهرة أشعار العرب للقرشي مصادر أساسية لهذه الدراسة .

وهناك كتب الأدب ، حيث تعرضت لأخبار العرب قبل الإسلام ، ويمكن من خلالها استخلاص الكثير من المعلومات المتعلقة بالنواحي الاجتماعية ، ومن أهمها كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وهو كتاب دفاع عن العرب ، ومن ثم فقد صور كثيرا من العادات العربية قبل الإسلام ، كما دافع عن القيم العربية قبل الإسلام ، كما عرض معلومات تتعلق بالأسواق والمواسم عند العرب قبل الإسلام .

وهناك كتاب الحيوان للجاحظ ، وهو كتاب موسوعي رغم أن عنوانه يدل على أن الهدف الأساسي من كتابه هو الحديث عن الحيوانات ، وقد عرض هذا الكتاب لكثير من

المعلومات المتعلقة بالنواحي الاجتماعية ، فتحدث عن الأحلاف ، والعادات الاجتماعية المتعلقة بالطعام والملابس ووسائل التسلية وغيرها من الأمور .

وهناك كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، الذي ترجم لكثير من الشعراء الجاهليين ، وكتاب عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، وهو كتاب موسوعي تناول كثرا من النواحي الاجتماعية فتحدث عن الملابس والطعام والعادات والتقاليد والنواحي الأسرية ، وهناك كتاب الأغاني للأصفهاني وهو كتاب غني بمعلواته حيث ترجم لكثير من الأشخاص الجاهليين وعرض كثيرا من النواحي الاجتماعية من خلال ذلك ، كما تحدث عن الكثير من أيام العرب ، ومن ثم فقد قدم معلومات ذات فائدة كبيرة للدراسة .

ومن الكتب الهامة كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، وقد خصص مباحث خاصة لأيام العرب تفيد في تصور العلاقات القبلية عند العرب قبل الإسلام ، كما عرض لكثير من المواضيع الاجتماعية ، فتحدث عن الأطعمة والأشربة ، وأفاد الدراسة فيما يتعلق بالعادات والتقاليد الاجتماعية ووضع المرأة عند العرب قبل الإسلام .

وأما كتب الأنساب فأفادت الدراسة بشكل كبير ، إذ أن تخصيص كتب خاصة للأنساب يدل على المكانة التي يشغلها النسب في البناء الاجتماعي العربي ، ومن بين هذه الكتب كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي ، ونسب قريش للمصعب الزبيري ، وجمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار ، وإضافة لعرض كتب الأنساب لسلاسل النسب التي تمثل تصور العرب للروابط بين القبائل المختلفة ، فقد قدمت كثيرا من الأخبار عند تعرضها للأشخاص الواردين في سلاسل النسب .

ويمثل كتاب أنساب الأشراف للبلاذري ، مصدرا هاما للدراسة فهو كتاب تاريخ ضمن إطار االنسب ، ومن ثم فقد أفاد من حيث كونه كتاب يرسي الأهمية الخاصة للنسب في البناء الاجتماعي العربي قبل الإسلام ، كما عرض للأحداث من خلال ترجمته للشخصيات

فوضح الدور الاجتماعي الذي لعبه الأفراد في المجتمع العربي قبل الإسلام ، كما خصص الكتاب مساحة واسعة للحديث عن سيرة الرسول ، وأعطى اهتماما خاصا عند عرضه للسيرة للنواحي الاجتماعية مثل زوجات الرسول وسراريه وبيوته وممتلكاته وبذلك قدم معلومات قيمة للدراسة في هذه الموضوعات ، كما أن البلاذري في هذا الكتاب عرض لبعض بأيام العرب ، وبذلك فقد قدم معلومات قيمة في هذا المجال .

وأما المعاجم اللغوية ، فقد تم اعتمادها لتفسير ما غمض من مصطلحات ، وهي على نوعين : معاجم مرتبة حسب الحروف ، وأهمها صحاح الجوهري ، ولسان العرب لابن منظور ، والقاموس المحيط للفيروزأبادي ، ومعاجم مرتبة حسب الموضوعات ، وأهمها التلخيص للعسكري ، حيث احتوى على فصول خاصة بالملابس والحلي والأطعمة والأشربة والأدوات المتعلقة بالحرف المختلفة ، إلا أنه يفتقر للأدلة الشعرية ، في معظم الأحيان ، مما استلزم البحث عن الشواهد التي تدعم الاستخدام الفعلي لهذه الأصناف خلال الفترة المدروسة ، وهناك كتاب المخصص لابن سيده الذي احتوى على فصول خاصة بالملابس والأطعمة وغيرها من المواضيع ، ومن ثم كانت له فائدته في هذه الدراسة .

وأما فيما يتعلق بالدراسات الحديثة ، فمن أهمها كتاب الألوسي بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب وهو كتاب حاول مؤلفه الإحاطة بأحوال العرب قبل الإسلام ، وقد نالت الحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام الكثير من اهتمام المؤلف ، فتحدث عن عادات العرب تقاليدهم واحتفالاتهم وأعيادهم ، كما عرض لنظام الأسرة عندهم ، إضافة لكثير من المواضيع الاجتماعية الأخرى .

ومن الكتب الهامة كتاب سعيد الأفغاني أسواق العرب ، حيث تعرض فيه لتجارة العرب قبل الإسلام ، وعرض أسواق العرب وما يرافقها من مظاهر اجتماعية .

وهناك كتاب جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، وقد تعرض جواد علي في هذا الكتاب في الجزءين الرابع والخامس إلى موضوع الحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام ، حيث قدم دراسة عامة وشاملة لهذا الموضوع ، إلا أنه أهمل الشعر وكتب الحديث كمصادر أساسية لهذه الدراسة .

وألف ظافر القاسمي كتاب الحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام ، وهذا الكتاب عبارة عن نصوص جمعها من كتاب الأغاني .

ودرس ويلكن في كتابه الأمومة عند العرب بعض الظواهر الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام مثل الزواج والميراث والوأد وغيرها من القضايا ، وحاول التوصل من خلال دراسته إلى مرور العرب قبل الإسلام بمرحلة ذات بنيان اجتماعي خاص أطلق عليها اسم مرحلة الأمومة .

كما درس سميث في كتابه Kinship and Marriage in Early Arabia مجموعة من الظواهر الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام وربط بينها وبين الظواهر الاجتماعية عند الأمم الأخرى كالمرحلة الطوطمية ومرحلة الأمومة ، فدرس العصبية والأنساب والزواج والطلاق والوأد وغيرها من الظواهر .

ودرس عبد السلام الترمانيني في كتابه الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام موضوع الزواج والأسرة عند العرب قبل الإسلام .

وهناك كتاب محمد محمود جمعة النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية ، إلا أنه يلاحظ في هذا الكتاب أن المؤلف ركز معلوماته على الأمم السامية الأخرى مقارنة بالعرب .

وألف أحمد محمد الحوفي كتابي الحياة العربية في الشعر الجاهلي والمرأة في الشعر العربي ، حيث رصد في هذين الكتابين مجموعة من الظواهر الاجتماعية من خلال الشعر الجاهلي .

وألف رؤوف شلبي كتاب المجتمع العربي قبل الإسلام ، إلا أنه يلاحظ في هذا الكتاب عدم التزام المؤلف بعنوان الكتاب ، فالكتاب لا يدرس الحياة الاجتماعية ، إنما يدرس البيئة التي ظهر فيها الإسلام ، واستعدادها لتقبل الدعوة الإسلامية .

وألفت ليلى صباغ كتاب المرأة في التاريخ العربي ، جيث درست في هذا الكتاب أوضاع المرأة العربية قبل الإسلام ، والدور السياسي والاجتماعي والافتصادي للمرأة في هذه الفترة .

الفصل الأول

تكوين المجتمع

العوامل التي أثرت في تكوين المجتمع

تتأثر طبيعة أي مجتمع بعدة عوامل تسهم في إعطاء هذا المجتمع صورته العامة ، كما أن تنوع هذه العوامل يؤدي إلى تشكيل تمايزات داخل هذا المجتمع ، بحيث يكتسب كل جزء منه طبيعته الخاصة ، وقبل البداية بدراسة المجتمع العربي في شمال ووسط الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي والثلث الأول من القرن السابع الميلادي لا بد من أخذ فكرة عن العوامل التي ساهمت في تكوين طبيعة هذا المجتمع ، ويمكن حصر هذه العوامل بالعامل الجغرافي والسياسي والاقتصادي والديني.

العامل الجغرافي

تشكل البيئة الجغرافية الإطار المكاني لأي مجتمع ، ولفهم طبيعة أي مجتمع لا بد من إعطاء فكرة عن جغرافية المنطقة التي يعيش فيها هذا المجتمع ، وأثر هذه البيئة في أنماط المعيشة في هذا المجتمع .

أطلق العرب على المنطقة التي سكنوها قبل الإسلام اسم جزيرة العرب (١) ، واحتفظت بهذا الاسم حتى بعد انتشار العرب إلى مناطق أخرى بعد الإسلام ، وقد حاول الجغرافيون العرب تعليل اقتصار تسمية بلاد العرب عليها ، فيذكر الهمداني أنها سميت بذلك لأن " اللسان العربي في كلها شائع وإن تفاضل " (٢) ، كما يذكر شيخ الربوة أنها سميت بذلك لأنه " لم يسكنها إلا العرب العاربة والمستعربة " (١) ، وهنا يلاحظ أن العرب نظروا إلى هذه المنطقة على أنها عربية خالصة دون بقية المناطق التي انتشروا فيها ، كما رأوا فيها الموطن

---

(١) الهمداني ــ صفة ، ص ١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١ .

---

(١) شيخ الربوة ــ نخبة ، ص ٢١٤ .

الأصلي لهم الذي لم يشاركهم فيه أحد غيرهم .

وقد حاول العرب تحديد حدود هذه الجزيرة ، ويبدو أن المحاولات الأولى كانت عبارة عن تحديد مواقع معينة تنحصر الجزيرة العربية بينها ، فيذكر ابن قتيبة في رواية أن طول الجزيرة العربية من أقصى عدن أَبْيَن إلى ريف العراق وعرضها من جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطرار (أطراف) الشام ([١]) ، وفي رواية ثانية أن جزيرة العرب ما بين نجران والعُذَيْب ([٢]) ، وفي رواية ثالثة أن جزيرة العرب ما بين حفر أبي موسى ([٣]) إلى أقصى اليمن في الطول ، وفي العرض ما بين رمل يَبْرين ([٤]) إلى السماوة ([٥]) ، بينما يذكر البكري في رواية أن جزبرة العرب تمتد من أقصى عدن أبين إلى أطرار (أطراف) الشام في الطول ، وفي العرض من جدة إلى ريف العراق ([٦]) ، ويذكر ابن صاعد أن حد الجزيرة العربية الشمالي هو أطراف الشام وجهات بلادها الجنوبية ما بين الحِجْر ودومة الجندل ([٧]) ، بينما يورد البكري أن جزيرة العرب ما بين قادسية الكوفة إلى حضرموت ([٨]) ، ويلاحظ أن هذه الروايات متقاربة ، والاختلاف بينها ينحصر في النقاط التي يرجع إليها في تحديد الجزيرة العربية ، كما يلاحظ أن هذه الروايات تتحدث عن نقاط تحصر الجزيرة العربية بينها ولا تتحدث عن حدود متصلة .

إلا أن روايات أخرى تتحدث عن حدود متصلة ، فيذكر الهمداني : " سميت بلاد العرب بالجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرارها (أطرافها) ، وصاروا

---

(١) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٥٦٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٦٦ ، انظر : الألوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ١٨٥ ، وتقع العذيب غرب الكوفة ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة العذيب ، ج ٤ ، ص ٩٢ .
(٣) يقع حفر أبي موسى غرب البصرة ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة حفر ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .
(٤) تقع يبرين قرب ساحل الخليج العربي ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة يبرين ، ج ٥ ، ص ٤٢٧ ، ابن بليهيد ــ صحيح ، ج ٢ ، ص ٨٩ .
(٥) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٥٦٦ ، انظر : الحربي ــ المناسك ، ص ٥٣٢ ، الألوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ١٨٥ ، وتقع السماوة في بادية الشام ، ياقوت ــ معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٤٥ .
(٦) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٦ ، انظر أيضا : الألوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ١٨٥ .
(٧) صاعد ــ طبقات ، ص ٦١ .
(٨) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٦ .

منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر ، ذلك أن الفرات القافل الراجع من بلاد الروم يظهر ناحية قنسرين ، ثم انحط على الجزيرة وسواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلة وامتد إلى عبادان وأخذ البحر من ذلك الموضع مغربا مطيفا ببلاد العرب منعطفا عليها ومال منه عنق إلى حضرموت وناحية أبْيَن وعدن واستطال ذلك العنق ومضى إلى جدة ساحل مكة وخليج أيلة وكور مصر البحرية حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها فصارت بلاد العرب على خمسة أقسام : تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن " ([1]) ، ويذكر ابن خلدون : " جزيرة العرب بين بحر فارس والقلزم كأنها داخلة من البر في البحر يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب وبحر القلزم من الغرب وبحر فارس من الشرق وتفضي إلى العراق فيما بين الشام والبصرة على ألف وخمسمئة ميل بينهما " ([2]) .

ويلاحظ من التعريفين السابقين أن كلا من الهمداني وابن خلدون حاول حصر الجزيرة العربية ضمن حدود متصلة ، إلا أنه يلاحظ من تعريف الهمداني أنه حاول تعليل تسمية جزيرة العرب بالجزيرة بإيجاد حدود مائية لها ، وأدت محاولته إيجاد حد مائي شمالي ، وحد مائي غربي متصل إلى مد حدودها شمالا وغربا إلى مناطق لا تعد الآن داخلة في حدود الجزيرة العربية إضافة إلى كونها كانت خاضعة عند ظهور الإسلام لسلطة غير عربية ، ولم يكن سكانها في تلك الفترة من العرب (على الرغم أنهم من الساميين) ، فحسب تعريف الهمداني فإن الجزيرة العربية تشمل أجزاء من العراق والشام ومصر ، إلا أنه يلاحظ أنه لم يكن مقتنعا تماما بهذه المحاولة ، كما يتضح من إيراده لأقسام الجزيرة العربية الخمسة ، حيث لم يدخل ضمنها أية مناطق من العراق أو الشام أو مصر ([3]) .

أما تقسيم الجزيرة العربية إلى أقسام داخلية ، فعلى الرغم من أن التقسيم الأشهر

([1]) الهمداني ــ صفة ، ص ٤٧ ــ ٤٨ ، انظر : ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ١٣٧ .
([2]) ابن خلدون ــ العبر ، ج ١ ، ص ٣٩ .
([3]) انظر حول حدود الجزيرة العربية : جواد علي ــ المفصل ، ج ١ ، ص ١٤٠ ــ ١٤٤ .
RENTZ - DJAZIRAT AL - ARAB , EI2 , VOL 1, P 534 .

للجزيرة العربية عند الجغرافيين العرب هو تقسيمها إلى خمسة أقسام هي : تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن ([١]) ، إلا أن بعض الجغرافيين العرب شذ عن هذا التقسيم ، فقسمها المقدسي إلى أربعة أقسام هي ([٢]) : الحجاز واليمن وعمان وهَجَر ([٣]) ، أما ابن حوقل فقد أضاف إليها ثلاثة أقسام أخرى هي : بادية العراق وبادية الجزيرة فيما بين دجلة والفرات وبادية الشام ([٤]) ، ويلاحظ أن المناطق التي أضافها ابن حوقل لا تعد الآن داخل حدود الجزيرة العربية .

وفيما يتعلق بالحدود الفاصلة بين هذه الأقسام ، فيلاحظ أنه لا يوجد اتفاق تام عليها ، ففيما يتعلق بالحجاز يرى البعض أنه الإقليم الذي يمتد من قعرة اليمن حتى أطراف بوادي الشام ([٥]) ، وبعض الجغرافيين يجعل يثرب جزءا من نجد ، بنما يجعل آخرون مكة جزءا من تهامة اليمن ، وغيرهم يجعل اليمامة جزءا من الحجاز ([٦]) .

وكذلك يلاحظ عدم الاتفاق أيضا بين الجغرافيين العرب على تعليل تسمية الأقسام المختلفة للجزيرة العربية بأسمائها المختلفة ، ففيما يتعلق بالحجاز يرى البعض أنه سمي بهذا الاسم لأنه يحجز بين نجد وتهامة وامتداده بينهما بحذاء الساحل ([٧]) ، بينما يرى البعض الآخر أنه سمي بذلك لأنه يحجز بين الغور والشام ([٨]) ، ويرى آخرون أن الحجاز هو المنطقة الحاجزة بين الشام واليمن ([٩]) ، أو المنطقة الحاجزة بين الشام واليمن والتهائم ([١٠]) ، أو " ما احتجز في شرقيه من الجبال ، وانحدر إلى ناحية فيد ([١١]) وجبلي طيء إلى المدينة ،

([١]) المفضل ــ المفضليات ، ص ٤١٦ ، الهمداني ــ صفة ، ص ٤٧ ــ ٤٨ ، البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٧ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة جزيرة العرب ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ، القلقشندي ــ صبح ، ج ٤ ، ص ٢٤٥ ، القلقشندي ــ قلائد ، ص ١٨ ، القلقشندي ــ نهاية ، ص ١٦ ــ ١٧ ، الألوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ١٨٧ .
([٢]) المقدسي ــ أحسن ، ص ٦٨ .
([٣]) تقع هجر في منطقة الإحساء ، حمد الجاسر ــ أبو علي ، ص ١٥ .
([٤]) ابن حوقل ــ صورة ، ص ٢٩ ــ ٣٠ .
([٥]) المفضل ــ المفضليات ، ص ٤١٦ ، الهمداني ــ صفة ، ص ٤٨ .
([٦]) المصدر نفسه ، ص ٢١ .
([٧]) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة الحجاز ، ج ٢ ، ص ٢١٩ ، القلقشندي ــ صبح ، ج ٤ ، ص ٢٤٦ .
([٨]) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة الحجاز ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .
([٩]) المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٦٩ ، القزويني ــ آثار ، ص ٨٤ .
([١٠]) المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٦٢ .
([١١]) تقع فيد على الطريق بين مكة والكوفة ، ابن بليهيد ــ صحيح ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

وراجعا إلى أرض مذحج ، فتثليت (١) وما دونهما إلى ناحية فَيْد " (٢) ، أو أنه سمي بذلك لكثرة الحرار (الحرات) فيه واحتجاز أهله عن العدو (٣) ، أو لأنه حجز عن الأنهار وعن الأشجار (٤) ، أو لأنه احتجز بين الجبال (٥) .

ويلاحظ أيضا اختلاط التسميات بين أكثر من قسم فيذكر مثلا الأنباري : " يعرف جبل السراة بجبل الحجاز لأنه بين الغور وهو هابط وبين نجد وهو ظاهر (٦) ، فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك وكنانة وغيرها ودونها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبها وغار من أرضها الغور غور تهامة وتهامة تجمع ذلك كله ، وصار ما دون ذلك الجبل في شرقيه من صحارى نجد إلى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجدا ونجد يجمع ذلك كله ، وصار الجبل نفسه وهو سراته وهو الحجاز وما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحاز إلى ناحية فيد وجبلي طيء إلى المدينة ومن بلاد مذحج تثليت وما دونها إلى ناحية فيد حجازا ، فالعرب تسميه نجدا وجلسا وحجازا والحجاز يجمع ذلك كله " (٧) ، حيث يلاحظ أنه على الرغم من أنه ذكر في البداية أن نجدا هي المنطقة الواقعة شرقي الحجاز ، إلا أنه عاد وجعل نجدا والحجاز مصطلحين مترادفين .

ويقسم بعض الجغرافيين الحجاز إلى قسمين هما : الحجاز الأسود وهو سراة شنوءة ، ويبدو أنه الجزء الجنوبي من الحجاز ، وحجاز المدينة ويبدو أنه الجزء الشمالي (٨) ، أما فيما يتعلق بأهم السمات الطبيعية لمنطقة الحجاز فتتميز بمرتفعاتها التي يطلق عليها اسم جبال

---

(١) تقع تثليت في عسير شرق بيشة ، ابن بليهيد ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ١٢٤ ، حمد الجاسر ــ في سراة ، ص ٤٣٥ .
(٢) الهمداني ــ صفة ، ص ٤٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٦٨ .
(٤) الحربي ــ مناسك ، ص ٥٣٨ ، البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ١١ .
(٥) الأصفهاني ــ بلاد ، ص ١٦ ، القلقشندي ــ صبح ، ص ٢٤٦ .
(٦) المفضل ــ المفضليات ، ص ٤١٦ ، الهمداني ــ صفة ، ص ٤٨
(٧) المفضل ــ المفضليات ، ص ٤١٦ ــ ٤١٧ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة الحجاز ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .
(٨) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ١٣ .

السراة (١) ، وقد وصفت بأنها أعظم جبال العرب (٢) ، وأشهر جبال السراة جبل إرم في أرض حسمى (شرق خليج العقبة) (٣) ، وجبل غزوان ، قرب الطائف الذي يتميز بانخفاض درجة حرارته (٤) وجبل رضوى (شمال المدينة) (٥) الذي وصف أنه " جبل منيف ذو شعاب وأودية " (٦) ، وجبل أحد شمال المدينة (٧) ، وجبل أبي قبيس وهو الجبل المشرف على مكة من شرقيها ، وجبل قعيقعان غربي الكعبة (٨) ، وجبل ثبير قرب منى والمزدلفة (٩) ، كذلك تتميز منطقة الحجاز بأوديتها (١٠) ، مثل وادي إضم قرب المدينة المتجه نحو البحر الأحمر (١١) ، ووادي العقيق قرب المدينة الذي يوصف بأنه " واد كثير الشجر والنخل والغروس ، وفيه كثير من الآبار " (١٢) ، وهو عبارة عن عقيقين ، أحدهما العقيق الأصغر وفيه بئر رومة ، والآخر العقيق الأكبر وفيه بئر عروة (١٣) ، ووادي الرمة الذي يمتد من فدك إلى القصيم شرقا (١٤) ، ووادي بطحان قرب المدينة (١٥) ، ووادي مذينيب جنوب شرق المدينة ، وهو شعبة من بطحان ، ووادي مهزور جنوب شرق المدينة ، ويأتي من حرة واقم (١٦) ، ووادي حفن ، بين الطائف ومعدن البرام ، ووادي مشريق جنوب الطائف ، ووادي جلذان شرق الطائف ، ووادي نعمان بين عرفة والطائف (١٧) ، أما فيما يتعلق بالناحية المناخية فيبدو أن منطقة الحجاز تتميز بعدم انتظام الهطول المطري فيها ، فقد تتعرض للجدب

---

(١) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ١٣ ، انظر أيضا حول السراة :
RENTZ - DJAZIRAT AL - ARAB , EI2 , VOL 1 , P 536 .
(٢) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ١٣ .
(٣) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة إرم ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ ، ابن بليهيد ــ صحيح ، ج ٢ ، ص ٥٨ ، حمد الجاسر ــ في سراة ، ص ٣٧٧ ، حمد الجاسر ــ في شمال ، ص ٢٧٧ .
(٤) الإصطخري ــ المسالك ، ص ٢٤ .
(٥) الهمداني ــ صفة ، ص ٢٦٧ ، حمد الجاسر ــ بلاد ، ص ١٨٦ .
(٦) الإصطخري ــ المسالك ، ص ٢٣ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .
(٩) المصدر نفسه ، ص ٢٣ .
(١٠) انظر حول الوديان : . RENTZ - DJAZIRAT AL - ARAB , EI2 , VOL 1 , P 538
(١١) الهمداني ــ صفة ، ص ٣٢٠ ، ابن بليهيد ــ صحيح ، ج ٢ ، ص ٤٨ ، حمد الجاسر ــ بلاد ، ص ١٦٧ .
(١٢) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة العقيق ، ج ٤ ، ص ١٣٩ ، حمد الجاسر ــ في شمال ، ص ٣٢٩ .
(١٣) الفيروز آبادي ــ المغانم ، ص ٢٦٦ .
(١٤) الهمداني ــ صفة ، ص ٢٨٩ .
(١٥) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة بطحان ، ج ٥ ، ص ٢٤٥ ، حمد الجاسر ــ في شمال ، ص ٣٢٩ .
(١٦) الفيروز آبادي ــ المغانم ، ص ٣٧٤ ، ٣٩٨ .
(١٧) الهمداني ــ صفة ، ص ٢٦٠ .

عدة سنوات ثم تحدث أمطار فجائية ، ويؤيد ذلك ذلك السيول التي ذكرحدوثها في مكة ([١]) ، كما تتميز منطقة الحجاز بصورة عامة بارتفاع درجة حرارتها ، ويستثنى من ذلك مدينة الطائف التي تتميز باعتدال مناخها وطيب هوائها ([٢]) مقارنة بمناطق الحجاز الأخرى ، حيث وصفت الطائف بكونها " مدينة حضر ، شامية الهواء باردة الماء " ([٣]) ، وقد كانت مصيف أهل مكة الذين كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف ([٤]) .

وتنحدر بعد الحجاز أرض الجزيرة العربية انحدارا تدريجيا من الغرب إلى الشرق ، وانحدارا فجائيا نحو الغرب حيث البحر الأحمر ، حيث تدعى هذه المنطقة تهامة ، أو الغور([٥])، وسبب تسميتها بالغور لانخفاض أرضها ([٦]) ، وقد اختلف في تعليل تسميتها تهامة ، فيذكر ياقوت في رواية أن اسم تهامة مأخوذ من التهمة وهي الأرض المتصوبة (المتجهة) إلى البحر ([٧]) ، حيث سميت تهامة لأنها تساير البحر ([٨]) ، ويذكر في رواية أخرى أنها سميت بذلك لشدة حرارتها وركود هوائها ([٩]) ، بينما يذكر البكري أنها سميت تهامة لتقلب هوائها من حال إلى آخر ([١٠]) ، ويلاحظ من محاولات التعليل السابقة أنها سميت بذلك إشارة إلى موقعها أو مناخها ، ويرى ابن حوقل أن تهامة تمتد شمالا حتى حدود مكة وجنوبا حتى حدود صنعاء([١١]) ، وبذلك فإن ابن حوقل يخرج المناطق شمالي مكة من حدود تهامة ، أما

([١]) الأزرقي ــ أخبار ، ص ٣٩٤ ــ ٣٩٨ ، البلاذري ــ فتوح ، ص ٦٥ ــ ٦٦ ، الفاسي ــ شفاء ، ج ٢ ، ص ٥٦٠ ، انظر : نجيب العقيقي ــ المستشرقون ، ص ٣٩ .
([٢]) الإصطخري ــ المسالك ، ص ٢٤ .
([٣]) المقدسي ــ أحسن ، ص ٧٩ .
([٤]) ابن خرداذبه ــ المسالك ، ص ١٣٤ ، انظر أيضا حول الحجاز : أوليري ــ جزيرة ، ص ٢١ ، جواد علي ــ المفصل ، ج ١ ، ص ١٦٧ ــ ١٦٩ .
([٥]) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة تهامة ، ج ٢ ، ص ٦٣ .
([٦]) الهمداني ــ صفة ، ص ٨٥ .
([٧]) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة تهامة ، ج ٢ ، ص ٦٣ ، ٦٤ .
([٨]) المصدر نفسه ، مادة تهامة ، ج ٢ ، ص ٦٤ .
([٩]) المصدر نفسه ، مادة تهامة ، ج ٢ ، ص ٦٤ .
([١٠]) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .
([١١]) ابن حوقل ــ صورة ، ص ٤٣ .

ياقوت فيعد مكة جزءا من تهامة (١) ، ومن تهامة أيضا جدة ، وهي فرضة (ميناء) مكة ، وكانت عامرة بالتجارة (٢) .

ومن المعالم الطبيعية في المنطقتين الغربية والوسطى من الجزيرة العربية كثرة الحرار (الحرات) ، والحرة هي أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار (٣) ، ومن الحرات حرة تبوك (٤) وحرة رماح بالدهناء وحرة ضرغد في جبال طيء (٥) وحرة النار قرب خيبر(٦) (بين وادي القرى وتيماء) (٧) ، وتقع المدينة بين حرتين هما حرة واقم (الحرة الشرقية) (التي سميت بذلك نسبة إلى أطم (حصن) من آطام المدينة) (٨) ، وحرة الوبرة (الحرة الغربية) ، وتسمى المدينة لذلك ما بين اللابتين ، (٩) ، وحرة أشجع بين مكة والمدينة ، وحرة الأفاعي قرب مكة ، وحرة بني بياضة بالمدينة وحرة الحوض بين المدينة والعقيق ، وحرة قباء جنوب المدينة (١٠) .

وأما نجد فتقسم إلى : نجد السافلة ونجد العالية ، فالسافلة ما ولي العراق ، والعالية ما ولي الحجاز وتهامة (١١) ، وبنجد" جبلان مشهوران صعبا الارتقاء هما جبلا أجأ وسلمى المنسوبان إلى قبيلة طيء " ، ويقعان شمال حائل (١٢) ، وعلى سفح جبل سلمى تقع بلدة فيد

---

(١) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة تهامة ، ج ٢ ، ص ٦٤ .
(٢) ابن حوقل ــ صورة ، ص ٣٩ ، انظر حول تهامة : جواد علي ــ المفصل ، ج ١ ، ص ٧٠ ،
RENTZ - DJAZIRAT AL - ARAB , EI2 , VOL 1 , P 535 .
(٣) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة حرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .
(٤) المصدر نفسه ، مادة حرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ .
(٥) حمد الجاسر ــ في شمال ، ص ١٢٩ .
(٦) المرجع نفسه ، ص ٥١٤ .
(٧) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة حرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .
(٨) البكري ــ معجم ، ج ٢ ، ص ٤٣٧ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة حرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .
(٩) حمد الجاسر ــ في شمال ، ص ٤٠١ .
(١٠) البكري ــ معجم ، ج ٢ ، ص ٤٣٥ ــ ٤٣٨ ، انظر حول الحرات: أوليري ــ جزيرة ، ص ١٩ ، جواد علي ــ المفصل ، ج ١ ، ص ١٤٥ ــ ١٥٠ .
RENTZ - DJAZIRAT AL - ARAB , EI2 , VOL 1 , P 535 .
(١١) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة نجد ، ج ٥ ، ص ٢٤٥ .
(١٢) ابن بليهيد ــ صحيح ، ج ١ ، ص ٩٣ .

([1]) ، وتتميز نجد بنوع من الاعتدال في درجة الحرارة مقارنة بالمناطق الأخرى في الجزيرة

(١) المصدر نفسه ، مادة سلمى ، انظر حول أجأ وسلمى :
RENTZ - DJAZIRAT AL - ARAB , EI2 , VOL 1 , P 536 .

العربية ، وذلك بسبب ارتفاعها (١) .

أما المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية فتدعى العروض وهي صحار وسهول ساحلية (٢) ، وتشمل العروض اليمامة والبحرين وما والاهما (٣) ، وسميت عروضا لأنها تعترض بين اليمن ونجد والعراق ، وكانت اليمامة تسمى جوا (٤) ، وقاعدة اليمامة مدينة حِجْر (٥) ، اما البحرين فقاعدته هَجَر (٦) .

ومن أقسام الجزيرة العربية اليمن ، التي عرفت بالبقعة الخضراء أو الأرض الخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها وأشجارها وثمارها (٧) ، وقد علل الجغرافيون العرب تسميتها باليمن " لتيامن العرب إليها لأنها أيمن الأرض " (٨) ، وكانت اليمن تشتمل على مناطق صنعاء وعدن وحضرموت والشحر وعمان (٩) ، وتتميز منطقة اليمن باعتدال درجة حرارتها في معظم أيام السنة (١٠) ، كما تتميز بغزارة أمطارها (١١) .

أما فيما يتعلق بالصحارى في الجزيرة العربية ، فهناك صحراء النفود التي كانت تسمى بادية السماوة أو رملة عالج (١٢) ، وتقع في شمال الجزيرة العربية شمال نجد (١٣) ، وهناك صحراء الدهناء التي كانت تعرف بمفازة صيهد (١٤) ، وتقع بين صحراء النفود شمالا وحضرموت جنوبا ، وبين اليمن غربا وعمان شرقا (١٥) ، أما سبب تسميتها بالدهناء فيعود ذلك " لاختلاف النبت والأزهار في عراضها لأن الدهان يعني الأديم الأحمر " (١٦) ، ويسمى

---

(١) ابن المجاور ــ المستبصر ، ص ٢١٧ .
(٢) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة العروض ، ج ٤ ، ص ١١٢ .
(٣) المصدر نفسه ، مادة العروض ، ج ٤ ، ص ١١٢ .
(٤) المصدر نفسه ، مادة اليمامة ، ج ٥ ، ص ٤٤٢ .
(٥) المصدر نفسه ، مادة اليمامة ، ج ٥ ، ص ٤٤٢ ، حمد الجاسر ــ مدينة ، ص ٩ .
(٦) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة البحرين ، ج ١ ، ص ٣٤٧ .
(٧) الهمداني ــ صفة ، ص ٥١ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة اليمن ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ .
(٨) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة اليمن ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ .
(٩) المصدر نفسه ، مادة اليمن ، ج ٥ ، ص ٤٤٧ .
(١٠) ابن رسته ــ الأعلاق ، ص ١٠١ ، الإصطخري ــ المسالك ، ص ٢٦ .
(١١) ابن رسته ــ الأعلاق ، ص ١٠١ ، ابن بطوطة ــ رحلة ، ص ٢٥١ .
(١٢) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة عالج ، ج ٤ ، ص ٧٠ ، انظر : سمير عطا الله ــ قافلة ، ص ٢٠٧ .
(١٣) RENTZ - DJAZIRAT AL - ARAB , EI2 , VOL 1 , P 537 .
(١٤) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة صيهد ، ج ٣ ، ص ٤٤٨ .
(١٥) RENTZ - DJAZIRAT AL - ARAB , EI2 , VOL 1 , P 537 .
(١٦) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة الدهناء ، ج ٢ ، ص ٤٩٢ ، انظر : سمير عطا الله ــ قافلة ، ص ٢٠٧ .

الجزء الجنوبي منها الآن باسم الربع الخالي (١) ، وتميزت الجزيرة العربية كذلك بوجود مناطق واحات فيها ، تسمى الدارات (٢) .

من خلال العرض السابق يمكن ملاحظة أن الجزيرة العربية منطقة متنوعة التضاريس ، فهناك السهول والجبال والصحارى التي تشغل أكبر مساحة الجزيرة العربية ، وبينما تتسم منطقة جنوب الجزيرة العربية بانتظام الهطول المطري وغزارته ، يلاحظ أن هطول الأمطار في شمال ووسط الجزيرة العربية لا يتسم بالانتظام ، كما يلاحظ غياب الأنهار الدائمة في الجزيرة العربية ، مما يجعل الوديان مؤقتة الجريان والمياه الجوفية هي مصدر المياه في شمال ووسط الجزيرة العربية (١) ، ويبدو أن هذا العامل المناخي كان له أثر كبير في طبيعة أنماط المعيشة التي عرفت في الجزيرة العربية ، فقد عرفت منطقة جنوب الجزيرة العربية الاستقرار ونشوء دول مستقرة ، بينما تنوعت الأنماط المعيشية في شمال ووسط الجزيرة العربية تبعا لطبيعة المنطقة ، فهناك مدن مستقرة اعتمدت على التجارة ، وهناك مناطق اعتمدت على الزراعة ، ومناطق اعتمدت على تربية الماشية ، كما سيتضح عند دراسة العامل الاقتصادي .

العامل السياسي

بعد إلقاء نظرة على جغرافية الجزيرة العربية ، لا بد من إعطاء صورة عن الكيانات السياسية التي كانت موجودة فيها خلال القرن السادس الميلادي والثلث الأول من القرن السابع الميلادي ، وعلاقة هذه الكيانات السياسية بالكيانات السياسية المجاورة .

وفي البداية لا بد من إعطاء فكرة عن سكان هذه الجزيرة (العرب) فقد وردت لفظة العرب في اللغات السامية الأخرى ، ويبدو أن لفظة العرب في هذه اللغات تشير إلى موقعهم

---

(١) RENTZ - DJAZIRAT AL - ARAB , EI2 , VOL 1 , P 537 .

(٢) الفيروز آبادي ــ القاموس ، مادة دور ، انظر أيضا حول الصحارى : أوليري ــ جزيرة ، ص ١٩ ــ ٢٠ ، جواد علي ــ المفصل ، ج ١ ، ص ١٥٠ ــ ١٥٥ ،

RENTZ - DJAZIRAT AL - ARAB , EI2 , VOL 1 , P 537 .

وانظر حول الدارات ، جواد علي ــ المفصل ، ج ١ ، ص ١٥٥ ــ ١٥٦ .

بالنسبة إلى الأمم الأخرى (الغرب ، الجنوب) ، أو إلى طبيعة المنطقة الجغرافية التي يسكنونها (السهوب ، البادية) ([٢]) .

حاول العرب تعليل تسميتهم بهذا الاسم ، وبما أنه كان من الشائع لدى العرب إرجاع أسماء الأقوام إلى أجداد يحملون هدا الاسم ، فقد أرجعوا تسمية العرب إلى جد لهم هو يعرب بن قحطان ، حيث ذكروا أنه " أول من سجع في العربية الواسعة ونطق بأفصحها وأبلغها وأوجزها والعربية منسوبة إليه مشتقة من اسمه " ([٣]) ، ويبدو أن هذه الفكرة كانت معروفة عند ظهور الإسلام كما يدل على ذلك قول حسان بن ثابت الخزرجي :

تَعَلَّمْتُمْ مِنْ مَنْطِقِ الشَّيْخِ يَعْرُب   أبينا فَصِرْتُم مُعْرِبين ذَوِي نَفَر

وَكُنْتُم قَدِيمًا مَا لَكُم غَيْرَ عُجْمَةٍ   كَلامٍ وَكُنْتُم كَالبَهائم في القَفَر ([٤])

فكلمة الإعراب تدل على التعبير ، فعندما يعبر المرء عن أفكاره باللسان العربي فإنه يعرب عن رأيه ([٥]) .

بينما يرى البعض الآخر أن العربية نسبة إلى عربة وهي مكة ، حيث يرون أن " عربة (مكة) هي الموطن الأصلي ، فأقامت بها قريش وتنخت بها ، بينما انتشر العرب في الجزيرة فنسبوا كلهم إلى عربة لأن أباهم إسماعيل بها نشأ " ، وقد وردت لفظة عربة للدلالة على مكة في الشعر ، قال الشاعر :

وعربة دار لا يحل حرامها   من الناس إلا اللوذعي الحلاحل ([٦])

ويبدو أن لفظة عربة التي كانت تشير إلى مكة وحدها أصبحت تشير فيما بعد إلى جميع الجزيرة العربية ([٧]) .

---

(١) RENTZ - DJAZIRAT AL - ARAB , EI2 , VOL 1 , P 537 .
(٢) الدوري ـــ التكوين ، ص ١٦ .
(٣) الأصمعي ـــ تاريخ ، ص ٨ ، ابن منظور ـــ لسان ، مادة عرب .
(٤) الأصمعي ـــ تاريخ ، ص ٨ .
(٥) السيوطي ـــ المزهر ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ابن منظور ـــ لسان ، مادة عرب .
(٦) ابن منظور ـــ لسان ، مادة عرب ، ياقوت ـــ معجم البلدان ، مادة عربة ، ج ٤ ، ص ٩٧ .
(٧) ياقوت ـــ معجم البلدان ، مادة عربة ، ج ٤ ، ص ٩٦ .

يلاحظ أن محاولة العرب تعليل تسميتهم بهذا الاسم هي محاولة منهم في البحث في أصل العرب ، ويبدو أن هناك اتجاهين في هذا التعليل : فأحد هذين الاتجاهين هو الاتجاه الذي يرى أن من عرفوا باسم القحطانيين هم أصل العرب (وهم كما يرى أصحاب هذا الاتجاه ليسوا من أبناء إسماعيل) ، وأن من عرفوا باسم العدنانيين (وهم كما يرى أصحاب هذا الاتجاه من أبناء إسماعيل) تعلموا العربية من القحطانيين ، ويعكس بيتا حسان بن ثابت السابقين هذه الفكرة ، أما الاتجاه الثاني فهو الاتجاه الذي يرى أن كلا من العدنانيين والقحطانيين من أبناء إسماعيل ، ومن ثم فإن موطنهم الأصلي واحد وهو عربة (مكة) التي إليها تعود هذه التسمية .

إلا أنه على الرغم من هذا الاختلاف في التعليل ، فقد كان هناك شعور لدى العرب في الجزيرة العربية عند ظهور الإسلام أنهم شعب واحد يطلق عليه اسم العرب كما يتضح من

قول حسان بن ثابت :

سألت هذيل رسول الله فاحشة　　ضلت هذيل بما قالت ولم تصب

سألوا رسولهم ما ليس معطيهم　　حتى الممات وكانوا سبة العرب (١)

وقال كعب بن مالك :

بدا لنا فاتبعناه نصدقه وكذبوه فكنا أسعد العرب (٢)

وقد أدت محاولة العرب إلى تعليل تسميتهم بهذا الاسم وإعادتها إلى انتمائهم لأصل واحد ، إلى الحديث عن موطن العرب الأصلي ، فمن أعاد العربية إلى يعرب بن قحطان جعل من اليمن هي الموطن الأصلي للعرب ، انتشرت منه القبائل القحطانية إلى كافة أنحاء الجزيرة العربية ، في الوقت الذي دخل فيه شخص غريب عن الجزيرة العربية هو إسماعيل

---

(١) حسان ــ ديوان ، ص ١٢١ .
(٢) كعب بن مالك ــ ديوان ، ص ١٧٥ .

إلى مكة ، وتعلم العربية من سكانها ، ومن نسله جاءت القبائل العدنانية التي انتشرت من مكة إلى كافة أنحاء الجزيرة العربية .

أما من أعاد جميع العرب إلى إسماعيل ، فجعل مكة هي الموطن الأصلي للعرب الذين لم يلبثوا أن انقسموا إلى مجموعتين هما القحطانية في اليمن والعدنانية في الحجاز ، ثم انتشرت قبائل كل من المجموعتين إلى أنحاء الجزيرة العربية كافة .

يلاحظ أن محاولة العرب لتحديد الموطن الأصلي لهم ، قادت إلى وجود فكرة لديهم أن المنطقة الغربية من الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي للعرب ، وفي هذه المنطقة تمايزت مجموعتان مختلفتان هما القحطانية في اليمن والعدنانية في الحجاز ، ومنهما انتشر العرب إلى بقية أنحاء الجزيرة العربية .

ويبدو أن شعور العرب بأن العرب هم سكان الجزيرة العربية ، وأن كل من سكن الجزيرة العربية هو عربي جعلهم يغضون الطرف عن ذلك التمايز الكبير في اللغة بين اللغة العربية التي تكلمت بها القبائل العربية في شمال ووسط الجزيرة العربية ، وبين اللغة التي كانت مستخدمة في الدول المستقرة في جنوب الجزيرة العربية ([١]) ، فقد جعل العرب هذه الدول جزءا من المجموعة القحطانية على الرغم من أن القبائل القحطانية كانت تستخدم اللغة العربية التي كانت تستخدمها القبائل العدنانية ، بينما استخدمت الدول الجنوبية ما يسمى الان اللغة العربية الجنوبية ، وهي مختلفة كثيرا عن اللغة العربية التي استخدمها العرب في شمال ووسط الجزيرة العربية ، وقد لاحظ المقدسي ذلك حيث يذكر أنه " بطرف الحميري قبيلة من العرب لا يفهم كلامهم " ([٢]) ، ويذكر أيضا أن " الأحقاف لسانهم وحش " ([٣]) ، وكذلك ذكر

([١]) لملاحظة ذلك انظر : غويدي ــ المختصر ، ص ١٨ ــ ٢٨ .
([٢]) المقدسي ــ أحسن ، ص ٩٦ .
([٣]) المقدسي ــ أحسن ، ص ٩٧ .

ابن خلدون أن " لغة حمير مغايرة للغة مضر في الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها " ([1]) .

أما فيما يتعلق بالأوضاع السياسية للعرب في الفترة المدروسة ، فقد شهد مطلع القرن السادس الميلادي انهيار الدولة الحميرية في اليمن نتيجة للصراع الديني فيها ([2]) ، وتدخل الأحباش في هذا الصراع بإرسال حملة إلى اليمن ([3]) ، مما أدى إلى سقوط اليمن تحت حكم الأحباش ([4]) ، ويبدو أن هذا الاحتلال الحبشي تم بدعم من البيزنطيين وذلك من خلال الصراع الدائم بينهم وبين الساسانيين ، حيث يبدو أنهم كانوا يسعون إلى تكوين حلف حبشي يمني ضد الساسانيين ([5]) ، وذلك في محاولة منهم للسيطرة على التجارة المارة بالبحر الأحمر وبساحله ومنع الساسانيين منها ([6]) ، وقد حاول الأحباش مد نفوذهم إلى شمال ووسط الجزيرة العربية ، إلا أن محاولتهم هذه منيت بالإخفاق ، ولم يلبث أن خرج الأحباش من اليمن ، وخضعت اليمن للحكم الفارسي ([7]) .

أما في شمال ووسط الجزيرة العربية ، فقد كان هناك دولة المناذرة التابعة للدولة الساسانية ، التي قامت كدولة حاجزة بينها وبين البيزنطيين من جهة وبين العرب من جهة أخرى ([8]) ، وكانوا بمنزلة عمال للساسانيين على من ببادية العراق والحجاز والجزيرة من العرب ، وكان للعامل المنذري سلطة تعيين عمال على المناطق العربية الخاضعة لنفوذه ، وكانت كثير من القبائل العربية ترى في عامل الحيرة ملكا على العرب ، إلا أن مطلع القرن السابع الميلادي شهد سقوط دولة المناذرة .

([1]) ابن خلدون ــ العبر ، ج ١ ، ص ٤٨٩ .
([2]) كوبيشانوف ــ الشمال الشرقي ، ص ٣٩ ــ ٥٨ .
([3]) المرجع نفسه ، ص ٣٣ ــ ٣٨ .
([4]) المرجع نفسه ، ص ٨١ ــ ٩٢ .
([5]) المرجع نفسه ، ص ٥٢٦ ــ ٥٢٧ ، بيغوليفسكيا ــ العرب ، ص ١٩٠ ،
BEVON - MOHAMET AND ISLAM , P 303 .
([6]) بيغوليفسكيا ــ العرب ، ص ٢١٢ .
([7]) كوبيشانوف ــ الشمال الشرقي ، ص ١٨٧ ــ ١٩٤ ، كرستنسن ــ إيران ، ص ٣٥٨ .
([8]) كرسستنسن ــ إيران ، ص ٨٢ ، ٨٨ ، ١٢٤ ، كستر ــ الحيرة ، ص ٩ ،
IRFAN SHAHID - AL - HIRA , EI2 , VOL 3 , P 462 - 463 .

تشير الروايات إلى أن دولة المناذرة في الحيرة قامت نتيجة انتقال قبيلة يمانية بزعامة ربيعة بن نصر من اليمن إلى الحيرة نتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية في اليمن ، حيث كتب ربيعة إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاد فأسكن بنيه وأهل بيته الحيرة ([١]) ، وهنا يلاحظ أنه كان لا بد من إذن ملك الفرس في قيام هذه الدولة .

لقد أطلق على الدولة العربية التي قامت في المنطقة الواقعة على الحدود الفارسية اسم دولة المناذرة ، وهذا يوحي للوهلة الأولى أن هذه الدولة ملكية وراثية ، إلا أن هذا الاستنتاج ليس دقيقا ، فالمناذرة هم عمال كسرى على تخوم أرض العرب ([٢]) ، ومعظمهم ينتمي إلى أسرة واحدة ، إلا أنه يلاحظ أن من يقوم بتعيين هذا العامل هو ملك الفرس ، حيث يرد على سبيل المثال :

استعمل سابور بعد وفاة امرئ القيس عامله على ضاحية مضر وربيعة ابنه عمرو بن امرئ القيس في مكان والده ([٣]) .

كان امرؤ القيس عاملا للفرس على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة ([٤]) .

استخلف سابور بن سابور على عمل عمرو بن امرئ القيس أوس بن قلام ([٥]) .

استخلف يزدجرد الأثيم مكان امرئ القيس ابنه النعمان ([٦]) .

استخلف بهرام بن سابور امرأ القيس بن عمرو ([٧]) .

عين كسرى إياسا على النمر وما والها من الحيرة وأطعمه ثلاثين قرية على شاطئ الفرات ([٨]) .

([١]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١١٤ .
([٢]) الدينوري ــ الأخبار ، ص ٣٩ .
([٣]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٦١ .
([٤]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٦٤ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ١٧١ .
([٥]) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٥ .
([٦]) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٥ .
([٧]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٦٥ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ١٧٦ .
([٨]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢١ ، ص ١٣٤ .

عهد كسرى إلى إياس بن قبيصة إدارة الحيرة بعد وفاة المنذر (١) .

تولى الحكم بعد قابوس السهرب (٢) الذي حكم سنة واحدة (٣) .

بعد إياس حكم الحيرة رجل فارسي اسمه أزاذبه (٤) .

حكم بعد أزاذبه المنذر بن النعمان بن المنذر (٥) .

تولى الحكم بعد النعمان أبو يعفر من لخم (٦) .

ملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملكه المناذرة (٧) .

ملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملكه النعمان بن المنذر بعد أن قتله ، حيث بعث قباذ إليه أنه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد وإني أحب أن ألقاك (٨) .

يلاحظ أن ملك الفرس هو الذي يقوم بتعيين عامل الحيرة ، كما يلاحظ أن بعض هؤلاء العمال لم يكونوا ينتمون لأسرة المناذرة ، مثل أوس بن قلام ، وإياس بن قبيصة ، والحارث بن عمرو الكندي ، إضافة إلى أن بعض هؤلاء العمال كانوا من الفرس مثل السهرب وآزاذبه .

إلا أنه يبدو أن الفرس كانوا يميلون إلى أن يكون العامل على الحيرة ينتمي إلى الأسرة اللخمية ، وذلك حفاظا على الاستقرار ، فقد أدى تعيين أوس بن قلام على الحيرة إلى قيام ثورة عليه بقيادة شخص لخمي هو جَحْجَبى بن عتيك (٩) .

إن كون عامل الحيرة يعين من قبل الملك الفارسي قد يفسر اختفاء منصب ولي العهد في هذه الدولة .

---

(١) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .

(٢) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٥٩ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢١٣ ، حمزة الأصفهاني ــ تاريخ ، ص ٧٣ .

(٣) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٥٩ ، حمزة الأصفهاني ــ تاريخ ، ص ٧٣ ، الخوارزمي ــ مفاتيح ، ص ٦٩ .

(٤) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٦٠ ، حمزة الأصفهاني ــ تاريخ ، ص ٧٥ ، الخوارزمي ــ مفاتيح ، ص ٦٩ .

(٥) ابن حبيب ــ المجبر ، ص ٣٦٠ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٦ ، حمزة الأصفهاني ــ تاريخ ، ص ٧٤ ، الخوارزمي ــ مفاتيح ، ص ٦٩ .

(٦) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٩٤ ، ١٠٤ ، حمزة الأصفهاني ــ تاريخ ، ص ٦٩ .

(٧) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٨٦ .

(٨) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

(٩) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٦٥ ، ٧٢ ، حمزة الأصفهاني ــ تاريخ ، ص ٦٧ .

ويلفت الانتباه أنه كان يطلق على العمال على الحيرة اسم عمال كسرى على تخوم أرض العرب ، وعمال الفرس على ضاحية مضر وربيعة ، وعمال الفرس على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة ، ويرد أيضا أن جذيمة ملك معدا وبعض اليمن ([١]) ، حيث يلاحظ أن الفرس كانوا ينظرون إلى العامل على الحيرة كأنه عامل على معظم القبائل العربية في الجزيرة العربية .

ويبدو أنه كان لعامل الحيرة سلطة تعيين عمال على المناطق العربية الخاضعة لنفوذه ، حيث يرد ما يلي :

أرسل عمرو إلى طرفة والمتلمس فكتب لهما إلى عامله بالبحرين ليقتلهما وأعطاهما هدية من عنده وحملهما ([٢]) .

قاتل طرفة المكعبر عامل عمرو على البحرين ([٣]) .

قاتل طرفة عامل عمرو بن هند على عمان والبحرين ([٤]) .

عامل عمرو على البحرين الحوثري المعلي العبدي ([٥]) .

كان عمرو بن هند على بقة يدير أعمالها في أيام أبيه المنذر ([٦]) .

جعل عمرو بن هند أخاه قابوس بن المنذر على البادية ([٧]) .

يتضح من الروايات السابقة أن عامل الحيرة كان يعين عمالا على المناطق العربية الخاضعة لنفوذه (البحرين ، عمان ، بقة ، البادية) .

ويبدو أن كثيرا من القبائل العربية كانت ترى في عامل الحيرة ملكا على العرب حيث يرد مثلا قول طرفة لعمرو بن هند : " نحن في طاعتك ومضر في طاعتك " ([٨]) ، وكذلك

---

(١) حمزة الأصفهاني ــ تاريخ ، ص ٨٤ .
(٢) ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ٨٩ .
(٣) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ٥٢٤ ، المرزباني ــ معجم ، ص ٢٠١ .
(٤) ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ٩١ ، ابن الأنباري ــ شرح القصائد ، ص ١١٦ .
(٥) ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ١٣٧ ، ١٤٤ .
(٦) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٨ ، ص ٦٧ .
(٧) المرزباني ــ معجم ، ص ٢٠٦ .
(٨) ابن قتيبة ــ المعاني ، ص ١١١٨ .

يرد قول النعمان لسادات القبائل عندما طلبه كسرى لقتله : " إنما أنا رجل منكم وإنما ملكت وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم ليعلم أن العرب على غير ما ظن وحدث " ([١]) .

أما علاقة ملك الحيرة بالقبائل التابعة له ، فيرد أن الملك قد يلعب دور الحكم في النزاعات التي تنشب بين القبائل في المنطقة التابعة لحكمه ، كما فعل عمرو بن هند ، حيث تحاكمت له قبيلتا بكر وتغلب في النزاع الذي نشب بينهما وأدى إلى حرب البسوس ([٢]) ، حيث توسط عمرو بين بكر وتغلب فأصلح بينهما بعد حرب البسوس وأخذ رهائن من كل حي من الحيين مئة غلام من أشرافهم ليسكت بعضهم عن بعض فكانوا يصحبونه في السلم والحرب([٣]).

أما النواحي المالية ، فيذكر الطبراي أن أهل الحيرة كان يؤدى لهم خراج كسرى وخراج من قريظة والنضير ([٤]) ، وأما خراج كسرى فيمكن تفسيره بمنحة مالية تقدم لملك الحيرة من الفرس ، أما خراج قريظة والنضير فيوحي بخضوع يثرب لسلطة الحيرة ([٥]) .

أما كيفية اختيار عامل الحيرة ، فيبدو أن للفرس الدور الأكبر في هذا الاختيار ، فيرد مثلا أنه بعد وفاة المنذر بن المنذر دعا كسرى بن هرمز عدي بن زيد العبادي (ترجمانه) ، وقال له : " من بقي من بني المنذر " ، قال : " بقيتهم في ولد الميت المنذر بن المنذر " ، فبعث إليهم يمتحنهم ، فوفدوا على كسرى ، فأنزلهم على عدي بن زيد ، وسألهم الملك : " أتكفونني العرب " ، أجابوا : " نعم إلا النعمان " ، أما النعمان فأجاب : " إن عجزت عن إخوتي فأنا عن غيرهم أعجز " ([٦]) ، مما أدى إلى اختيار كسرى له .

([١]) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ١ ، ص ١٦٩ .
([٢]) أبو زيد القرشي ــ جمهرة ، ص ١٢٠ .
([٣]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١١ ، ص ٤٢ .
([٤]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٣ ، ص ٣٦٢ .
([٥]) انظر أيضا : كستر ــ الحيرة ، ص ١١ .
([٦]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٤٧ ، ١٩٥ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

وكان هناك علامات للملك في الحيرة منها التاج ، حيث يرد أن تاج النعمان بن المنذر من زبرجد وياقوت وذهب ، فقد ذكره مالك بن نويرة التميمي ([١]) (وكان قد تولى الردافة في بلاط المناذرة) ([٢]) في هجائه للنعمان :

لَنْ يُذْهِبَ اللُّؤْمَ تاجٌ قَدْ حُبيتَ به   من الزَّبَرْجَدِ والياقوتِ والذهبِ ([٣])

أما مصدر هذا التاج فهو كسرى ، حيث يرد أنه بعد أن وقع اختيار كسرى على النعمان ليتولى ملك الحيرة ملكه وكساه وألبسه تاجا قيمته ستة آلاف درهم ([٤]) .

كما يرد أن يزدجرد دعا بالمنذر بن النعمان وملكه على العرب ، وحباه بمرتبيتين سنيتين ، وأمر له بصلة وكسوة ([٥]) .

ومن علامات الملك في الحيرة تحية الملك الخاصة وهي بالقول له : " أبيت اللعن " ([٦]) ، إلا أن كتاب فتوح الشام المنسوب للواقدي يتفرد بذكر تقبيل الأرض كتحية لملوك المناذرة ، حيث يذكر أن النعمان بن المنذر حارب سعدا في العراق ([٧]) ، حيث طلب حجاب وعمال النعمان من رسول سعد أن يقبل الأرض للملك فرفض وقال : " هذه تحية جبابرة الملوك " ([٨]) ، وهذه هي الإشارة الوحيدة لتقبيل الأرض في بلاط ملك عربي قبل الإسلام ، ولا تبدو هذه الرواية صحيحة إذ من المعروف أن دولة المناذرة قد انتهت قبل بدء فتوح العراق بفترة طويلة .

وفي بلاد الشام قامت دولة الغساسنة التابعة للدولة البيزنطية ، التي قامت كدولة حاجزة بينها وبين الساسانيين من جهة وبين العرب من جهة أخرى ([٩]) ، وكانوا بمنزلة عمال

(١) ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ١٩٢ .
(٢) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٤ ، ص ٦٣ ، المرزباني ــ معجم ، ص ٣٦٠ .
(٣) الجواليقي ــ المعرب ، ص ٣٥٦ .
(٤) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٤٧ ، ١٩٥ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .
(٥) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٦٨ .
(٦) المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٢٤ .
(٧) الواقدي ــ فتوح ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .
(٨) الواقدي ــ فتوح ، ج ٢ ، ص ١٨٦ .
(٩) كرستنسن ــ إيران ، ص ٨٢ ، كستر ــ الحيرة ، ص ٩ ،
IRFAN SHAHID - GHASSAN , EI2 , VOL 2 , P 1020 - 1021 .

للبيزنطيين على عرب الشام ، وكان عرب الشام يرون في الغساسنة ملوكا لهم ، إلا أن مطلع القرن السابع الميلادي شهد سقوط دولة الغساسنة .

تشير الروايات أن الغساسنة في بداية إقامتهم في بلاد الشام كانوا يؤدون الخراج إلى سليح (وهي القبيلة التي يبدو أنها كانت تقوم بدور الدولة الحاجزة بين العرب والبيزنطيين قبل قدوم الغساسنة) ، وكانوا يجبونهم على كل رأس دينارا ودينارا ونصفا ودينارين في كل سنة ، إلا أنه يبدو أن البيزنطيين رأوا استبدال الغساسنة بالسليحيين جيث ترد رواية أن ملك الروم كتب بينه وبين ثعلبة (زعيم الغساسنة) كتابا نصه : " إن دهمكم دهم من العرب أمددتكم بأربعين ألف مقاتل من الروم بأداتهم وإن دهمنا دهم من العرب فعليكم عشرون ألف مقاتل على أن لا تدخلوا بيننا وبين فارس " ، فقبل ذلك ثعلبة فكتب الكتاب وملك ثعلبة وتوجه وكان ملك الروم يقال له ديقيوس (١) ، ويرد أيضا : " ملك يخطيانوس خالد بن جبلة الغساني على عرب الشام " (٢) .

يلاحظ أن الغساسنة كانوا مجرد عمال عند البيزنطيين على عرب الشام ، ويلاحظ أن نفوذ الغساسنة يقتصر على عرب الشام مقارنة بالمناذرة الذين كانوا نفوذهم على معظم العرب تقريبا ، كما يلاحظ دور البيزنطيين في اختيار الملك الغساني ، وهذا يفسر عدم وجود ولي للعهد عند الغساسنة .

وقد نظر عرب الشام إلى الغساسنة كملوك ، حيث كانوا يتمتعون بعلامات الملك ، ومنها التاج ، الذي كان مصدره البيزنطيين ، حيث يرد : " لبس جبلة بن الأيهم تاجه وفيه قرط مارية جدته " (٣) .

لم يكن عمال عرب الشام فقط من الغساسنة ، بل إن العلاقات لم تلبث أن ساءت بين

---

(١) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٧٠ ــ ٣٧٢ ، انظر أيضا : حمزة الأصفهاني ــ تاريخ ، ص ٧٦ .
(٢) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٢١ ، ١٤٩ .
(٣) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

البيزنطيين والغساسنة في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي ، مما أدى إلى ظهور زعماء جدد من غير الغساسنة ليقوموا بهذه المهمة مثل فروة بن عمرو الجذامي الذي كان عاملا للروم على من يليهم من العرب ومنزله بمعان ([١]) .

وفي وسط الجزيرة العربية قامت دولة كندة ، ويبدو أنهم كانوا عمالا للملوك الحميريين على العرب .

يلفت الانتباه أن الروايات تشير أن قبائل معد هي التي طلبت من الملك الحميري أن يولي عليهم ملكا لمنع البغي بينهم ([٢]) ، وهذا يشير أن القبائل الشمالية كانت تشعر بتبعيتها لملوك اليمن ، بل إن الروايات تشير أن هذه القبائل طلبت أن لا يكون الملك من القبائل الشمالية ، حيث يرد أنهم قالوا للملك الحميري : " إنا رأينا أن نملك علينا ملكا نعطيه الشاة والبعير فيأخذ الضعيف من القوي ويرد على المظلوم من الظالم ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فتأباه الآخرون فيفسد ذات بيننا ولكن يملكه تبع " ، فملك عليهم حجر بن عمرو الكندي ([٣]) .

يبدو أن حكم كندة كان وراثيا ، رغم عدم وجود إشارات لوجود نظام لولاية للعهد عند الكنديين ، إلا أن دولة كندة شهدت ظاهرة غير موجودة لدى الدول العربية الأخرى قبل الإسلام ، وهي ظاهرة تقسيم الدولة بين الأبناء كما حدث بعد وفاة الحارث بن عمرو الكندي ، حيث اقتسم أبناؤه الحكم ، فملك حجر على أسد وكنانة ، وملك شرحبيل على قيس وتميم ، وملك معديكرب على ربيعة ([٤]) .

كذلك وعلى الرغم من كون دولة كندة دولة تابعة في الأصل للتبابعة الحميريين ، إلا أن سقوط الدولة الحميرية على يد الأحباش أدى إلى نوع من الاستقلال لهذه الدولة مقارنة

([١]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٦١ ، البكري ــ معجم ، ج ٢ ، ص ١٢٤٢ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .
([٢]) الدينوري ــ الأخبار ، ص ٥٣ .
([٣]) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٦ ، ص ٧٨ ، النويري ــ نهاية ، ج ١٥ ، ص ٤٠٦ .
([٤]) الدينوري ــ الأخبار ، ص ٥٣ .

بدولتي المناذرة والغساسنة ، حيث يبدو أن الكنديين بدؤوا يبحثون عن قوة كبرى تدعمهم وأدى ذلك إلى اتجاههم نحو الساسانيين ، حيث تمكن الحارث بن عمرو الكندي أن يحل محل المنذر في ملك الحيرة ، فملك ما كان يملك المناذرة (١) ، حيث ملكه الملك الفارسي قباذ على الحيرة (٢) ، إلا أن وقوع انقلاب في الدولة الساسانية وقدوم كسرى أنو شروان إلى الحكم أدى إلى عودة المنذر لحكم الحيرة .

يبدو أن فقدان الدولة الكندية لدعم قوة كبرى بعد تخلي الساسانيين عنها أدى إلى تعجيل نهاية هذه الدولة خصوصا بعد تقسيم الدولة الكندية بين أبناء الحارث ، خصوصا أيضا أن الملوك الكنديين لم يتمكنوا من الحفاظ على ولاء القبائل الشمالية لهم .

وقد أدى هذا الوضع إلى انحسار النفوذ الكندي الذي كان يشمل معظم أنحاء الجزيرة العربية وإلى انحصارها في حضرموت ، كما أدى كذلك إلى تعدد الملوك الكنديين جيث اختص كل واحد بواد ولقب نفسه بلقب ملك (٣) .

لقد عرف الكنديون عادة تتويج الملك ، حيث يرد أن كندة توجت الأشعث بن قيس عليها (٤) ، ويبدو أن الأشعث بدأ يبحث عن قوة كبرى تدعمه في إعادة إحياء ملك كندة فاتجه نحو البيزنطيين ، حيث يرد أن الأشعث كان له حظوة عند ملك الروم ويرسل له الأموال والفعلة (٥) .

يلاحظ مما تقدم أن القرن السادس الميلادي شهد انحسار السلطة المركزية في الجزيرة العربية ، وأدى هذا إلى أن يكون النظام القبلي هو النظام السائد في هذه الفترة في الجزيرة العربية .

---

(١) الطبري ـــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٨٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٥ .
(٣) البلاذري ـــ فتوح ، ص ١٠٩ ، ياقوت ـــ معجم البلدان ، مادة حضرموت ، ج ٢ ، ص ٢٧١ ، ابن خلدون ـــ العبر ، ج ٢ ، ص ٥٦ .
(٤) الطبري ـــ تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٩ ، انظر أيضا حمزة الأصفهاني ـــ تاريخ ، ص ٩٣ .
(٥) ابن إسحق ـــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

وعلى الرغم من أن معظم القبائل العربية كانت قبائل بدوية متنقلة ، إلا أنه يلاحظ أن حركتها لم تكن مطلقة ، حيث يبدو أنه كان لكل قبيلة من القبائل مدى معين لحركتها يعرف باسم ديار هذه القبيلة أو الحمى (١) ، كما يلاحظ أن بعض القبائل كانت قد تمكنت من أن تتحول إلى قبائل حضرية تعيش في مدن ، وعرفت نوعا من التنظيم الحضري ، وعلى رأسها مكة ويثرب والطائف .

توزعت القبائل العربية في الجزيرة العربية على النحو التالي :

نزلت قريش في مكة وما جاورها (٢) ، حيث انقسمت قريش إلى قسمين : قريش البطاح واستوطنوا مكة وعاشوا عيشة حضرية معتمدين على التجارة بشكل أساسي ، وقريش الظواهر واستوطنوا حول مكة ، حيث عاشوا عيشة بدوية ، وشكلوا جزءا أساسيا من القوة العسكرية لقريش في حروبها (٣) .

وكان منزل النضر بن كنانة حول مكة وما والاها (٤) .

ونزلت مزينة في جبال رضوى وقدس وآرة وما والاها وصاقبها من أرض الحجاز (٥) ، حيث سكن قسم منها جبل ورقان (٦) ، ونزل قسم في جبلي القدسين وقسم في جبلي نبهان وبقيتها استوطنت قرية الفرع (٧) ، ويلاحظ أن قبيلة مزينة كانت موزعة بين الجبال والقرى ، وبذلك فقد عرفت نمطين معيشيين : عيشة بدوية في المناطق الجبلية ، وعيشة حضرية تعتمد على الزراعة في القرى ، كما يلاحظ أن ديار مزينة كانت تقع جنوب غربي يثرب (٨) .

---

(١) انظر :
CHELHOD - HIMA , EI2 ,VOL 3 , P 393 .
(٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٢٤ .
(٣) المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٥٩ ، البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٨٩ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .
(٤) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٨٨ .
(٥) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٨٨ .
(٦) السلمي ــ أسماء ، ص ١٦ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٨ ــ ١٩ .
(٨) انظر : ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة رضوى ، قدس ، آرة ، ورقان ، نبهان ، الفرع .

وسكنت هذيل جبال السراة في الحجاز ([١]) ، ومن جبالهم جبل أرال وجبل الجوز وجبل قراس وجبل عروان وجبل كَبْكَب ، ومن خلال مواقع هذه الجبال يمكن تحديد ديار هذيل بأنها المنطقة الجبلية المحيطة بمكة والطائف ([٢]) .

وجاورت قبائل فهم هذيل في جبال السراة في الحجاز ([٣]) .

واستوطن بنو عدوان في البداية في الطائف ، إلا أن بني عامر طردوهم منها ([٤]) ، فانتقلوا إلى جبال السراة مجاورين لفهم وهذيل ([٥]) .

واستقرت بنو عامر بن صعصعة في البداية في الطائف بعد أن طردوا بني عدوان منها ، إلا أن ثقيفا لم تلبث أن طردتهم من الطائف ([٦]) ، فاستوطنوا غربي نجد مما يلي الحجاز ([٧]) .

وكانت ديار كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بالفلج وما أحاط بها من البادية ([٨]) ، وبذلك تكون ديارهم في شرق نجد ([٩]) .

ونزل بنو هلال الحجاز ([١٠]) ، حيث كانت لهم حرة ، تدعى حرة بني هلال ، وتقع جنوب مكة ([١١]) .

واستقرت ثقيف في الطائف بعد طرد بني عامر منها ([١٢]) .

ونزلت هوازن بين غور تهامة إلى ما والى بيشة وبركا وناحية السراة والطائف وذا المجاز وحنين وأوطاس وما صاقبها من البلاد ([١٣]) ، وبذلك تكون ديار هوازن في المنطقة

([١]) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٨٨ .
([٢]) الأصفهاني ــ بلاد ، ص ١٧ ، انظر ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة أرال ، الجوز ، قراس ، عروان ، كبكب .
([٣]) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٨٨ .
([٤]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٧٧ .
([٥]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٨٨ .
([٦]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٧٧ .
([٧]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٠ .
([٨]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٩٠ .
([٩]) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة الفلج .
([١٠]) المصدر نفسه ، مادة الحجاز .
([١١]) المصدر نفسه ، مادة حرة بني هلال .
([١٢]) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٧٧ .
([١٣]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٨٧ .

جنوب مكة (١) .

ونزل قسم من بني سليم الحجاز (٢) ، وسكن قسم آخر نجد ، حيث كانت لهم حرة تسمى حرة سليم (٣) ، وبذلك تكون ديار بني سليم جنوب شرقي يثرب ، وكان بنو سليم " بادية إلا من سكن السوارقية فهم ثابتون بها والآخرون بادون حواليها ، يميرون طريق الحجاز ونجد في طريق الحجاج " (٤) .

ونزلت غطفان في الأكوام ورحرحان وحزم بني عوال (٥) ، وبذلك تكون ديارهم شرق شمال الحجاز وغرب شمال نجد .

ونزلت بنو أسد في جبل القنان وجبل جلس وجبل أبان الأسود (٦) ، ومن مياههم لينة (٧) ، وبذلك تكون منازلهم في شمالي نجد .

وحلت طيء في سمير وفيد في جوار بني أسد ، ثم غلبتهم على جبلي أجأ وسلمى (٨) ، ومن مياههم العذيب (٩) ، وبذلك تكون ديار طيء في شمالي نجد (١٠) .

ونزلت ضبة بلاد نجد ثم انحدروا حتى خالطوا أطراف هجر ، ونزلوا بين اليمامة وهجر (١١) ، ومن مياههم لغاط (١٢) ومبين (١٣) ومبايض (١٤) ، وينشار (١٥) ، ويذلك تكون ديارهم في شرقي الجزيرة العربية بين اليمامة والبحرين .

---

(١) انظر ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة بيشة ، برك ، حنين ، أوطاس .
(٢) المصدر نفسه ، مادة الحجاز .
(٣) ، الأصفهاني ــ بلاد ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة حرة سليم .
(٤) السلمي ــ أسماء ، ص ٦٥ .
(٥) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة أبانان ، جلس ، القنان .
(٦) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة الأكوام ، رحرحان ، عوال .
(٧) الأصفهاني ــ بلاد ، ص ٣٣٢ ــ ٣٣٣ .
(٨) ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .
(٩) الأصفهاني ــ بلاد ــ ص ٣٣٤ .
(١٠) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة سمير ، فيد ، أجأ ، سلمى .
(١١) الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٩ ، ص ١٠ ، البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٩٠ .
(١٢) الأصفهاني ــ بلاد ، ص ٢٦٣ .
(١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨٧ .
(١٤) المصدر نفسه ، ص ٣٢٩ .
(١٥) المصدر نفسه ، ص ٣٣٠ .

ونزلت تميم بلاد نجد ثم انحدروا حتى خالطوا أطراف هجر ، ونزلوا بين اليمامة وهجر (١) ، ومن وديانهم الشيِّطان (٢) ، وبذلك تكون ديارهم في شرقي الجزيرة العربية بين اليمامة والبحرين ، ونزل قسم من تميم في اليمامة (٣) .

ومضى بنو سعد بن تميم فحلوا رمل يبرين وخالطوا عبد القيس في بلاد قطر ، وذهبت طائفة منهم إلى عمان (٤) ، ومن مياههم الحرباء (٥) والغميم (٦) ، وبذلك تكون ديارهم بين قطر وعمان .

وقد نزل بنو باهلة بن يعصر وبنو نمير بن عامر في اليمامة (٧) .

وبعد حرب بكر وتغلب انتشرت بكر وعنزة وضبيعة باليمامة فيما بينها وبين البحرين إلى أطراف سواد العراق ومناظرها وناحية الأبلة إلى هيت وما والاها من البلاد (٨) .

أما بنو حنيفة فقد نزلوا اليمامة (٩) .

ونزلت تغلب في الجزيرة الفراتية (١٠) .

ونزلت عبد القيس من ربيعة البحرين (١١) بعد أن أجلت قبيلة إياد عنها ، وسار فريق من عبد القيس إلى عمان فصاروا شركاء الأزد في بلادهم (١٢) .

وانحازت النمر وعقيلة إلى أطراف الجزيرة وعانات وما دونها إلى بلاد بكر بن وائل وما خلفها من بلاد قضاعة (١٣) .

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٩ ، ص ١٠ ، البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٩٠ .
(٢) الأصفهاني ــ بلاد ، ص ٣٢٥ .
(٣) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٩٠ .
(٤) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٩ ، ص ١٠ ، البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٩٠ .
(٥) الأصفهاني ــ بلاد ، ص ٣٠٥ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ .
(٧) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٩٠ .
(٨) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٨٦ .
(٩) ابن الفقيه ــ البلدان ، ص ٨٦ ، البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٨٥ .
(١٠) ابن الفقيه ــ البلدان ، ص ٨٦ .
(١١) ابن الفقيه ــ البلدان ، ص ٨٦ .
(١٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٨٢ .
(١٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٨٦ .

ونزلت إياد بعد أن أجلتهم عبد القيس عن موطنهم في البحرين إلى العراق في سنداد وعين أباغ ، واصطدموا بالفرس في معارك كان من نتائجها تشتتهم ، فلحق فريق منهم بالشام ودانوا للغساسنة ، ودخل فريق آخر بلاد الروم ([١]) .

ورحلت كندة من حضرموت إلى نجد وأسست إمارة في شمالي نجد وبادية الشام ودومة الجندل ([٢]) ، إلا أن سقوط الدولة الكندية أدى إلى عودتها إلى حضرموت ([٣]) .

وتفرقت الأزد من اليمن فنزل فريق منها البحرين ، وعرفت بتنوخ ، وصعدت إلى جنوبي العراق ، حيث تفرعت لخم إلى فرعين نزل الأول العراق ، وهم آل نصر بن ربيعة الذين آل الأمر إليهم بعد جذيمة الأبرش ، ومنهم كان امراء المناذرة في الحيرة ([٤]) ، والفرع الثاني من لخم نزل جنوبي بلاد الشام في فلسطين ([٥]) ، ونزلت جذام جنوبي الشام في الأرض الممتدة من حدود أيلة (العقبة) إلى ينبع محاذية لساحل البحر الأحمر ([٦]) ، ونزلت عاملة أخت لخم وجذام الشام جنوبي البحر الميت ([٧]) ، واستوطن فريق من الأزد في بلاد الشام ، وهم آل جفنة بن عمرو بن عامر ، فغلبوا الضجاعمة وأقاموا دولة الغساسنة ([٨]) ، ونزلت قبائل الأوس والخزرج ، وهم بنو ثعلبة بن عمرو مزيقياء يثرب ، وسكن بنو حارثة بن عمرو بمر الظهران بمكة وهم خزاعة ، ونزل فريق من الأزد عمان فعرفوا بأزد عمان ، وفريق آخر استوطن السراة ، فعرفوا بأزد السراة أو أزد شنوءة ([٩]) ، .

(١) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٢٥ ، الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢٠ ، ص ٢٣ ، البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٦٧ .
(٢) ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٣٨ .
(٣) البلاذري ــ فتوح ، ص ١٠٩ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة حضرموت ، ج ٢ ، ص ٢٧١ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٥٦ .
(٤) الطبري ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٤٣٧ ، حمزة الأصفهاني ــ تاريخ ، ص ٩٤ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٢٥٦ .
(٥) الهمداني ــ صفة ، ص ١٢٩ .
(٦) ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .
(٧) الهمداني ــ صفة ، ص ١٢٩ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .
(٨) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٣ .
(٩) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٣ ، البلاذري ــ فتوح ، ج ١ ، ص ١٥ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .

ونزلت قبيلة خثعم ما بين وادي بيشة وتربة وما والاها ، وجاورتها قبيلة بجيلة (١) ، وسكنت قبائل سعد هذيم في وادي القرى (٢) ، ، ونزلت بهراء بأعالي الشام بين حلب وحماة (٣) .

ونزلت همدان شرقي بلاد اليمن شمالي صنعاء (٤) ، أما مذحج فأقامت في تثليت ونجران ونواحيها (٥) ، ونزل الأشعريون شمالي زبيد (٦) ، ونزلت مهرة بالشحر من بلاد اليمن (٧) ، ونزلت قبائل حمير المنطقة الغربية لظفار حتى عدن وصنعاء (٨) .

ونزلت قبيلة قضاعة في الشام ، ومنهم سليح الذين استوطنوا ما بين غزة وجبال الشراة من الشام (وجبال الشراة من جبال الكرك) ، ومنهم الضجاعمة الذين ملكوا الشام قبل الغساسنة (٩) ، وبذلك تكون مواطن سليح جنوبي بلاد الشام ، إلا أنه يبدو أن سليح قد انتشرت شمالا ، حيث يرد في أخبار فتوح الشام أن مواطن سليح شمال بلاد الشام (١٠) .

وأقامت جهينة (وهي من قضاعة أيضا) بين ينبع ويثرب (١١) ، وقد انقسمت هذه القبيلة إلى قسمين : فسكن قسم منها الوبر في نواحي جبلي رضوى وعزور ، وسكن قسم آخر المدر حيث سكن بعضهم قرية ينبع ذات المزارع وعيون المياه الغزيرة ، وسكن بعضهم الأخر قرية الصفراء التي تكثر فيها المزارع والنخيل وعيون المياه وتقع فوق ينبع مما يلي المدينة (١٢) ، وبذلك تكون مواطنهم شمال يثرب .

---

(١) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ١٠ .
(٢) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٣٨ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .
(٣) الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٥ ، ص ١٩ .
(٤) الهمداني ــ صفة ، ص ١٠٩ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .
(٥) ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .
(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٥٤ .
(٧) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٢٧ .
(٨) ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .
(٩) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .
(١٠) البلاذري ــ فتوح ، ص ١٥٠ .
(١١) ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .
(١٢) السلمي ــ أسماء، ص ٨ .

ونزلت قبيلة بلي شغبا وبدا بين تيماء والمدينة ([1]) ، وانتشروا من شمال مواطن جهينة إلى عقبة أيلة ([2]) ، وبذلك تكون مواطنهم في شمال الحجاز

ونزل بنو كلب(من قضاعة) بجنب دومة إلى ناحية بلاد طيء من الجبلين وحيزهما إلى طريق تيماء ([3]) ، حيث كان لهم دومة الجندل وتبوك ([4]) ، وبذلك فقد أقام بنو كلب في منطقة البادية الفاصلة بين الشام ونجد .

الوضع الاقتصادي

تحدد البيئة الجغرافية نمط الحياة الاقتصادية ، فحيث توافرت المياه والبيئة الصالحة للزراعة نشأت القرى ، التي يعتمد سكانها على الزراعة وتربية الماشية ، وتنشأ المدن التجارية في المناطق االواقعة على طرق التجارة ، أما المناطق التي لا تصلح للزراعة تسود فيها حياة التنقل .

يرى ابن العبري أنه كان هناك نمطان اقتصاديان في الجزيرة العربية حيث يقول : " وأما سائر عرب الجاهلية بعد الملوك فكانوا طبقتين : أهل وبر وأهل مدر ، فأما أهل المدر فهم الحواضر وسكان القرى وكانوا يحاولون المعيشة من الزرع والنخل والماشية والضرب في الأرض للتجارة ، وأما أهل الوبر ، فهم قُطّانُ الصحارى ، وكانوا يعيشون من ألبان الإبل ولحومها منتجعين منابت الكلأ ومرتادين لمواقع القَطْر ، فيخيمون هنالك ما ساعدهم الخصب وأمكنهم الرعي ، ثم يتوجهون لطلب العشب وابتغاء المياه فلا يزالون في حل وترحال " ([5]) .

يلاحظ من النص السابق أنه يمكن بصورة عامة تقسيم الحياة الاقتصادية في الجزيرة العربية إلى نمطين : النمط المستقر ويظهر في المدن والقرى حيث يعتمد سكان هذا القسم

([1]) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٢٩ .
([2]) ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .
([3]) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٥٠ .
([4]) ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .
([5]) ابن العبري ــ تاريخ ، ص ١٥٨ ــ ١٥٩ ، انظر أيضا : صاعد ــ طبقات ، ص ٥٧ ــ ٥٨ .

على الزراعة وتربية الماشية في مناطق محددة والتجارة بصورة أساسية ، والنمط المتنقل حيث يعتمد سكان هذا القسم على تربية الماشية والتنقل بها .

ففيما يتعلق بالمناطق التي يعتمد سكانها على الزراعة حيث تتوفر مقوماتها ، نشأت القرى ، فهناك قرية الصفراء (وتقع قرب يثرب وسكانها من بني جهينة والأنصار) ، وتوصف بأنها " قرية كثيرة النخل والمزارع وماؤها عيون كلها ، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة وماؤها يجري إلى ينبع " (١) ، وقرية السوارقية (وتقع بين مكة ويثرب وسكانها من بني سليم) ، وتوصف بأنها " قرية غناء كثيرة الأهل بها مزارع ونخيل كثيرة وفواكه ، من موز وتين ورمان وعنب وسفرجل وخوخ وعندهم إبل وخيل وشاء كثير " (٢) ، وهناك قرى أخرى مثل قرية الفرع (وتقع قرب يثرب سكانها من قريش والأنصار ومزينة) (٣) ، وقرية خيف سلام (وتقع قرب يثرب وسكانها من خزاعة) (٤) وغيرها .

واعتمدت الطائف (وسكانها من ثقيف) بصورة أساسية على الزراعة ، ويبدو أن مناخها لعب دورا في ذلك ، حيث اشتهرت بأشجارها ، ففيها يكثر النخل والأعناب والموز والرمان والتين والخوخ والسفرجل والبطيخ (٥) ، وكانت أكثر فواكه مكة تحمل منها (٦) ، ووصفت الطائف بأن فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان (٧) ، وقد صنع الزبيب فيها (٨) ، حيث يضرب بحسنه المثل (٩) ، وقد بولغ في مقدار إنتاج الطائف

---

(١) السلمي ــ أسماء ، ص ٨ .
(٢) السلمي ــ أسماء ، ص ٦٥ .
(٣) السلمي ــ أسماء ، ص ١٩ .
(٤) السلمي ــ أسماء ، ص ٣٥ .
(٥) البلاذري ــ فتوح ، ج ١ ، ص ٦٩ ، المقدسي ــ أحسن ، ص ٧٩ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة الطائف ، ابن بطوطة ــ عجائب ، ص ١٣٢ ، ١٥٤ .
(٦) الأزرقي ــ تاريخ ، ص ١٩٣ ، المقدسي ــ أحسن ، ص ٧٩ .
(٧) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٦١ .
(٨) الإصطخري ــ المسالك ، ص ٢٤ .
(٩) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٣ ، ص ٢٢٧ ، المقدسي ــ أحسن ، ص ٧٩ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة الطائف .

للعني ، حيث يرد أنه كان بوهط من الطائف كَرْم كثير لعمرو بن العاص بلغ عدد شجره مليون عود على مليون خشبة ([1]) .

ويبدو أن ازدهار زراعة الفواكه في الطائف ساعدت على ازدهار إنتاج العسل ، فكان أصحاب العسل في الطائف يؤدون إلى الرسول من كل عشر قرب عسل قربة ([2]) ، وكان لأم سلمة زوج الرسول نسيب في الطائف يهديها عسلا ([3]) .

وازدهرت الزراعة في يثرب ، فكان النخيل أهم مزروعاتها ([4]) ، وكان الشعير يزرع في يثرب أيضا ([5]) ، وكان يزرع في يثرب حب البان (وهي حشيشة تنبت في باديتها) ويحمل منها إلى سائر البلدان ([6]) ، وزرع في يثرب البقول والخضراوات والسلق والبصل والثوم والقثاء والليمون والسفرجل والخوخ والفول والموز والعنب والتين والرمان ([7]) .

وعرف أهل يثرب بعض المعاملات الزراعية ، فقد عرفوا تأجير الأرض الزراعية في يثرب أو استثمارها على نسبة معينة ([8]) .

وكذلك ازدهرت اليمامة بالزراعة ، فكانت مصدرا لطعام مكة حيث تزودهم بالحبوب ([9]) .

وعمل بعض العرب بالصيد حيث كان الصيد مصدر رزقهم ، قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن

([1]) ابن الفقيه ــ البلدان ، ص ٢٢ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة الطائف .
([2]) أبو يوسف ــ الخراج ، ص ٤٠ ، البلاذري ــ فتوح ، ج ١ ، ص ٦٧ .
([3]) البلاذري ــ أنساب ، ص ٤٢٧ .
([4]) اليعقوبي ــ البلدان ، ص ٣١٣ ، السمهودي ــ وفاء ، ج ٢ ، ص ١٥٥ .
([5]) البلاذري ــ أنساب ، ص ٢٧٨ .
([6]) ابن الفقيه ــ البلدان ، ص ٢٥ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة مدينة يثرب .
([7]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ١٤٤ ، الفيروز آبادي ــ المغانم ، ص ١٨٩ ، انظر أيضا حول الزراعة في يثرب : الشريف ــ مكة ، ص ٣٥٧ .
([8]) البخاري ــ صحيح ، ج ٢ ، ص ٨٢٠ ، انظر أيضا : الأفغاني ــ أسواق ، ص ٥٠ ــ ٥١ .
([9]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٨٨ ، انظر أيضا : الفهارس التحليلية للاقتصاد الإسلامي ، ج ١ ، ص ٤٧ ــ ٤٨ .

اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . " (1) ، وقد تحدث عمرو بن معديكرب الزبيدي متحدثا عن مهنة الصيد فقال :

أَبَنِي زِيَادٍ أَنْتُمْ في قَوْمِكُمْ ذَنَبٌ   وَنَحْنُ فُرُوعُ أَصْلٍ طَيِّبِ

نَصِلُ الخَمِيسَ إلى الخَمِيسِ وأنتم   بالقَهْرِ بين مُرَبِّق ومُكَلِّب

حُيُدً عن المعروف سعي أبيهم   طلب الوعول بوَفْضَةٍ وبأَكْلُبِ (2)

وقال الأعشى :

ذو صبية كَسْب تلك الضاريات لهم   قد حالفوا الفقر واللأواء أحقابا (3)

وقال ربيعة بن مقروم الضبي :

إذا لم يحترز لبنيه لحما   غريضا من هوادي الوحش جاعوا (4)

وقال الشماخ بن ضرار الذبياني واصفا الصياد :

أبو خمس يُطِفن به صِغار   غدا منهن ليس بذي بتات (5)

وأما المناطق الواقعة على طرق التجارة ، فقد عمل سكانها بالتجارة ، وأشهر من اشتهر بذلك قريش ، حيث كانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن ، وفي الصيف إلى الشام ، " فيمتارون ويتجرون " ، ويبدو أن المكانة الدينية لقريش لعبت دورا في نجاح قريش التجاري ، فكانوا في رحلتهم آمنين " لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته ، فلا يتعرض لهم ، والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم " (6) ، فقريش صاحبة البيت وسادنة الكعبة ، وأرضها حرام وحرمها آمن ، لا يحل فيه قتال ولا غزو (7) .

---

(1) سورة المائدة ، الآية ٩٤ .
(2) عمرو بن معديكرب ــ ديوان ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٢ ، ص ٣٠٩ ــ ٣١٠ ، الخميس : الجيش ، القهر : موضع ، مربق : يشد الغنم بالربقة ، مكلب : صائد بالكلاب ، حيد : مائلون ، وفضة : : جعبة السهام .
(3) الأعشى ــ ديوان ، ص ٣٦٣ ، الضاريات : الكلاب ، اللأواء : المحنة والشدة ، أحقاب : مدة طويلة من الزمن .
(4) المفضل ــ المفضليات ، ص ١٨٩ ، غريض : طري .
(5) الشماخ ــ ديوان ، ص ٧٠ ، بتات : متاع .
(6) الزمخشري ــ الأمكنة ، ج ٢ ، ص ٤٨٧ .
(7) اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٨ .

ويبدو أن أحد العوامل التي أدت إلى ازدهار التجارية القرشية عمل قريش على تكوين رأس مال كبير وذلك عن طريق الشراكة بين البطون المختلفة في القوافل التجارية (١) .

وكذلك لعبت الدبلوماسية القرشية دورا في ازدهار التجارة القرشية ، وذلك عن طريق ما أطلق عليه اسم الإيلاف (٢) ، حيث يذكر أنه " عندما أصابت مكة سنوات من الجدب ذهبت بالأموال خرج هاشم إلى الشام وقابل قيصرا ، وطلب منه أن يكتب له أمانا بدخول بلاده ، وكان له ما أراد حيث كتب قيصر له أمانا لمن يقدم من التجار القرشيين إلى بلاده ، وأقبل هاشم بذلك الكتاب وجعل كلما مر بحي من العرب بطريق الشام يأخذ من أشرافهم إيلافا " (٣) ، ولم تقتصر هذه الدبلوماسية على العلاقات مع البيزنطيين وعرب الشام ، فبعد أن " أخذ هاشم حبلا من ملوك الشام والروم وغسان أخذ لهم أخوه عبد شمس حبلا من النجاشي الأكبر وأخذ لهم أخوه نوفل حبلا من الأكاسرة وأخذ لهم أخوه المطلب حبلا من ملوك حمير " (٤) .

وكان هاشم أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء إلى الشام ورحلة الصيف إلى اليمن (٥) .

أدى هذا إلى وصول تجارة قريش إلى كافة المناطق المحيطة بالجزيرة العربية ، حيث اقتسم أبناء عبد مناف المناطق المجاورة ، فكان متجر هاشم الشام ، ومتجر عبد شمس الحبشة (٦) ، ومتجر المطلب اليمن (٧) ، ومتجر نوفل العراق (٨) ، وقد وصلت تجارة قريش

---

(١) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٢٣٢ ، الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٩ ، ص ٥٦ .
(٢) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥٩ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، انظر حول الإيلاف : درادكة ــ بحوث ، ص ٩٢ ــ ١١٦ ، وحول أهداف الإيلاف : بيضون ــ الحجاز ، ص ٧٦ ، وحول الآثار الاجتماعية للإيلاف : سحاب ــ إيلاف ، ص ٤٠٠ ــ ٤٠٥ .
(٣) المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٣٣ .
(٤) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ١٦ ، الفاسي ــ شفاء ، ج ٢ ، ص ٨٤ .
(٥) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٤٣ .
(٦) انظر حول تجارة قريش مع الحبشة :
CRONE - MECCAN TRADE , P 124 - 129 .
(٧) انظر حول تجارة قريش مع اليمن :
CRONE - MECCAN TRADE , P 120 - 121 .
(٨) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٤٧ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٦٢ .

إلى أنقرة (١) ، وتاجرت قريش مع الحيرة (٢) ، حيث أدت بعض المشاكل التي ثارت حول إحدى القوافل التجارية بين مكة والحيرة إلى نشوب حرب الفجار (٣) .

أدى هذا النشاط التجاري إلى توسع كبير لأعمال قريش التجارية ، يدل على ذلك المقدار الضخم للقوافل القرشية ، فقد كانت قافلة قريش إلى الشام يوم بدر التي كان يقودها أبو سفيان في بدر (٤) تتكون من " ألف بعير فيها أموال عظام بلغت نحو خمسين ألف دينار " (٥) ، وبلغت إحدى قوافل قريش ألفا وخمسمئة بعير (٦) ، وأرسل عبد الله بن جدعان ألفي بعير إلى الشام تحمل إليه البُرّ والشَهْد والسمن للفقراء (٧) ، وبلغت قافلة أخرى خمسة وعشرين ألف بعير (٨) . وقد خرج النبي في إحدى هذه القوافل إلى الشام وهو صغير مع عمه أبي طالب (٩) ، كما عمل بالتجارة لخديجة بنت خويلد وهو كبير (١٠) .

كانت التجارة المورد الرئيس لقريش ، لذلك فقد وجد المسلمون أن أفضل طريقة لمحاربة قريش هي الحرب الاقتصادية وذلك بقطع طريق تجارتها ، ولم يقتصر قطع المسلمين للطريق التجاري مع قريش على الطريق الشمالي ، بل قطعوا الطريق الجنوبي فقد خرج زيد بن حارثة يترصد تجارة قريش من الطائف في أرض نخلة (١) ، ولعبت هذه الحرب دورا كبيرا في الصراع بين المسلمين وقريش ، مما أدى إلى إرغام القرشيين في النهاية على التعاقد مع النبي ، ثم استسلام مكة للمسلمين (٢) .

لقد جلبت التجارة القرشية كثيرا من الثروات المالية لقريش ، فعلاوة على الأرباح التي

---

(١) النويري ــ نهاية ، ج ١٦ ، ص ٣٣ .
(٢) كستر ــ الحيرة ، ص ٨ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ٢١ .
(٤) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢٥٧ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٢١ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ١١٦ .
(٥) الواقدي ــ المغازي ، ص ٩٨ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٠ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٧ ، ١٨ .
(٨) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٦١ .
(٩) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٦٦ .
(١٠) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٩٩ .

---

(١) البلاذري ــ أنساب ، ص ٢٣٧ .
(٢) أبو يوسف ــ الخراج ، ص ١٣٠ .

تجنيها قريش من التجارة ، كانت قريش تفرض الإتاوات على التجار الغرباء وعلى العرب الذين لا يرتبطون مع قريش بحلف ([1]) ، وكانت قريش تعشر من يدخل مكة من تجار الروم([2]).

أدى عمل قريش بالتجارة إلى إتخاذ إجراءات لتأمين الطريق التجارية ، فكانوا يرسلون الرواد والمستطلعين قبل الرحيل حتى يتعرفوا أخبار الطريق ، كما حدث في غزوة بدر ، حيث علموا أن المسلمين يتربصون بقافلة قريش وأسرعوا إلى مكة واستنفروا أهلها ([3]) .

كانت التجارة القرشية هي أحد الموارد الأساسية لأهل مكة ، فمكة في واد غير ذي زرع ، ومن ثم فهي لا تنتج المواد الغذائية لأهل مكة ، لذلك كانت قريش تستورد من العراق وفارس التمر والشعير ([4]) ، وكانت أكثر فواكه مكة تحمل من الطائف ([5]) ، ونقلت قريش العطر من اليمن إلى مكة ([6]) .

أدى عمل قريش التجاري إلى ظهور أنماط تجارية في التعامل ومن ذلك التعامل بالربا ، وهو ما نهى الإسلام عنه ، قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . " ([7]) ، وقال أيضا : " يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون . " ([1]) .

وقد أدى عمل قريش البطاح بالتجارة إلى إهمالها النواحي العسكرية ، وإلى اعتمادها في حروبها على حلفائها من قريش الظواهر والأحابيش ، يدل على ذلك قول أبو سفيان بن الحارث يوم بدر :

([1]) المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٥٨ ، الفاسي ــ شفاء ، ج ٢ ، ص ٧٢ .
([2]) الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٠١ .
([3]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٦٠ .
([4]) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .
([5]) الأزرقي ــ أخبار، ص ١٩٣ ، المقدسي ــ أحسن ، ص ٧٩ .
([6]) الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١ ، ص ٦٤ ــ ٦٥ ، المقدسي ــ أحسن ، ص ٩٧ ، انظر أيضا حول المواد التي تاجرت بها قريش : الشريف ــ مكة ، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ .
([7]) سورة البقرة ، الآية ٢٧٨ .

حسبتم جلاد القوم عند قبابهم   كمأخذكم بالعين أرطال آنك [٢]

ولا يبدو أن تجارة قريش اقتصرت على التجارة البرية ، بل يبدو أنها عرفت التجارة البحرية ، فقد كانت الشعيبة مرفأ مكة [٣] ، حيث تحطمت سفينة للروم قبل البعثة النبوية بخمس سنوات [٤] ، ويذكر أنه قد حملت سفينتان للتجار المسلمين من الشعيبة إلى أرض الحبشة [٥] ، فقد كانت أرض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها يجدون فيها " رفاغا (سعة) من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا " [٦] ، كما حمل النجاشي المسلمين على سفينتين من سفن الحبش [٧] ، وكذلك كانت جدة فرضة (ميناء) أهل مكة [٨] .

أدى امتلاك قريش للثروات الكبيرة إلى إدراكها أهمية الزراعة ، وكان توسع قريش الزراعي في الطائف حيث كان للعباس بن عبد المطلب أرض في الطائف [٩] ، وكذلك كان لعتبة وشيبة ابني ربيعة أرض في الطائف [١٠] .

وازدهرت يثرب بالتجارة ، فكان من أسواق يثرب سوق بني قينقاع وسوق زبالة وسوق الجسر وسوق الصفاصف وسوق البطحاء ، وفيها كان بنو سليم يبيعون الخيل والإبل والغنم والسمن [١١] ، وكان لبني قينقاع سوق للصاغة في يثرب [١٢] .

ويبدو أن تجارة يثرب لم تقتصر على التجارة الداخلية والتجارة الخارجية البرية ، بل عرفت أيضا التجارة البحرية ، فقد كان الجار ميناء يثرب على البحر الأحمر ويقع على بعد ثلاثة أيام منها ، وإليه ترسى مراكب التجار والمراكب التي تحمل الطعام من مصر [١٣] ،

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٣٠ .
(٢) ابن سلام ــ طبقات ، ص ٢٠٨ ، آنك : فضة .
(٣) الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٥٧ ــ ١٦٠ .
(٤) الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٥٧ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .
(٥) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٢٨ .
(٧) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٢٢٩ .
(٨) الإصطخري ــ المسالك ، ص ٢٣ .
(٩) الأزرقي ــ أخبار ، ص ١١٤ ، البلاذري ــ فتوح ، ص ٦٨ .
(١٠) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٦١ .
(١١) ابن شبه ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٣٠٦ ، السمهودي ــ وفاء ، ج ١ ، ص ٥٤٤ ، ج ٢ ، ص ٧٤٧ .
(١٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٣ ، ص ٥١ .
(١٣) اليعقوبي ــ البلدان ، ص ٣١٣ .

فالجار " فرضة ترفأ إليها السفن من أرض الحبشة ومصر وعدن والصين وسائر بلاد الهند ، وبحذاء الجار جزيرة في البحر تكون ميلا في ميل لا يعبر إليها إلا بالسفن وهي مرسى الحبشة خاصة يقال لها قراف وسكانها تجار كنحو أهل الجار " (١) .

وقد اشتغل سكان الحيرة بالتجارة ،" لقرب الحيرة من الفرات مما يتيح لأهلها أن يركبوا السفن في الفرات حتى الأبلة ، ثم يركبوا السفن الضخام من هناك فيطوفون بالبحار إلى الهند والصين من جهة المشرق ، وإلى البحرين وعدن من جهة المغرب ، وكانت تتوارد على الحيرة المتاجر العظام لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر من الصين والهند وغيرها " (٢) ، وكذلك قامت علاقات تجارية بين الحيرة ومكة (٣).

كما أن هذا الازدهار التجاري في الجزيرة العربية أدى إلى عمل بعض القبائل في مهن ذات ارتباط بالتجارة ، فقد كان بعض العرب يعمل دليلا يرشد القافلة أن تضل في مجاهل الصحراء (٤) ، وكان بعض العرب يعمل خفيرا حاميا يمنع القافلة من النهب والغارة (٥) .

ونشأ عن ازدهار التجارة انتشار كثير من الأسواق في أنحاء الجزيرة العربية ، فمن أسواق العرب : سوق دومة الجندل شمالي نجد ، وسوق خيبر ، وسوق الحيرة ، وسوق الحجر باليمامة ، وسوق صحار ودبا بعمان ، وسوق المشقر بهجر ، وسوق الشحر ، وسوق حضرموت ، وسوق صنعاء وعدن ، ونجران ، وغير ذلك من الأسواق الكثيرة (٦) .

---

(١) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة الجار .
(٢) البكري ــ ــ معجم ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ .
(٣) كستر ــ الحيرة ، ص ٨ ، ٢١ ، انظر :
CRONE - MECCAN TRADE , p 426 , 433 ..
(٤) الواقدي ــ المغازي ، ص ٨٦ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٨٩ .
(٥) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٦٤ ، الجاحظ ــ رسائل ، ص ٦٥ .
(٦) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٦٣ ، المرزوقي ــ الأزمنة ، ص ١٧٠ ، انظر حول سوق دومة الجندل :
CRONE - MECCAN TRADE , P 131 , 140 , 144 , 151 .
,وانظر حول سوق الشحر :
CRONE - MECCAN TRADE , P 12 - 29 , 51 - 53 .

وكانت بعض القبائل تعتمد على الغزو في تحصيل رزقها ، ويبدو أن حصول الجدب في مناطق معينة مقابل مناطق مخصبة يؤدي إلى غزو القبائل المجدبة للقبائل المخصبة وذلك للحصول على المرعى ، كما يتضح من قول معاوية بن مالك العامري :

إذا سقط السماء بأرض قوم   رعيناه وإن كانوا غضابا ([١])

وعمل بعض العرب بالصناعة في المناطق الحضرية ، وكان العمل بالصناعة عرضة للسخرية عند القبائل البدوية ، قال عمرو بن كلثوم معرضا بعمرو بن هند :

لحا الله أدنانا إلى اللؤم زُلْفة   وألأمنا خالا وأعجزنا أبا

وأجدرنا أن ينفخ الكيرَ خاله   يصوغ القروط والشنوف بيثربا ([٢])

إلا أن هذه النظرة كانت تقتصر على القبائل البدوية ، أما المناطق المتحضرة فكانت نظرتها للأعمال الصناعية مختلفة ، فقد اشتهر كثير من أشراف قريش بالعمل بالصناعات المختلفة ، حيث يبدو أن قريشا عندما أدركت المكاسب التي تتحقق من العمل بالصناعات عملت بها ، وأدار أشراف قريش كثيرا من هذه الصناعات ، فقد كان صفوان بن أمية يشتغل بتجارة الفضة النقر (المذابة) والآنية الفضية ([٣]) ، وكان سعد بن أبي وقاص يبري النبل ، وكان الوليد بن المغيرة حدادا ، وكان العاص بن هشام حدادا ([٤]) ، وكان أمية بن خلف يبيع البرم ([٥]) ، واشتغل عتبة بن أبي وقاص بالنجارة ([٦]) ، وكان خباب بن الأرت قينا يعمل السيوف ([٧]) ، وكان العوام وعثمان بن طلحة وقيس بن مخرمة خياطين ([٨]) ، إلا أن أصحاب الصناعات لم يكونوا فقط من العرب فقد كان يقيم في مكة نجار قبطي ([٩]) .

([١]) السهيلي ــ الروض ، ج ٢ ، ص ١٧٤ .
([٢]) النويري ــ نهاية ، ج ١ ، ص ٨٢ .
([٣]) الفاسي ــ شفاء ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .
([٤]) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ١٩٤ ، ٥٧٥ .
([٥]) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ١٩٤ ، ٥٧٥ ، ابن رسته ــ الأعلاق ، ص ٢١٥ .
([٦]) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ١٩٤ ، ٥٧٥ ، ابن رسته ــ الأعلاق ، ص ٢١٥ .
([٧]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٣٨٣ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١٧٦ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
([٨]) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٥٧٧ ، ابن رسته ــ الأعلاق ، ص ٢١٥ ، البلاذري ــ أنساب ، ص ٤٢٧ .
([٩]) النهروالي ــ الإعلام ، ص ٥٠ .

وفي يثرب احترف يهود بني قينقاع صناعة الحلي وأدوات الزينة وصناعة الأسلحة والدروع ([١]) ، حيث وجد المسلمون في حصون بني قينقاع سلاحا كثيرا وآلة للصياغة ([٢]) ، وكذلك عمل بعض الأنصار في الصناعات فكان أبو سيف حدادا في المدينة ([٣]) .

ومن الصناعات الأخرى الدباغة ، حيث كانت الطائف بلد الدباغ يدبغ بها الأهب الطائفية المعروكة ([٤]) .

الوضع الديني

عرفت الجزيرة العربية قبل الإسلام عددا من الديانات ، وقد ذكر القرآن هذه الديانات ، قال تعالى : " إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد . " ([٥]) .

وكانت الديانة الوثنية التي تقوم على تقديس الأوثان والأصنام هي الديانة السائدة ، إلا أن تقديس هذه الأوثان والأصنام لم يكن قائما على أساس أن هذه الأصنام والأوثان آلهة ، بل على أن تقديسها نوع من العبادة لله ، قال تعالى : " ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار . " ([٦]) ، وقال تعالى : " ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون . " ([٧]) .

([١]) السمهودي ــ وفاء ، ج ١ ، ص ١٩٨ .
([٢]) الواقدي ــ المغازي ، ص ١٤٢ .
([٣]) ابن الأثير ــ أسد ، ج ١ ، ص ٣٨ ــ ٣٩ ، انظر أيضا حول الصناعة في يثرب : الشريف ــ مكة ، ص ٣٧٦ .
([٤]) الهمداني ــ صفة ، ص ٢٦٠ .
([٥]) سورة الحج ، الآية ١٧
([٦]) سورة الزمر ، الآية ٢ .
([٧]) سورة الزمر ، الآية ٣٨ .

ويفسر صاعد الأندلسي عبادة العرب للأصنام والأوثان بقوله : " وجميع عبدة الأوثان من العرب موحدة لله ، وإنما كانت عبادتهم ضربا من التدين بدين الصابئة ، في تعظيم الكواكب والأصنام الممثلة بها في الهياكل ، لا على ما يعتقده الجهال بديانات الأمم وآراء الفرق من أن عبدة الأوثان ترى أن الأوثان هي الآلهة الخالقة للعالم ، ولم يعتقد قط هذا الرأي صاحب فكرة ولا واربه صاحب العقل " (١) .

فقد كان العرب يؤمنون بالله ، وأن الأصنام مثل اللات والعزى إن هي إلا عوامل تقرب إلى الله ، قال أوس بن حجر :

وباللات والعزى ومن دان دينها   وبالله إن الله منهن أكبر (٢)

واعتقد العرب بأن الله هو الحامي ، قال افنون التغلبي :

لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي   إذا هو لم يجعل له الله واقيا (٣)

واعتقد العرب بأهمية العمل الصالح عند الله ، قال أبو قيس بن الأسلت :

أجرت مخلدا ودفعت عنه   وعند الله صالح ما أتيت (٤)

ويبدو أنه كان هناك تمييز بين الصنم والوثن ، فالصنم يكون على هيئة تمثال من مادة غير حجرية والوثن يكون حجرا (٥) ، فالتمثال إذا كان معمولا من خشب أو ذهب أو من فضة على صورة إنسان فهو صنم وإذا كان من حجارة فهو وثن (٦) .

كان بعض الأصنام على صورة إنسان ، فكان الجِلْسِد " صنم بحضرموت على شكل جثة الرجل العظيم وهو من صخرة بيضاء لها كرأس أسود ، وإذا تأمله الناظر رأى فيه كصورة وجه الإنسان " (٧) .

---

(١) صاعد ـــ طبقات ، ص ٥٨ ـــ ٥٩ .
(٢) أوس ـــ ديوان ، ص ٣٦ ، ابن الكلبي ـــ الأصنام ، ص ٧ .
(٣) المفضل ـــ المفضليات ، ص ٥٢٣ .
(٤) أبو الفرج الأصفهاني ـــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ١٤ .
(٥) ابن الكلبي ـــ الأصنام ، ص ٣٣ ، ٥٣ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٥٣ .
(٧) ياقوت ـــ معجم البلدان ، مادة حضرموت .

وكان بعض الأصنام على أشكال أخرى ، فكان ذو الخلصة " صخرة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن " ([1]) ، وكان سعد " صخرة طويلة بفلاة بساحل جدة " ([2]) .

ويبدو أن بعض الأصنام كانت على صورة طيور ، فعندما نزل الرسول مكة وقضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ([3]) .

وقد تكون الأصنام على صورة الحيوانات ، فكان لجرهم ثمثالا غزالين من ذهب ([4]) .

وأما النصب فهو حجر يكون للعبادة أو متحجر تحول إلى صنم يعبدونه ويقدسونه ويطوفون به ويعترون (يذبحون) عنده ([5]) .

اعتقد العرب أن الصنم هو الذي يحارب عن القبيلة ، والحرب بين القبائل هي حرب بين الآلهة ، لذلك حملوا الأصنام معهم في الحروب ، قال الشاعر :

وسار بنا يغوث إلى مراد   فناجزناهم قبل الصباح ([6])

وقد حملت قريش في معركة أحد اللات والعزى ([7]) .

واعتقد العرب بأن بعض الصخور التي عبدوها كانت عبارة عن مسوخ لبشر ، فالصفا والمروة صخرتان اعتقدوا أنهما رجل وامرأة مسخا حجرين ، وقد أدى هذا الاعتقاد إلى تحرج بعض المسلمين من السعي بينهما حتى نزل قوله تعالى : " إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله

([1]) ابن الكلبي ـــ الأصنام ، ص ٣٤ .
([2]) ابن الكلبي ـــ الأصنام ، ص ٣٧ ، ابن إسحق ـــ السيرة ، ج ١ ، ص ٨٣ .
([3]) ابن إسحق ـــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٥٤ .
([4]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٤ .
([5]) ابن الكلبي ـــ الأصنام ، ص ٤٢ ، انظر أيضا حول النصب : سميث ـــ محاضرات ، ص ٥٠٦ ـــ ٥٠٨ .
([6]) ابن الكلبي ـــ الأصنام ، ص ١٠ .
([7]) الطبري ـــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

شاكر عليم . " (١) ، واعتقدوا أيضا أن إساف ونائلة رجل وامرأة مسخا حجرين وكانا على موضع زمزم (٢) .

ولم تقتصر صناعة الأصنام على الأصنام الحجرية والخشبية ، فقد صنع بعض العرب أصنامهم من التمر ، كما فعلت بنو حنيفة ، قال الشاعر :

أكلت حنيفة ربها   زمن التقحم والمجاعة

لم يحذروا من ربهم   سوء العواقب والتباعة (٣)

ولم يكن كثير من العرب يعتقدون فعلا بقداسة الأصنام ، فكان كثير من الأعراب يسخرون من الأصنام ويهزأون بها (٤) ، فلم تكن كثير من العرب يرون حقا أهمية الرجوع إلى رأي الأصنام ، فعندما قتل أبو امرئ القيس وأراد الطلب بثأره ، أتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام ، فخرج السهم ينهاه عن ذلك فقال :

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا

مثلي وكان شيخك المقبورا

لم تنه عن قتل العداة زورا (٥)

وأتى رجل من بني ملكان (من بني كنانة) إلى سعد ، وهو صخرة طويلة بأرضهم ، بإبل معه يلتمس البركة ، فلما رأت الإبل ما على الصخرة من الدم المهراق نفرت وتفرقت في كل وجه فأخذ حجرا رمى به سعدا ثم أنشد :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا   فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعى لغي ولا رشد (٦)

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٥٨ .
(٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٨٤ .
(٣) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٢٠٥ ، صاعد ــ طبقات ، ص ٥٧ .
(٤) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ٣٧ .
(٥) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ٣٥ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٩١ .
(٦) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ٣٧ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٨٥ .

وكان اعتقاد العرب أن الصنم قد يضر وينفع ، دافعا لهم لتقديس هذه الأصنام ، فعندما أوقف سادن الصنم الفلس ناقة لامرأة من كلب في فناء الصنم فأرسلت المرأة جارها مالك بن كلثوم الشمجي ليطلقها فأطلق سبيلها برمحه فغضب السادن وقال :

يا رب إن مالك بن كلثوم

أخفرك اليوم بناب علكوم

وكنت قبل اليوم غير مغشوم

ولما لم يصبه شيء رفض عدي بن حاتم الطائي عبادته وعبادة الأصنام وتنصر (١) .

أما تعليل نشأة عبادة الأصنام والأوثان ، فأحد التعليلات بأنها ناشئة في البدء عن تقديس مكة ، حيث يذكر ابن الكلبي : " وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصبابة بمكة فحيثما حلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل " (٢) .

وهناك من يرى بأن مصدر هذه العبادة كان من خارج الجزيرة العربية ، حيث يروون أن عمرو بن لحي زعيم خزاعة ، أتى بالأصنام من البلقاء بالشام عندما استشفى في إحدى حماتها وبرئ فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة (٣) ، فقد أتى عمرو بن لحي بهبل من مآب بأرض البلقاء فقدم به مكة ونصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه (٤) ، وكان لمكانة عمرو بن لحي الدينية ، حيث كان يتولى أمر البيت ، دور في نشر هذه العبادة بين كافة القبائل العربية .

---

(١) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ٦١ ، ناب : ناقة ، مسنة ، علكوم : شديدة .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

وكان يطلق على رجل الدين الذي يتولى أمر العناية بالصنم والوثن السادن، وكان للكعبة سادن وهو من يستر الكعبة ثم ترك استخدام السدانة للكعبة وصارت تسمى حجابة (١) .

كان لكل قبيلة صنم خاص تقدسه ، فقد اتخذت هذيل سواعا ، وكان لهم برهاط من أرض ينبع ، واتخذت كلب ودا بدومة الجندل ، واتخذت أنعم من طيء وأهل جرش من مذحج يغوث بجرش ، واتخذت خيوان من همدان يعوق بأرض همدان من بلاد اليمن ، واتخذت ذو الكلاع نسرا بأرض حمير (٢) .

اعتقد العرب حلول الله في هذه الأماكن التي عبدوها ، فقد قال العرب " ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف " (٣) " ويشتو بالعزى لحر تهامة " (٤) .

اعتقد العرب بأنهم كانوا يكلمون من هذه الأماكن ، فكانوا يعتقدون أن في صخرة اللات والعزى شيطانين يكلمان الناس (٥) .

وعبد بعض العرب الشجر ، فكانت ذات أنواط شجرة عظيمة خضراء كانوا يأتونها كل سنة تعظيما لها فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها وكانت قرب مكة (٦) ، وكان ببطن نخلة ثلاث سمرات (شجرات) بني عليها بيت للعزى وأقيم لها غبغب (منحر) ينحرون فيها ضحاياهم (٧) .

وكانت العرب الذين على دين الوثنية يقسمون إلى ثلاثة أقسام : الحمس والحلة والطلس ، فالأحمس هو " المتشدد على نفسه في الدين " (١) ، والحمس هم قريش وكنانة وخزاعة ومن ولدته قريش خاصة من العرب ، ولذلك كان بنو ربيعة بن عامر وهم ربيعة

---

(١) العسكري ـــ التلخيص ، ص ٤٠٤ .
(٢) ابن الكلبي ـــ الأصنام ، ص ٩ ـــ ١١ ، ابن إسحق ـــ السيرة ، ج ١ ، ص ٨١ ، ٨٢ انظر أيضا حول الأصنام الخاصة : NOLDEKE - ANCIENT ARABS , VOL , P 660 - 664 .
(٣) الأزرقي ـــ أخبار ، ص ٧٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٤ .
(٥) ياقوت ـــ معجم البلدان ، مادة العزى ، اللات .
(٦) المصدر نفسه ، مادة الأنواط .
(٧) ابن الكلبي ـــ الأصنام ، ص ٢٥ .

وكلاب وعامر حمسا ، حيث ولدتهم مجد بنت تيم بن مرة ، (٢) ، وكان الحمس يتميزون ببعض الممارسات الدينية التي تميزهم عن بقية العرب ، فكانوا لا يخرجون من الحرم إذا

(١) الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٨١ ، ابن دريد ــ الاشتقاق ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .
(٢) الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٧٩ ــ ١٨٠ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٧٨ ، الفاسي ــ شفاء ، ص ٤٢ .

حجوا ، وكانوا لا يسلأون (يستصفون) السمن ، ولا ينسجون مظال الشعر ، وتميزوا بقبابهم الحمر من الأدم ، وشرعوا لمن قدم من الحاج أن يطوف بالبيت وعليه ثيابه ما لم يذهبوا إلى عرفة (خرجوا من الحرم إلى الحل) ، فإذا رجعوا من عرفة لم يطوفوا طواف الإفاضة بالبيت إلا عراة أو في ثوب أحمسي ، وإن طافوا في الثياب لم يحل لهم أن يلبسوها ، وكان الحمس لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وهم حرم ، وكانوا أيام الموسم لا يخرجون إلى عرفات بل يقفون بالمزدلفة ويقولون : " نحن أهل الله ولا نخرج من الحرم " ([١]).

وأما الحلة فهم قبائل تميم وضبة ومزينة والرباب وعكل وثور وقيس عيلان كلها ما خلا عدوان وثقيف وعامر بن صعصعة وربيعة بن نزار كلها وقضاعة وحضرموت وعك وقبائل من الأزد ([٢]) ، وتميزوا ببعض الممارسات الدينية ، فكانوا إذا دخلوا مكة تصدقوا بكل حذاء وكل ثوب لهم ثم استأجروا من ثياب الحمس تنزيها للكعبة أن يطوفوا حولها إلا في ثياب جدد ، ولا يجعلون بينهم وبين الكعبة حذاء يباشرونها بأقدامهم فإن لم يجدوا ثيابا طافوا عراة ، وكان لكل رجل من الحلة حِرْمي من الحمس يأخذ ثيابه ، فمن لم يجد ثيابا طاف عريانا ، فكانت الحلة تستأجر الثياب للطواف في رجوعهم إلى البيت لأنهم كانوا إذا خرجوا حجاجا لم يستحلوا شراء شيء ولا بيع شيء حتى يأتوا منازلهم إلا اللحم ([٣]) ،

وأما الطلس فهم سائر أهل اليمن وأهل حضرموت وعك وعجيب وإياد بن نزار ، وكانوا في ممارساتهم الدينية يصنعون في إحرامهم ما تصنعه الحلة ، ويصنعون في ثيابهم ودخولهم البيت ما تصنعه الحمس ، وكانوا لا يتعرون حول الكعبة ولا يستعيرون ثيابا

([١]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢١١ ، الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٧٩ ــ ١٨٠ ، الفاسي ــ شفاء ، ج ٢ ، ص ٤١ .
([٢]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٧٩ ، اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٩٨ .
([٣]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢١١ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٨١ ، الفاسي ــ شفاء ، ج ٢ ، ص ٤٢ ــ ٤٣ .

ويدخلون البيوت من أبوابها ، وكانوا لا يئدون بناتهم ويقفون مع الحلة ويصنعون ما يصنعون ([١]) .

وعلى الرغم من أن معظم العرب لم يكونوا مؤمنين بالبعث كما يتضح من قوله تعالى : " وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون . " ([٢]) ، حيث أنكروا البعث كما يتضح من قول شداد بن الأسود :

يخبرنا الرسول لسوف نحيا   وكيف لقاء أصداء وهام ([٣])

إلا أن بعض العرب اعتقدوا بالبعث ، فقد كان بعضهم تنحر الناقة على قبره حتى يركبها عندما يبعث ، وقال الشاعر معبرا عن إيمانه بالبعث :

أما والذي لا يعلم السر غيره   ويحيي العظام وهي رميم

لقد كنت أجتاز القرى طاوي الحشا   مخافة من أن يقال لئيم ([٤])

ومن الديانات في الجزيرة العربية الديانة الحنيفية ، وقد ذكرت في القرآن الكريم بأنها ديانة إبراهيم ، قال تعالى : " وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . " ([٥]) ، وقال أيضا : " ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا . " ([٦]) ، وقال أيضا : " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين . " ([٧]) ، وقال أيضا : " ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين . " ([٨]) ، وقال تعالى واصفا الدين الإسلامي بأنه دين الحنيفية أيضا : " إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من

([١]) ابن حبيب ـــ المحبر ، ص ١٧٩ ـــ ١٨١ .
([٢]) سورة الجاثية ، الآية ٢٤ .
([٣]) ابن إسحق ـــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٩ .
([٤]) المرزوقي ـــ الحماسة ، ج ٤ ، ص ١٧١٥ .
([٥]) سورة البقرة ، الآية ١٣٥ .
([٦]) سورة النساء ، الآية ١٢٥
([٧]) سورة النحل ، الآية ١٢٠ .
([٨]) سورة النحل ، الآية ١٢٣ .

المشركين . " ([1]) ، وقال أيضا : " و أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين . " ([2]) .

ويبدو أن الأحناف كانوا يترفعون عن عبادة النصب والتماثيل ويتطلعون إلى دين التوحيد دين إبراهيم ([3]) .

وقد كان للأحناف بعض الطقوس الدينية ، فكانوا لا يأكلون مما ذبح على النصب ، قال زيد بن عمرو : " إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه " ([4]) .

وكان من الأحناف : زيد بن عمرو بن نفيل ، وقس بن ساعدة الإيادي ، وصرمة بن أبي أنس وأمية بن أبي الصلت وخالد بن سنان العبسي وورقة بن نوفل ([5]) ، والمتلمس بن أمية الكناني وزهير بن أبي سلمى وكعب بن لؤي ([6]) .

قال زيد بن عمرو موضحا بعض ما قامت عليه هذه الديانة :

تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بني غنم أزور
ولا هبلا أزور وكان ربا لنا في الدهر إذ حلمي صغير ([7])

وقال أمية بن أبي الصلت :

كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة زور ([8])

([1]) سورة الأنعام ، الآية ٧٩ .
([2]) سورة يونس ، الآية ١٠٥ .
([3]) ابن إسحق ـ السيرة ، ج ١ ، ص ٢٣٧ .
([4]) البخاري ـ صحيح ، ج ٥ ، ص ٥٠ .
([5]) ابن قتيبة ـ المعارف ، ص ٢٧ ـ ٢٩ ، المسعودي ـ مروج ، ج ١ ، ص ٨٨ .
([6]) الألوسي ـ بلوغ ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ ـ ٢٨١ .
([7]) ابن الكلبي ـ الأصنام ، ص ٢٢ .
([8]) الأصفهاني ـ الأغاني ، ج ٤ ، ص ١٢٢ .

وقد حدث اتصال بين الرسول وبعض الأحناف قبل البعثة ، فقد لقي الرسول زيد بن عمرو بأسفل بلدح (واد غرب مكة) ، فقدم إليه الرسول سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها ثم قال " إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه " ([١]) .

ويبدو أن الرسول كان يشعر بالانتماء لهذه الفئة الدينية ، قال الرسول : " بعثت بالحنيفية السمحة " ([٢]) ، وقال الرسول : " أحب الأديان عند الله الحنيفية السمحة " ([٣]) ، وقال عبد الله بن أنيس واصفا المسلمين بأنهم أحناف :

وقلت له خذها بضربة ماجد   حنيف على دين النبي محمد ([٤])

وقالت أمامة المزيرية :

تكذب دين الله والمرء أحمدا   لعمر الذي أمناك أن بئس ما يمني

حباك حنيف آخر الليل طعنة   أبا عفك خذها على كبر السن ([٥])

وكان جميع العرب يقدسون الكعبة ويعتقدون بحرمة مكة ، قال تعالى واصفا مكانة الكعبة ومكة عند العرب قبل الإسلام : " إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين . " ([٦]) ، وقال أيضا : " يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب . " ([٧]) ، وقال أيضا : " جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما

([١]) البخاري ــ صحيح ، ج ٧ ، ص ١٦٥ .
([٢]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ١٢٨ ، ج ٢ ، ص ٢٨٧ .
([٣]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٣ ، ص ٢٨٧ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة حنف .
([٤]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٥٨ .
([٥]) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
([٦]) سورة آل عمران ، الآيات ٩٦ ــ ٩٧ .
([٧]) سورة المائدة ، الآية ٢ .

للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم " . (١) ، وقال أيضا : " أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين . " (٢) ، وقال أيضا : " وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون . " (٣) .

ولم يقتصر تقديس الكعبة على العرب من وثنيين وأحناف ، بل كان نصارى العرب يقدسون الكعبة ، قال عدي بن زيد (وهو نصراني مقسما برب مكة والصليب) :

سعى الأعداء لا يألون شرا   عَلَيَّ وَرَبِّ مكة والصليب (٤)

وكذلك توحي وصية الحبرين اليهوديين للملك اليمني بتقديس الكعبة (حيث طلبوا منه الطواف به وتعظيمه وحلق رأسه عنده) (٥) أن يهود الجزيرة العربية كانوا أيضا يعتقدون بقدسية مكة والكعبة .

وعبد بعض العرب الجن ، قال تعالى : " وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون " (٦) ، فقد عبد الجن بنو مليح من خزاعة (٧) .

فقد اعتقد العرب بالجن وسكنهم بعض المناطق وأنه لا بد من الدخول في حمايتهم عند المرور بهذه المناطق ، " فكان جماعة من العرب إذا صاروا في تيه من الأرض وتوسطوا بلاد الوحوش ، خافوا عبث الجنان والسعالي والغيلان والشياطين ، فيقوم أحدهم فيرفع صوته : إنا عائذون بسيد هذا الوادي ، فلا يؤذيهم أحد ، وتصير لهم بذلك خفارة " (٨) .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٩٧ .
(٢) سورة التوبة ، الآية ١٩ .
(٣) سورة القصص ، الآية ٥٧ .
(٤) الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢ ، ص ١ .
(٥) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٠ .
(٦) سورة الأنعام ، الآية ١٠٠ .
(٧) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ٣٤ .
(٨) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٦ ، ص ٢١٧ .

واعتقد العرب أن الجن يؤذون بعض الناس وقد يقتلونهم ، حيث اعتقدوا أن الجن صرعت علقمة بن صفوان وحرب بن أمية ([١]) .

واعتقد العرب أن الكهان يتلقون علمهم من الجن ([٢]) .

واعتقد العرب بأن الجن يتشكلون على شكل غول ، وأن للغول تأثيرا في الإنسان ، فالغول " كل شيء من الجن يعرض للسفار ويتلون في ضروب الصور والثياب ذكرا كان أو أنثى إلا أن أكثر كلامهم أنه أنثى والسعلاة اسم الواحدة من نساء الجن تتغول لتفتن السفار قالوا وإنما هذا منها على العبث أو لعلها تفزع إنسانا فتغير عقله " ([٣]) .

عرف العرب المجوسية ، فقد كانت المجوسية عند العرب في تميم منهم زرارة بن عدس التميمي وابنه حاجب والأقرع بن حابس وأبو الأسود ([٤]) ، ويبدو أن قربهم من الفرس هو الذي أدى إلى اعتناقهم هذه الديانة (حيث كانوا يقيمون في شرق الجزيرة العربية) .

ومن الديانات التي عرفت عند العرب قبل الإسلام الزندقة ، ويبدو أن الزندقة هي الديانة المزدكية ([٥]) ، التي تقوم على وجود إلهين إله للخير وإله للشر ، حيث يذكر أن حجر بن عمرو كان زنديقا ([٦]) وكان ابنه عمرو المقصور يتزندق حيث قال :

إن تجهلوا دهركم فالدهر يومان   خير وشر هما شيئان اثنان ([٧])

ويبدو أن الزندقة عرفت أيضا في قريش ([٨]) ، حيث يذكر أنه تزندق قوم من قريش فقالوا بالثنوية ([٩]) ، ويبدو أن مركز الزندقة كان الحيرة ومنها انتقلت إلى قريش ([١٠]) ، ويبدو

---

(١) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٦ ، ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ ، المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ١٤٠ ــ ١٤١ .
(٢) المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .
(٣) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٦ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ .
(٤) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٢٠٥ .
(٥) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٢٤١ ــ ٢٤٣ .
(٦) اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٢١٤ .
(٧) الأصمعي ــ تاريخ ، ص ١١٩ .
(٨) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٦١ .
(٩) اليعقوبي ــ تاريخ ، ص ٢٩٨ .
(١٠) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٣٠٥ .

أن محاولة نشر الزندقة في قريش تمت بدعم من الساسانيين للسيطرة على مكة وذلك زمن الملك الساساني قباذ (١) .

كذلك عرف العرب قبل الإسلام الديانة المانوية ، حيث يرد أن عمرو بن هند ملك الحيرة اعتنق المانوية (٢)

وقد اعتنق بعض العرب الديانة اليهودية ، فقد انتشرت اليهودية بين كنانة وكندة (٣) ، كما تهودت همدان (٤) وحمير (٥) ، وكان بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع وبنو بهدل من اليهود (٦) ، وتهود قسم من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير (٧) ، وكان هناك يهود في وادي القرى وتيماء وخيبر ويثرب (٨) ، وكان في مكة يهود ، فقد كان هناك عبد يهودي يسكن مكة وهو عبد الدار بن جبر أسلم وزوجه الرسول امرأة شريفة من بنات مكة (٩) ، ومن اليهود أيضا بنو جنبة في مقنا (١٠) ، وبنو غاديا (١١) ، وبنو عريض (١٢) ، ويهود وادي القرى (١٣) ويهود خيبر (١٤) ، وعرفت اليهوديه أيضا في بني الحارث بن كعب وغسان واليمن (١٥) .

على الرغم من أن البعض يرى أن يهود بني النضير وبني قريظة من العرب حيث ينسبون إلى قبيلة جذام (١٦) ، إلا أن اليهود اعتقدوا أنهم من نسل أنبياء بني إسرائيل ، فيرى

---

(١) كستر ــ الحيرة ، ص ١٠ .
(٢) كرستنسن ــ إيران ، ص ١٩٠ .
(٣) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٣٠٥ .
(٤) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ١٠ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة يعوق .
(٥) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ١١ .
(٦) السمهودي ــ وفاء ، ج ١ ، ص ١٦٣ .
(٧) اليعقوبي ــ تاريخ ، ص ٢٩٨ .
(٨) البلاذري ــ فتوح ، ص ٢٩ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٥٣٩ ، الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٩٤ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٤٠١ ، أبو الفداء ــ المختصر ، ج ١ ، ص ١٢٣ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٥٩٤ .
(٩) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٣٤٩ .
(١٠) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٢٧٦ .
(١١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .
(١٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .
(١٣) الحلبي ــ إنسان ، ص ٢٢١ .
(١٤) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة خيبر ، البكري ــ معجم ، ج ٢ ، ص ٥٢١ ، أبو الفداء ــ المختصر ، ج ١ ، ص ٨٩ .
(١٥) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٢٦٦ ، ابن رسته ــ الأعلاق ، ص ٢١٧ .
(١٦) اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٠ ، ٤٥ .

بنو قينقاع أنهم من نسل يوسف (١) ، ويرى بنو النضير وبنو قريظة أنهم من نسل هارون (٢).

وقد اعتنق اليهودية بعض الأفراد من القبائل العربية وانتقلوا من قبائلهم إلى المجتمعات اليهودية القائمة ، فقد كان جيل بن هوال الذبياني يهوديا وعاش مع بني قريظة ثم أسلم (٣) .

كانت العرب تنظر إلى اليهود بأنهم أهل الكتاب الأول والعلم (٤) ، فقد أرسلت قريش إلى يهود يثرب لتحصل منهم على أسئلة يسألونها للنبي لأنهم كانوا يعتقدون أنهم أهل الكتاب الأول (٥) .

كان في المدينة مجتمع يهودي تعامل الرسول معه بعد الهجرة بعقد الاتفاقات ، فورد في كتاب الرسول لليهود في يثرب : " وانه من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم " (٦) ، فقد أقر الرسول اليهود على دينهم وجعلهم والمسلمين متناصرين على عدوهم المشترك (٧) .

يبدو أن لغة اليهود كانت العربيه ، حيث ظهر فيهم شعراء ، فمن الشعراء اليهود : السموءل بن عادياء وكعب بن الأشرف وجبل بن جوال وسماك (١) .

واعتنق بعض العرب الديانة النصرانية ، قال معديكرب الكندي ذو التاج من ملوك كندة المتنصرين :

ومن يتق الله في أمره ويرجو النجاة ويخشى العبر
ويعلم أن إله السماء ما دونه لامرئ من وزر

---

(١) السمهودي ــ وفاء ، ج ١ ، ص ١١٥ .
(٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٦ ، ج ٣ ، ص ٢٦٠ ، انظر أيضا حول عروبة اليهود في الجزيرة العربية : ولفنسون ــ تاريخ ، ص ١ ، ١٠ ، ١٥ ، ٢٠ ، درادكة ــ العلاقات ، ص ٩١ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، ١٨٦ .
(٣) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .
(٤) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٢١٤ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٦٥ ، ابن كثير ــ البداية ، ج ٤ ، ص ٩٤ .
(٥) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .
(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٠٣ .
(٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٠٣ .

يرى ما ترون وما لا ترون ومن عنده محكمات الزبر

وكان ابناه الأسود وقيس متنصرين ، قال قيس :

من شاء فضلي فإلي يبتدر

ولست أخشى أحدا ممن كبر

في باطن الملك ولا فيما ظهر

إلا المليك المستعان المقتدر

مسخر الشمس لنا مع القمر ([2])

وتنصر من قريش من بني أسد بن عبد العزى عثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل ([3]) .

وكان في الطائف نفر من الموالي على دين النصرانية ([4]) ، ومن النصارى في الطائف عداس الرومي مولى عتبة بن ربيعة ([5]) ، وفي مكة صهيب الرومي وجابر (جبر) ([6]) ، كذلك كان في مكة رقيق حبشي من النصارى ([7]) .

وانتشرت النصرانية في نجران ، حيث عرف فيها فيميون الراهب (الذي كان له دور في نشر النصرانية فيها) ([8]) ، كما يبدو أن إدارة نجران كانت تعتمد على تقاسم السلطتين السياسية والدينية حيث كان وفد نجران برئاسة السيد والعاقب ([9]) ، وكان السيد يتولى السلطة السياسية ، في حين كان العاقب يتولى السلطة الدينية .

([1]) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .
([2]) الأصمعي ــ تاريخ ، ص ١٢٤ .
([3]) اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٩٨ .
([4]) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٣ ، ص ٣٨٩ .
([5]) المسعودي ــ مروج ، ج ١ ، ص ٨٨ .
([6]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢٦١ ، ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٤٢١ .
([7]) الواحدي ــ أسباب ، ص ٢١٢ .
([8]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٣٤ .
([9]) البلاذري ــ فتوح ، ج ١ ، ص ٧٦ .

كان نصارى الشام يعاقبة وكان نصارى العراق نساطرة ([١]) ، وكان نصارى نجران يعاقبة مثل الحبشة والغساسنة ([٢]) .

وكان في الحيرة نصارى علم أحدهم المرقش الأكبر وأخاه حرملة الكتابة ([٣]) ، وكان الصبيان في الحيرة يتعلمون القراءة والكتابة في كنيسة قرية اسمها النقيرة ([٤]) .

ومن كنائس الحيرة بيعة بني مازن لقوم من الأزد ([٥]) وبيعة بني عدي لقوم من لخم ([٦]) وكنيسة الباغوتة ([٧]) .

اعتقد اليهود والنصارى بقدوم نبي ، حيث يرى أهل الكتاب أن النبي من ثقيف أو قريش أو أهل فلسطين ([٨]) .

وعرف العرب عبادة الأجرام السماوية ، فقد عبدت كنانة القمر وفريق من قريش وخزاعة ولخم عبدوا نجم الشعرى ([٩]) .

يلاحظ أن الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي والثلث الأول من القرن السابع الميلادي عرفت عدة ديانات ، إلا أن الديانة الوثنية كانت هي الديانة السائدة ، وكان لكل قبيلة إلهها الذي يميزها عن بقية القبائل الأخرى ، إلا أن جميع القبائل العربية كان يوحد بينها تقديس الكعبة ، على الرغم من اختلاف هذه القبائل في طقوسها أثناء الحج إلى مكة .

([١]) الواحدي ــ أسباب ، ص ٢١٨ .
([٢]) المصدر نفسه ، ص ٢١٨ .
([٣]) الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٥ ، ص ٣٧٥ .
([٤]) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة نقيرة .
([٥]) البلاذري ــ فتوح ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ .
([٦]) البلاذري ــ فتوح ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ ، ياقوت ، مادة بيعة عدي .
([٧]) الهمداني ــ صفة ، ص ١٢٧ .
([٨]) ابن قتيبة ــ طبقات ، ص ٢٢٠ ، الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٤ ، ص ١٢٢ .
([٩]) المسعودي ــ مروج ، ج ٣ ، ص ١٢٠ .

الفصل الثاني

نظام القبيلة

شكلت القبيلة الوحدة الأساسية في المجتمع العربي قبل الإسلام ، وفي هذا الفصل دراسة للقبيلة العربية قبل الإسلام ، ونظامها الداخلي ، والتجمعات القبلية الناشئة عن تفاعل القبيلة مع غيرها من القبائل .

القبائل والتجمعات القبلية

كانت القبيلة هي الوحدة الأساسية في التنظيم الاجتماعي عند العرب قبل الإسلام ، والرابطة الأساسية في القبيلة هي رابطة القرابة أو رابطة الدم ، فأفراد القبيلة من حيث المبدأ يرتبطون ببعضهم من خلال اشتراكهم في النسب ([1]) ، فأفراد كل قبيلة تربط بينهم رابطة العصبية ، وتعد هذه العصبية أساس وحدة القبيلة وتماسكها ([2]) ، حيث يذكر ابن خلدون : " ولا يصدق دفاعهم وذيادهم إلا إذا كانوا عصبية وأهل نسب واحد لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم إذ نعرة كل أحد على نسبه وعصبيته أهم " ([3]) ، وبذلك تظهر أهمية رابطة الدم في التكوين القبلي ([4]) .

إلا أنه لا يبدو أن النسب كان دائما صحيحا ، فقد " كان يحدث اختلاط في النسب ، بالقرابة أو الحلف أو الولاء ، أو فرار شخص من قومه بجناية أصابها إلى قوم آخرين ، فيدعي نسب هؤلاء ، ثم يتناسى النسب الأول " ([5]) .

إلا أنه رغم هذه الاختلافات ، فقد

إلا أنه رغم أن الاشتراك بالنسب هو الرابط الأساسي بين أفراد القبيلة ، إلا أن بعض الأفراد الذين كانوا يرتكبون بعض الأفعال غير المسؤولة التي تسيء للقبيلة كانوا يخلعون من

([1]) ابن منظور ــ لسان ، مادة قبل .
([2]) ابن خلدون ــ العبر ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
([3]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
([4]) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة قبل .
([5]) ابن خلدون ــ العبر ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

القبيلة فيخرجون منها ، حيث يذكر الطبري مثالا على ذلك : " وكانت ناس من العرب يحدثون في قومهم الأحداث ، أو تضيق بهم المعيشة ، فيخرجون إلى ريف العراق ، وينزلون الحيرة " (١) .

وكان هناك عامل آخر يؤدي إلى نشوء التجمعات والروابط القبلية هو عامل الحلف ، حيث يذكر البكري مفسرا نشوء الأحلاف بين القبائل العربية ، " فلما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة ، وتنافس الناس في الماء والكلأ ، والتماسهم في المتسع ، وغلبة بعضهم بعضا على البلاد ، والمعاش ، واستضعاف القوي الضعيف ، انضم الذليل منهم إلى العزيز ، وحالف القليل منهم الكثير ، وتباين القوم في ديارهم ، ومحالهم ، وانتشر كل قوم فيما يليهم " (٢) .

فالأحلاف قد تنشأ بين الجماعات القبلية (٣) ، حيث كان يجوز للجماعات الذين ينضمون بحلف ما إلى قبيلة أن ينسبوا إلى القبيلة التي دخلوا فيها ، أو للقبيلتين معا (٤) ، كما يبدو أن الخلافات بين القبائل كانت من أهم العوامل التي تؤدي إلى نشوء الأحلاف (٥) .

فالحلف في الأساس هو ارتباط بين عدة مجموعات قبلية لتكوين تجمع قبلي كبير ، ومن الأمثلة على هذا النوع من الأحلاف : تحالف العرب على العجم بالأنبار (٦) ، وتحالف العرب بالبحرين على التنوخ (التجمع) لتكوين قبيلة تنوخ (٧) ، وحلف بني نهد بن زيد وبني الحارث بن كعب " (٨) ، حيث يذكر البكري (٩) : " فلحقت نهد بن زيد ببني الحارث بن كعب

---

(١) الطبري ـــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٣٩٢ ، ابن خلدون ـــ العبر ، ج ١ ، ص١٣٠ ـــ ١٣١ .
(٢) البكري ـــ معجم ، ج ١ ، ص ٥٣ .
(٣) النويري ـــ نهاية ، ج ٢ ، ص ٢٨٣ .
(٤) القلقشندي ـــ قلائد ، ص ٢١ ـــ ٢٢ .
(٥) البكري ـــ معجم ، ج ١ ، ص ٥٣ .
(٦) ابن حبيب ـــ المنمق ، ص ٢٨ ، ٢٨٣ .
(٧) الطبري ـــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٣٦٠ .
(٨) البكري ـــ معجم ، ج ١ ، ص ٤١ .
(٩) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤١ .

فحالفوهم وجامعوهم ، ولحقت جرم بن ريان ببني زبيد فحالفوهم وصاروا معهم ، فنسبت كل قبيلة مع حلفائها : يغزون معهم ويحاربون من حاربهم " (١) .

وقد تتحالف قبيلة مع قبيلة أخرى نتيجة حدوث خلاف بينها وبين قبيلة أخرى ، فعندما أراد قصي إنهاء نفوذ خزاعة في مكة ، نتيجة اعتقاده أنه أولى بالبيت من خزاعة ، لكونه من أبناء إسماعيل استنصر عذرة من قضاعة على خزاعة (٢) ، وقد نصرت عذرة قصيا ووقع القتال بين الطرفين الذي انتهى بتحكيم يعمر الكناني في النزاع ، الذي حكم بأن قصيا أولى بالكعبة من خزاعة ، وبذلك تمكن قصي من إزاحة خزاعة عن مكة (٣) .

ووقع الأمر نفسه عندما اختلف قصي مع صوفة من جرهم على الإجازة (٤) ، حيث كانت صوفة هي التي تقوم بالإجازة للناس بالحج من عرفة ، وكان قصي يرى أنه أولى بهذا الأمر منهم ، فاستعان بحلفائه من عذرة من قضاعة وكنانة ، وحدث قتال بين الطرفين انتهى بهزيمة صوفة واستيلاء قصي على الإجازة (٥) .

وقد تنشأ الأحلاف نتيجة هجرة مجموعة قبلية من موطنها الأصلي إلى موطن جديد ، حيث تتحالف مع القبائل الأصلية في الموطن الجديد ، ومن الأمثلة على ذلك ما يذكر من أن قسما من قريش هبط أماكن أخرى فاستقر بها وتحالف مع القبائل التي نزل فيها ومن هؤلاء :

" سامة بن لؤي وقع إلى عمان فولده هناك حلفاء أزد عمان ، والحارث بن لؤي وقع إلى اليمامة فهم في بني هزان من ربيعة ، وخزيمة بن لؤي وقعوا بالجزيرة إلى بني الحارث الشيباني ، وسعد بن لؤي وبنو عوف بن لؤي وقعوا إلى غطفان ولحقوا بهم " (٦) .

---

(١) البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٤١ .
(٢) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٦٨ ، الأزرقي ــ أخبار ، ص ٥٥ ، ٦٥ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٧ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ٧ .
(٣) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٣٣١ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٦٨ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٧ .
(٥) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٣٠ ، ٨١ .
(٦) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٦٨ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٦١.

ومن أنواع الأحلاف التي تنشأ تحالف مجموعات قبلية صغيرة لإقامة مجموعة قبلية كبيرة ، ومن الأمثلة على ذلك حلف الأحابيش ([١]) ، وهم بنو الحارث من كنانة وعضل والديش من بني الهون بن خزيمة والمصطلق والحيا من خزاعة ([٢]) ، حيث اجتمعت هذه القبائل الصغيرة وكونت حلفا بينها فأطلق عليها اسم الأحابيش لتحالفهم بجبل حبيش قرب مكة ([٣]) .

ولم يلبث أن دخل الأحابيش في حلف مع قريش فتحالفوا بالله ([٤]) " إنا ليد تهد الهد وتحقن الدم ما أرسى حبيش " ([٥]) ، حيث " جاءت القبائل المكونة لحلف الأحابيش إلى بني عبد مناف يسألونه الحلف ليعزوا به فعقد بينهم الحلف الذي يقال له حلف الأحابيش ، وكان مدبر بني كنانة الذي سأل عبد مناف عقد الحلف عمرو بن هلال ، وكان تحالف الأحابيش على الركن يقوم رجل من قريش والأخر من الأحابيش فيضعان أيديهما على الركن فيحلفان بالله القائل وحرمة هذا البيت وبالمقام والركن والشهر الحرام على النصر على الخلق جميعا ما بل بحر صوفة ، وما قام حراء أو ثبير وما طلعت شمس من مشرقها إلى يوم القيامة " ([٦]) ، ويلفت الانتباه ورود لفظة يوم القيامة في صيغة هذا الحلف .

ويلاحظ أن الأحابيش شكلوا جزءا من القوة العسكرية القرشية في حروبها المختلفة ، ففي حرب الفجار كانت قريش وكنانة وأسد والأحابيش ضد قيس عيلان ([٧]) ، حيث كان الحليس بن يزيد من الحارث بن كنانة من سادات الأحابيش من رؤساء حرب الفجار من قريش ([٨]) ، وكذلك اشتهر الأحابيش في حروب قريش ضد الرسول ، فيذكر في أحد أنه قد "

([١]) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥٢ ، ٧٦ .
([٢]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٤٦ .
([٣]) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٢٣١ .
([٤]) المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .
([٥]) المصدر نفسه ، ص ٢٣١ .
([٦]) اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٦٢ .
([٧]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
([٨]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٦٩ .

اجتمعت قريش لحرب الرسول بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة " ([١]) ، ويورد الطبري أن أبا عامر الراهب (وهو أحد رؤساء المعارضين للرسول في المدينة) كان رأس الأحابيش مع قريش يوم أحد ([٢]) ، (ويلفت الانتباه هنا أنهم ولوا قيادتهم شخصا ليس منهم) ، وفي مفاوضات صلح الحديبية لعب الأحابيش دور الوسيط في المفاوضات ، حيث أرسلت قريش الحليس سيد الأحابيش إلى الرسول في الحديبية لمفاوضته ([٣]) ، كما أنه عند فتح مكة تجمع الأحابيش للدفاع عن مكة ([٤]) .

وهناك نوع آخر من الأحلاف ، وهو الأحلاف داخل القبيلة الواحدة بين بعض بطون القبيلة ضد بطون أخرى ، فقد أدى نشوب الصراع بين بطون قريش على بعض الوظائف والواجبات ذات الصلة بالرئاسة السياسية ، بعد وفاة قصي بن كلاب إلى ظهور أحلاف داخل القبيلة الواحدة ، عندما أراد بنو عبد مناف أخذ الرفادة والسقاية من بني عبد الدار ، فأبى بنو عبد الدار فتفرقت قريش إلى طائفتين : طائفة مع بني عبد الدار (وهم بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي) وطائفة مع بني عبد مناف (وهم بنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر) ، وعقدت كل طائفة منهما حلفا تحالف كل قوم وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فوضعوها عند الكعبة وتحالفوا وجعلوا أيديهم في الطيب ([٥]) ومسحوا بها الكعبة ([٦]) وسموا المطيبين ، وتعاقد بنو عبد الدار ومن معهم ونحروا جزورا وقالوا : من كان منا يدخل يده في الجزور فغمسوا أيديهم في دمه ([٧]) ، وتحالفوا فسموا بالأحلاف ، وأدخل الأسود

---

(١) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٠١ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥١٢ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٦٢٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٦ .
(٥) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٧٧ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٦٦ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٦٠٤ ، اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٨٧ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١١ ، المسعودي ــ التنبيه ، ص ١٨٠ ، المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٥٩ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ١٨٣ ، ٢٦٧ ، ج ٢ ، ص ٩ ، ابن كثير ــ البداية ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٦٩٤ .
(٦) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٧٧ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥٦ .
(٧) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٣٣ .

(من بني عدي) يده في الدم ولعقها فلعقت عدي فسموا لعقة الدم (١) ، وتعبؤوا للقتال ثم تداعوا إلى الصلح ، واتفقوا على تقسيم الوظائف بينهم ، فأعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة فرضوا بذلك وتحاجز الناس عن الحرب (٢) .

ويظهر أنه كان لإعلان الحلف إجراءات معينة ، تتمثل في غمس المتحالفين أيديهم في مادة سائلة (الطيب أو الدم) كنوع من التوثيق لهذا الحلف القائم بين الطرفين (٣) .

إلا أنه لم يلبث أن ظهر حلف قرشي جديد وهو حلف الفضول ، الذي تشير الروايات أن سببه أن رجلا من زبيد جاء بتجارة اشتراها من العاص بن وائل السهمي ، فمطله حقه ، فنادى على جبل أبي قبيس مطالبا بإنصافه (٤) فاجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو زهرة وبنو تيم في دار الندوة ، (٥) واتفقوا على أن ينصفوا الزبيدي ثم ساروا إلى دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا بينهم (٦) " أن لا يظلم بمكة أحد إلا كنا جميعا مع المظلوم على الظالم حتى نأخذ له مظلمته (٧) ممن ظلمه شريف أو وضيع ، منا أو من غيرنا (٨) ، وفي التآسي في المعاش " (٩) .

يلاحظ أن البطون المشتركة في حلف الفضول هي نفسها البطون المشتركة في حلف المطيبين باستثناء بني نوفل وبني عبد شمس أبناء عبد مناف ، كما يلاحظ أن الإجراءات التمهيدية للحلف وقعت في دار الندوة ، إلا أن الحلف لم يعقد في دار الندوة ، بل عقد في دار

---

(١) الزبيري ــ نسب ، ص ٣٨٣ .
(٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٧٧ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٦٦ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٦٠٤ ، اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٨٧ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١١ ، المسعودي ــ التنبيه ، ص ١٨٠ ، المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٥٩ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ١٨٣ ، ٢٦٧ ، ج ٢ ، ص ٩، ابن كثير ــ البداية ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٦٩٤ .
(٣) الزبيري ــ نسب ، ص ٣٨٣ .
(٤) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٥٢ .
(٥) المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ ، الثعالبي ــ ثمار ، ص ١٤٠ .
(٦) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٧٧ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥٦ .
(٧) الزبيري ــ نسب ، ص ٢٩١ ، الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٦ ، ص ٦٤ .
(٨) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٥٣ .
(٩) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

ابن جدعان التيمي ، وقد يعود هذا إلى عدم اشتراك بني عبد الدار المسؤولين عن دار الندوة فيه .

كما يلاحظ أن الحلفين السابقين (المطيبون والأحلاف) كان هدفهما تحقيق مكاسب جديدة (بالنسبة للمطيبين) أو المحافظة على المكتسبات السابقة (بالنسبة للأحلاف) ، أما حلف الفضول فيبدو أن هدفه هو تحقيق العدالة والإنصاف في مكة .

إلا أن هذا لا يعني عدم وجود مصلحة لقريش في هذا الحلف ، فمن المعروف أن حياة قريش الاقتصادية تعتمد على التجارة ، وتحقيق العدالة في التعامل مع أبناء القبائل العربية داخل مكة يؤدي إلى تأمين طرق قريش التجارية التي تعتمد عليها حياتها الاقتصادية ، ويبدو أن وقوع هذا الحلف في دار ابن جدعان يدل على ظهور زعامات جديدة في مكة ، ويبدو أن الوضع الاقتصادي هو العامل الأساسي في ذلك ، فابن جدعان على درجة عالية من الثراء ، حتى ورد أنه كان يأكل بصحاف من ذهب (١) .

ومن الأحلاف التي تنشأ أحلاف سببها تعرض شخص لاغتصاب حقوقه في قومه ، فيلجأ إلى الاستعانة بقوم آخرين لنصرته ، ومن الأمثلة على ذلك تحالف عبد المطلب مع بني النجار من الخزرج ، نتيجة لاغتصاب عمه نوفل الأركاح (البيوت) التي ورثها عبد المطلب عن أبيه ، حيث لم تقبل قريش الدخول في هذا الخلاف بين عبد المطلب وعمه فاستعان ببني النجار على عمه وتمكن من استعادة حقوقه (٢) .

ويبدو أن هذه الحادثة أدت بعبد المطلب إلى البحث عن حلفاء أقرب مكانيا له من بني النجار المقيمين في يثرب ، فتحالف مع خزاعة (٣) ، حيث دخلت خزاعة وعبد المطلب دار الندوة فكتبوا بينهم كتابا : " هذا ما تحالف عليه عبد المطلب ورجالات من بني عمرو من

---

(١) الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
(٢) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٨٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

خزاعة ومن معهم من أسلم ومالك ، تحالفوا على التناصر والمؤاساة حلفا جامعا غير مفرق ، الأشياخ على الأشياخ والأصاغر على الأكابر والشاهد على الغائب ، تعاهدوا وتعاقدوا ما شرقت الشمس على ثبير ، وما حن بفلاة بعير ، وما قام الأخشبان ، وما عمر بمكة إنسان ، حلف أبد لطول أمد ، يزيده طلوع الشمس شدا ، وظلم الليل مدا ، عقده عبد المطلب بن هاشم ورجال بني عمرو ، فصاروا يدا دون بني النضر ، فعلى عبد المطلب النصرة لهم على كل طالب وتر ، في بر أو بحر أو سهل أو وعر ، وعلى بني عمرو النصرة لعبد المطلب وولده ، على جميع العرب في الشرق أو الغرب أو الحزن أو السهب ، وجعلوا الله على ذلك كفيلا ، وكفى بالله حميلا " ، ثم علقوا الكتاب في الكعبة (١) .

ويبدو أن هذا هو الحلف الذي أشار له سالم بن عمرو الخزاعي عندما استنجد بالرسول قبيل فتح مكة عندما قال :

لاهم إني ناشد محمدا   حلف أبينا وأبيه الأتلدا (٢)

ومن الأمثلة الأخرى على هذا النوع من الأحلاف حلف الغيداق بن عبد المطلب مع بني شيبان السلمي نتيجة لمنع الغيداق من ميراثه من أبيه إذ لم يكن له إخوة من أمه (٣) ، فتحالف مع بني شيبان لاسترداد حقوقه .

وظهر في قريش أحلاف أخرى ، منها مقاطعة قريش لبطني بني هاشم وبني المطلب والمسلمين لدخولهم في الإسلام أو مساندتهم له ، حيث كتبت قريش كتابا بذلك ، وعلقته في جوف الكعبة (٤) تأكيدا على التزامهم به .

وظهرت في قريش أحلاف أخرى ومن ذلك حلف بني عدي وسهم الذي كان سببه طرد بني عدي من مكة لسرقتهم بختية (ناقة) لبني عبد شمس ، حيث لم يعودوا إلى مكة إلا

---

(١) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٨٨ .
(٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٣٦ .
(٣) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٢٣٩ .
(٤) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٠٨ .

بعد تحالفهم مع بني سهم ([1]) .

ويلاحظ أنه كان هناك حرص على كتابة الأحلاف وتوثيقها ، فكانوا يدعون من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيما للأمر وبعدا عن النسيان ([2]) ، وقد أشار إلى ذلك الحارث بن حلزة بقوله :

واذكروا حلف ذي المجاز　　　وما قدم فيه من العهود والكفلاء

حذر الجور والتعدي وهل　　　ينقض ما في المهارق الأهواء ([3])

حيث يقصد بالمهارق القراطيس ، وهذا يدل على كونه حلفا مدونا ([4]) .

وأشار الدينوري إلى كتاب حلف اليمن وربيعة حيث يذكر أنه دون بشهر رجب الأصم ([5]) .

يبدو أنه كان يرافق نشوء الأحلاف بعض الإجراءات الرمزية مثل غمس الأيدي في سائل ، ففي حلف لعقة الدم ([6]) ، غمس كل فريق يده في جفنة ملأى بالدم ، ثم يلعق كل رجل ما علق بيده ([7]) ، وفي حلف الرباب غمس الفريقان أيديهما في الرب (عصير الثمار) ([8]) ، وفي حلف الفضول ([9]) ، عمدوا إلى ماء زمزم ، فجعلوه في جفنة ثم بعثوا به إلى البيت ، فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه ([10]) ، وفي حلف المطيبين ([11]) ، غمس الفريقان أيديهما في جفنة مملوءة طيبا ([12]) .

---

(١) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٨١ .
(٢) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ١ ، ص ٦٩ .
(٣) الحارث ــ ديوان ، ص ٧٧ .
(٤) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ١ ، ص ٦٩ .
(٥) الدينوري ــ الأخبار ، ص ٣٥٤ .
(٦) أبو الفرج لأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٧ ، ص ٢٨٢ .
(٧) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٧ ، ص ٢٨٢ .
(٨) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ .
(٩) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٤٠ ــ ١٤١ ، ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٥٢ ــ ٥٣ ، اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٧ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٢٨٧ ــ ٢٩٠ ، السهيلي ــ الروض ، ج ١ ، ص ١٥٦ ، ابن كثير ــ البداية ، ج ٢ ، ص ٢٩١ ــ ٢٩٣ .
(١٠) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٢٨٩ ــ ٢٩٠ .
(١١) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٣٨ ــ ١٣٩ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٣٣٦ .
(١٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

وقد أقر الإسلام الأحلاف السابقة ، إلا أنه منع إنشاء أحلاف جديدة ، فقد شهد الرسول حلف الفضول (١) ، الذي وقع قبل المبعث بعشرين سنة بعد حرب الفجار بأربعة أشهر (٢) ، وأقره الرسول بعد الإسلام (٣) ، حيث قال أنه لو دعي به في الإسلام لأجاب (٤) .

ومن الإجراءات التي قد ترافق عقد الأحلاف ، إيقاد نار عند عقد الحلف والدعوة بالمنع والحرمان من خيرها ومنافعها على من ينقض العهد ، وكانوا يقولون : " الدم الدم والهدم الهدم لا يزيده طلوع الشمس إلا شدا وطول الليالي إلا مدا ما بل بحر صوفة " (٥) ، وتسمى هذه النار نار المهول (٦) حيث كانوا يطرحون الملح والكبريت فيها (٧) .

ومن الأمثلة على الأحلاف حلف أوس المدينة وقريش مكة ، (ولم يدم هذا الحلف طويلا لإنكار أبي جهل التحالف ونقضه الحلف) (٨) ، وحلف ثقيف مع بني يربوع ، وحلف بني مالك مع دوس وخثعم على الأحلاف (من ثقيف) ، ومحاولة الأحلاف (من ثقيف) محالفة الأنصار (٩) ، وحلف المطيبين وحلف الفضول وحلف الرباب وحلف الحمس وحلف قريش والأحابيش (١٠) والأحابيش هم القارة والحيا والمصطلق وبني الحارث من كنانة (١١)، وتحالف تميم مع أسد وطيء (١٢) ، وقد أطلق على أسد وطيء اسم الحليفان (١٣) ، وتحالف غطفان وهوازن وهلال مع أشراف قريش (١٤) ، وحلف عذرة وجهينة (١٥) ، وحالف

---

(١) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٤٠ ــ ١٤١ ، ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٥٣ ، السهيلي ــ الروض ، ج ١ ، ص ١٥٥ .

(٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٤٠ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٢٨٩ ، ابن كثير ــ البداية ، ج ٢ ، ص ٢٩١ .

(٣) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤١ ــ ١٤٢ .

(٥) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ ، الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

(٦) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ ــ ٤٧١ ، القلقشندي ــ صبح ، ج ١ ، ص ٤٠٩ ، النويري ــ نهاية ، ج ١ ، ص ١١١ .

(٧) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٤ ، ص ٤٧٠ ، الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ٢٦٥ .

(٨) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٦٧٧ ــ ٦٧٨ .

(٩) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٦٨٤ ــ ٦٨٦ .

(١٠) البلاذري ــ أنساب ، ص ٧٦ .

(١١) ابن دريد ــ الاشتقاق ، ص ٢٨٢ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٢ ، ص ٤٧ ، ابن حزم ــ جمهرة ، ص ٢٦٣ .

(١٢) المرزوقي ــ الأزمنة ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

(١٣) الأصفهاني ــ بلاد ، ص ٦١ .

(١٤) القلقشندي ــ صبح ، ج ١ ، ص ٣٤٥ .

(١٥) ابن حزم ــ جمهرة ، ص ٤١٩ ــ ٤٢٠ ، ابن دريد ــ الاشتقاق ، ص ٣٢٠ .

الخزرج أشجع من غطفان وجهينة وقضاعة ، وحالف الأوس مزينة وقريظة والنضير في يوم بعاث ([١]) ، ومحالفة بني عبد الأشهل من الأوس لبني سليم ضد بني حارثة من الأوس ([٢]) .

وقد أطلق على الحلفاء اسم الموالي ، فقد وصف عبد الله بن أبي حلفاءه يهود بني قينقاع أنهم مواليه ([٣]) ، ووصف يهود بني قريظة حلفاء الأوس بأنهم موالي سعد بن معاذ ([٤]) ، وعرف الأوس والخزرج بأنهم موالي اليهود ([٥]) .

ومن الأحلاف محالفة غطفان مع بني النضير ([٦]) ، قال العباس بن مرداس السلمي في بني النضير :

فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم　　　سلام ولا مولى حيي بن أخطبا ([٧])

ومن الأحلاف تحالف تميم مع كلب وأسد وبطون من مضر ([٨]) ، وحلف البراجم وهم خمسة من أبناء حنظلة من تميم دخلوا مع يربوع ودعوا بالبراجم لأن عددهم كان قليلا قال لهم حارثة بن عامر الخطلي : "أيتها القبائل التي قل عددها تعالوا فلنجتمع فلنكن كبراجم اليد " ([٩]) .

ومن الأحلاف حلف اليهود وقريش وغطفان في الخندق حيث سمي هذا الحلف الأحزاب ([١٠]) .

ويبدو أن بعض الأحلاف كانت تقوم مقابل ثمن ، ومن ذلك حلف غطفان مع الأحزاب مقابل تمر خيبر ([١١]) .

([١]) ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٨٨ .
([٢]) السمهودي ــ وفاء ، ج ١ ، ص ١٩٢ .
([٣]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٤٨ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٨٠ .
([٤]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ ، الواقدي ــ المغازي ، ج ٢ ، ص ٥١١ .
([٥]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٤٢٨ .
([٦]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٢ ، ص ٥٧ .
([٧]) العباس ــ ديوان ، ص ٣٩ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .
([٨]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥ .
([٩]) ابن حزم ــ جمهرة ، ص ٢٢٢ .
([١٠]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٢١٥ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٢ ، ص ٦٦ .
([١١]) الواقدي ــ المغازي ، ج ٢ ، ص ٤٢ ، المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ٢١٧ .

ويبدو أن بعض القبائل ارتبطت مع بعضها بعلاقات ودية دون حلف ، ومن ذلك ما توصف به خزاعة بأنها كانت عيبة نصح الرسول مسلمها ومشركها لا يخفون عنه شيئا كان بمكة (١) .

ومن الأحلاف تحالف الأوس والخزرج مع اليهود (٢) ، قال قيس بن الخطيم الأوسي :

كنا إذا رامنا قومنا بمظلمة   شدت لنا الكاهنان الخيل واعتزموا

نسوا الرهون فآسونا بأنفسهم   بنو الصريح فقد عفوا وقد كرموا (٣)

ومن الأساليب التي تم بها تنظيم العلاقات بين القبائل هو الأسلوب الذي استخدمته قريش مع القبائل الواقعة على طرق تجاراتها وهو ما أطلق عليه اسم الإيلاف (٤) ، وقد فسر الإيلاف بأنه العهد أو الميثاق (٥) ، وأطلق عليه أيضا اسم العصم والحبال (٦) ، وكان هاشم أول من أخذ الإيلاف ثم المطلب ثم عبد شمس ثم نوفل (٧) ، فقد أخذ هاشم عهدا من قيصر وإيلافا من شيوخ القبائل أن يألف التجار في أرضهم بغير حلف (٨) ، وتلاه عهود وإيلاف أبناء عبد مناف (٩) ، فقد كتب قيصر مع كتاب أمانه لهاشم كتابا للنجاشي طلب فيه أن يأذن لتجار قريش بدخول بلاده (١٠) ، وأخذ أبناء عبد مناف العهود من حكام مصر وبلغت تجارتهم أنقرة (١١) ، وقد أطلق على هذه العهود اسم العصم (١) أو الحبال (٢) ، حيث " كان المقيم رابحا

---

(١) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٣١٢ .
(٢) السمهودي ــ وفاء ، ج ١ ، ص ١٧٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٧٨ .
(٤) قيس بن الخطيم ــ ديوان ، ص ١٤٤ ، القالي ــ الأمالي ، ص ٢٠٤ .
(٥) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٣٦ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٦٢ ، ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٣١ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥٩ ، المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٥٩ ــ ٦٠ ، القالي ــ الأمالي ، ص ٢٠٤ ــ ٢٠٥ .
(٦) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .
(٧) الثعالبي ــ ثمار ، ص ٨٩ ــ ٩٠ .
(٨) القالي ــ الأمالي ، ص ٢٠٤ .
(٩) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٦٢ ، ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٣١ ــ ٤٠ ، القالي ــ الأمالي ، ص ٢٠٤ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥٩١ ، اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٢١٣ .
(١٠) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٧٨ . .
(١١) الجاحظ ــ البلدان ، ص ٤٧٢ ــ ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(١) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥٩ .
(٢) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ .

والمسافر محفوظا " (١) .

ولم يقتصر تنظيم قريش لعلاقاتها مع القبائل على الإيلاف ، بل تعدى ذلك إلى إقامة أحلاف مع مجموعات من القبائل ، ومن ذلك حلفها مع بني تميم ، فقد أعلن صلصل بن أوس من تميم استعداده للدفاع عن قريش (٢) ، وحلفها مع كلب ، فقد هاجم زهير بن جناب الكلبي غطفان حين قررت إنشاء حرم كحرم مكة وحطم حرمهم (٣) .

إن قيام قريش بتنظيم علاقاتها مع الدول الكبرى والقبائل الأخرى عن طريق الحلف أو الإيلاف ، أدى إلى تمتع قريش بالحياد ، فقد " كانت مكة لقاحا لا تدين لدين الملوك ، ولم يؤد أهلها إتاوة ، تحج إليها ملوك حمير وكندة وغسان ولخم فيدينون للحمس من قريش ، وكان أهل مكة آمنين يغزون الناس ولا يغزون ويحكمون على الناس ولا يحكم عليهم أحد " (٤) .

إلا أن مكة شهدت محاولة ضمها لجانب البيزنطيين ، عن طريق إعلان قيصر الروم عثمان بن الحويرث ملكا على مكة (٥) ، وقد تعرض هذا الإجراء إلى معارضة قوية من جانب قريش ، فقد أنكر أبو زمعة الأسود بن المطلب إعلان قيصر الروم عثمان بن الحويرث ملكا على مكة وقال : " أملك بتهامة ألا إن قريشا لقاحا لا تملك ولا تملك " (٦) .

ويبدو أن قريش كانت تعتمد في قوتها العسكرية على البطون من قريش التي أطلق عليها اسم قريش الظواهر ، فقد كانت قريش الظواهر تفخر على قريش البطاح " لظهورهم للعدو ولقائهم المناسر وطلائع الجيش " (١) .

إلا أن بعض العرب لم يكن يعترف بمكانة قريش الدينية فقد كان " ذؤبان العرب

---

(١) الجاحظ ــ رسائل ، ص ٧١ ، الثعالبي ــ ثمار ، ص ٨٩ ، القالي ــ الأمالي ، ص ٢٠٤ .
(٢) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٩ ، ص ١٥ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ١٩ ، ص ١٥ .
(٤) الألوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .
(٥) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢٢٤ ، الزبيري ــ نسب ، ص ٢٠٩ ــ ٢١٠ ، الزبير ــ جمهرة ، ص ٤٢٥ ، ابن سعيد ــ نشوة ، ص ٣٥٠ .
(٦) البلاذري ــ أنساب ، ج ٤ ، ص ١٢٦ ، الزبيري ــ نسب ، ص ١٧٨ ــ ١٨٥ ، ابن حزم ــ جمهرة ، ص ١١٨ ، الحلي ــ المناقب ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ .

(١) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٣٩ ــ ٤٠ .

وصعاليك الأعراب وأصحاب الغارات وطلاب الغوائل لا يرون للحرم حرمة ولا للشهر الحرام قدرا كبني طيء وخثعم وقضاعة وسائر العرب يحجون البيت ويدينون بالحرمة له " [١] .

أما القبائل الأخرى ، فيبدو أن بعض القبائل قد خضعت للدول الكبرى المجاورة فتوصف قبيلة بكر بأنها " كانت تحت يد كسرى وفارس فكانوا يقودونهم ويحشرونهم " [٢] ، وتوصف أيضا " كانت بكر بن وائل تحت يد كسرى وفارس وكانوا يجيرونهم ويمدونهم " [٣] ويبدو أن ذلك يعود لأسباب اقتصادية فقد " كانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس ، وكانوا من أحوج الأمم إلى تناول شيء من معايشهم وبلادهم لسوء حالهم وشظف عيشهم " [٤] ، و" كانت الأرض التي بين أرض الملوك مخصبة فرعاها العرب بإذنهم وأدوا الإتاوة عنها إلى الفرس ما داموا في أرضهم " [٥] .

ويبدو أن خضوع القبائل للفرس كان يتم عن طريق غير مباشر وهو تنظيم علاقة هذه القبائل مع دولة الحيرة [٦] ، فقد كانت بكر وتغلب تحارب مع أمراء الحيرة ضد القبائل [٧] ، كما كانت ربيعة أحب العرب إلى النعمان [٨] .

إلا أن بعض القبائل أطلق عليها اسم اللقاح [٩] وكانت لا تخضع لدولة الحيرة ومنها أسد بن خزيمة وغطفان الذين أطلق عليهما اسم الحليفان ، " كانوا لا يدينون لملوك آل نصر وظلوا على ذلك إلى أيام النعمان الأصغر " [١٠] ، وعرفت تميم أيضا بأنها حي لقاح [١١].

---

(١) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٣٦ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٧٥ ــ ٧٦ ، الأزرقي ــ أخبار ، ص ٦٧ ، السهيلي ــ الروض ، ج ١ ، ص ١٦١ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .
(٢) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ٢ ، ص ٢٧١ .
(٣) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٦ ، ص ٤٥ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٣٧٣ .
(٤) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٥ ، ٦٠٩ .
(٥) الحلي ــ المناقب ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ .
(٦) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ ــ ٤٣٤ .
(٧) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١١ ، ص ٤٨ .
(٨) المصدر نفسه ، ج ١٦ ، ص ٨٥ .
(٩) الحلي ــ المناقب ، ج ٢ ، ص ٥٢١ .
(١٠) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٥٣ ، الحلي ــ المناقب ، ج ٢ ، ص ٣٦٩ .
(١١) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

ومن القبائل الأخرى التي نظمت علاقتها مع الحيرة قبيلتا سليم وهوازن ، فقد كانت " سليم وهوازن تواثق أمراء الحيرة ولا تدين لهم ، ويأخذون لهم التجارة ، فيبيعون لهم بعكاظ وغيرها ، فيصيبون معهم الأرباح ، وربما أتى الملك منهم الرجل والنفر ، فيشهدون مغازيه ويصيبون معه من الغنائم وينصرفون ، ولم تكن لطائم الملوك وتجارتهم تدخل نجدا فما وراءه إلا بخفر من القبائل " ([١]) ، وممن اعتدى على لطائم النعمان البراض بن هشام ([٢]) .

ومن القبائل الأخرى التي نظمت علاقتها مع الحيرة قبيلة تميم ، فلم يكن أحد من العرب أكثر غارة على أهل الحيرة من بني يربوع من تميم ، فصالحوهم على أن جعلوا لهم الردافة ، وأن يكفوا عن الإغارة على أهل العراق ([٣]) .

وقد لعبت العصبية القبلية دورا في نشر الإسلام ، فقد كان أبو طالب سيد بني هاشم يحمي الرسول (رغم أنه غير مسلم) ، ولم يتعرض الرسول للأذى إلا بعد وفاة أبي طالب ([٤]) ، وتبع ذلك محاولة أبي لهب حماية الرسول ([٥]) ، إلا أن أبا لهب توقف عن حماية الرسول عندما علم أنه يقول أن عبد المطلب في النار ([٦]) .

كذلك فإن الصحيفة التي كتبتها قريش كانت ضد بني هاشم مسلمهم وكافرهم ([٧]) ومن ثم فقد اتخذت هذه الصحيفة طابعا قبليا .

كذلك كان أحد أسباب إشراك جميع بطون قريش في مؤامرة قتل الرسول هو توزيع دم الرسول بين القبائل ([٨]) وبذلك لا يمكن الأخذ بثأره ويكتفى بالدية .

وقد لعب التنافس القبلي دورا في تحديد بعض الأدوار ، فقد قبل أهل المدينة إمامة

([١]) الحلي ــ المناقب ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ .
([٢]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٨٤ ، اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٢ ، ابن سعيد ــ نشوة ، ص ٣٢٧ .
([٣]) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ٢ ، ص ٧ .
([٤]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٤١٦ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٤٤ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .
([٥]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٣٧١ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٢١١ .
([٦]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٢١١ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ١٢١ .
([٧]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٣٧٤ .
([٨]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٨٠ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٢٧ ، اليعقوبي ــ التاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٢ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٧١ .

مصعب بن عمير القرشي لكراهية الأوس والخزرج أن يؤم بعضهم بعضا ([١]) .

ومن الأساليب الأخرى التي تم بها تنظيم العلاقات بين المجموعات القبلية الكتب ، ومن ذلك كتابة الرسول كتابا بين المهاجرين والأنصار ([٢]) ، وقد نعت هذا الكتب بأنه حلف حيث يذكر أن الرسول قد حالف بين المهاجرين والأنصار في دار أنس ([٣]) .

وكذلك عمل الرسول على تنظيم علاقته مع اليهود في المدينة عن طريق كتابته بينه وبينهم كتابا وقد أطلق عليها اسم موادعة ([٤]) .

الحروب القبلية

اتسمت العلاقات بين القبائل بطابع العداء ، حيث جرت بين هذه القبائل حروب أطلق عليها اسم أيام العرب ، وهناك أسباب كثيرة لهذه الحروب ([٥]) ، فقد حدثت بعضها طلبا للثأر ، مثل يوم برزة بين كنانة وبني سليم ([٦]) ، ويوم رحرحان بين بني عامر وبني دارم ([٧]) ، وقد يكون السبب هو الخلافات حول مناطق الرعي مثل الحروب التي حدثت بين بكر وتميم ([٨]) ، وقد يكون السبب هو شعور قبيلة بالظلم من قبيلة أخرى ، مثل حرب البسوس نتيجة شعور بني بكر بالظلم الذي ألحقه بهم بنو تغلب ([٩]) ، أو بسبب خلافات شخصية كما حدث في حرب داحس والغبراء بين قبيلتي عبس وذبيان ([١٠]) .

([١]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٤٣٤ .
([٢]) ابن سيد الناس ــ عيون ، ج ١ ، ص ١٩٨ .
([٣]) ابن كثير ــ البداية ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٥١٧ .
([٤]) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٢٨٦ ، ٣٠٨ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٧٩ ، ابن حزم ــ جوامع ، ص ٩٥ ، المقدسي ــ البدء ، ج ٤ ، ص ١٧٩ ، ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ١ ، ص ١٥٠ .
([٥]) انظر أيضا حول هذه الحروب وأسبابها : درادكة ــ بحوث ، ص ١١٩ ــ ١٤٤ .
([٦]) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ .
([٧]) المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ .
([٨]) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٣ ، ص ٣٤٢ .
([٩]) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٥٢٥ .
([١٠]) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٣ ، ص ٣١٣ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ص ٥٧١ .

وقد يقع القتال بين فرعي قبيلة واحدة (١) ، فقد اقتتل فرعا بني عامر بنو جعفر بن كلاب ، وبنو بكر بن كلاب بسبب ابن ضبأ الأسدي (٢) ، واقتتل بنو جعفر والضباب في يوم هراميت (٣) ، ووقعت حرب الفساد بين طيء (٤) .

التنظيم الداخلي للقبيلة

أما فيما يتعلق بالتنظيم الداخلي للقبيلة ، فقد كان يطلق على الفئة التي تقوم بإدارة شؤون القبيلة اسم الملأ (٥) ، ويبدو أن أفراد الملأ كانوا يتمتعون بامتيازات تميزهم عن أفراد القبيلة ، حيث يسهم ملأ القبيلة بدور رئيس في اختيار السيد ، حيث يعد أعضاء الملأ من كبار متنفذي القبيلة ، ويتمتع كل فرد منهم بعصبية كبيرة في داخل البطن الذي ينتمي إليه في القبيلة ، ولذلك فإنه كان من الطبيعي أن يتولى السيادة رجل من أقوى بطونها ، وله عصبية كبيرة داخلها ، الأمر الذي يجعل بقية أفراد القبيلة يلتفون من حوله ، لأنه يمثل وحدة الجماعة فيها (٦) .

ولا يبدو أن جميع بطون القبيلة كانوا يدخلون ضمن الملأ ، وإنما كان يقتصر الأمر على البطون الكبيرة الفعالة في القبيلة ، وهذا يعطي البطون التي ينتمي إليها الملأ بعض الامتيازات على البطون الأخرى ، ومن ذلك حق الإجارة ، فعندما طلب الرسول الاستجارة من سهيل بن عمرو أجابه سهيل : " إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب " (٧) .

---

(١) ابن النديم ـــ الفهرست ، ص ٨٩ .
(٢) أبو عبيدة ـــ النقائض ، ص ٥٣٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٣٣ ، ياقوت ـــ معجم البلدان ، مادة هراميت .
(٤) البكري ـــ معجم ، ج ١ ، ص ٥٣ .
(٥) انظر حول الملأ :
LAMMENS - L ISLAM , P 20 .
(٦) ابن خلدون ـــ العبر ، ج ١ ، ص ١٣١ ، انظر أيضا حول الملأ : خالد العسلي ـــ الشورى في العرف القبلي ، ص ٦٥ ـــ ٩١ .
(٧) الطبري ـــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٥٥٥ .

ويبدو أن اجتماع الملأ يشير إلى وحدة القبيلة ، فقد قال شأس اليهودي عندما رأى اجتماع الأوس والخزرج بعد هجرة الرسول من مكة إلى يثرب : " قد اجتمع ملأ بني قيلة " (١) .

لا يبدو أن دخول المرأة ضمن الملأ كان أمرا اعتياديا ، فلم يكن يسمح للمرأة بدخول دار الندوة في مكة ويقتصر دخولها على الرجال الذين كانت أعمارهم فوق الأربعين (٢) .

وقد أطلق على الملأ اسم السراة ، قال الأفوه الأودي :

والبيت لا يبنى إلا له عمد   ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم   ولا سراة إذا جهالهم سادوا

إذا تولى سراة القوم أمرهم   نما على ذاك أمر القوم فازدادوا (٣)

وقال كعب بن الأشرف الطائي واصفا قريش بأنهم سراة الناس :

طحنت رحى بدر لمهلك أهله   ولمثل بدر تستهل وتدمع

فقلت سراة الناس حول حياضهم   لا تبعدوا إن الملوك تصرع (٤)

وقال جبل بن جوال :

أقيموا يا سراة الأوس فيها   كأنكم من غزاة عور (٥)

وفي مكة أطلق على مكان اجتماع الملأ اسم دار الندوة ، وهي دار قصي بن كلاب الذي كان سيد مكة ، إلا أنه فيما بعد ظهرت دور منافسة لدار قصي فظهرت دار عبد الله بن جدعان التي عقد فيها حلف الفضول ، ويبدو أن منافسة دار ابن جدعان لدار قصي يعود لثراء ابن جدعان ، كما يبدو أن إعلان الرسول قبل فتح مكة بأن من دخل دار أبي سفيان فهو

---

(١) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٥٥٥ .
(٢) الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٠٩ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ، الفاسي ــ شفاء ، ج ٢ ، ص ١١٣ .
(٣) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ١ ، ص ٦ .
(٤) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٥٢ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ــ ٢٧٣ .

آمن([١]) فيه نوع من الجذب لأبي سفيان من حيث التلويح بأن تكون داره دارا منافسة للدارين السابقتين .

وقد أطلق على مكان اجتماع بطون معينة من القبيلة اسم النادي ، وقد عرفت النوادي في مكة ، كما كان للأوس والخزرج نواد ([٢]) ، وعرفت في أماكن أخرى من الجزيرة العربية ، قال لبيد العامري :

وشهدت أندية الإفاقة عاليا كعبي وأرداف الملوك شهود ([٣])

وفي يثرب عرف مكان الاجتماع العام باسم السقيفة ([٤]) .

ويظهر في يثرب اسم النقباء وهم الكفلاء على الأوس والخزرج في بيعة العقبة الكبرى أخرجهم قومهم ([٥]) ، ويبدو أنهم كانوا سادة المسلمين في بطونهم ، كما توحي روايات بيعة العقبة الكبرى أنه جرى انتخابهم انتخابا .

أما فيما يتعلق بسيد القبيلة ، فقد كان ينتخب انتخابا من قبل الملأ ، ويبدو أن القبائل لم تكن تميل إلى الوراثة في اختيار سادة القبائل ، بل اعتبروا أن الكفاءة هي الأساس لتولي هذا المنصب ، وإن كانت الوراثة تحدث في بعض الأحيان على نطاق ضيق ([٦]) .

فعلى الرغم من أن كثيرا من القبائل العربية عرفت تولي الأبناء السيادة بعد آبائهم ، إلا أنه كان للقبيلة الدور الأساسي في انتخابهم بسبب من مميزاتهم التي يتمتعون بها كما يتضح من قول عامر بن الطفيل ([٧]) :

وإني وإن كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب

فما سودتني عامر من وراثة أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

([١]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٤٦ .
([٢]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٥٥ .
([٣]) لبيد ــ ديوان ، ص ٣٥ .
([٤]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٥٨٤ ــ ٥٨٥ .
([٥]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٣٨ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٢٣٩ ، اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٠ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ .
([٦]) ابن خلدون ــ العبر ، ج ١ ، ص ١٣٦ .
([٧]) عامر ــ ديوان ، ص ٢٨ ، الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها   وأرمي من رماها بمنكب

ويدعم ذلك قولة بشامة بن الغدير (١) :

وجدت أبي فهر وجدي كليهما   يطاع ويؤتى أمره وهو محتبي

فلم أتعمل للسيادة فيهم   ولكن أتتني طائعا غير متعب

وعلى الرغم من ذلك فإن بعض السادة أوصوا إلى أبنائهم بالسيادة من بعدهم كما فعل حصن بن حذيفة بن بدر حيث استدعى أولاده وقال لعيينة : " أنت خليفتي ورئيس قومك من بعدي " ، وقال لقومه : " لوائي ورئاستي لعيينة " ، فسمعوا له وأطاعوا واختاروه رئيسا عليهم (٢) ، وتشير العبارة الأخيرة أن القبيلة كان لها دور ، فهم الذين اختاروه رئيسا عليهم ولم يكن ذلك مفروضا عليهم إنما سمعوا وأطاعوا زعيمهم السابق .

ويطلق على سيد القبيلة السيد المعمم ويريدون أن كل جناية يجنيها أحد في العشيرة معصوبة برأسه (٣) .

وقد تمكنت بعض النساء من الوصول إلى السيادة القبلية ، ومن ذلك أم قرفة الكبرى التي كانت إذا حدث نزاع في غطفان ترسل خمارها فيتوقفوا عن النزاع (٤) ، وكانت أم قرفة الصغرى يعلق في بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا كلهم لها محرم (٥) .

وكانت صحيفة المقاطعة موضوعة على يد طعيمة بن عدي أو يد أم أبي جهل أو يد أختها الجلاس بنت مخربة (٦) .

كان لا بد من توفر صفات معينة في السيد ، كما أن للملأ دورا في اختياره ، كما يتضح من قول لقيط الإيادي :

---

(١) عامر ــ ديوان ، ج ٢ ، ص ٩٦ .
(٢) القالي ــ الأمالي ، ج ١ ، ص ٥٣١ .
(٣) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .
(٤) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٤٥٠ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٣٣٢ .
(٥) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٣٣٢ .
(٦) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .

فقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ولا إذا يمض مكروه به خشعا

ما انفك يحلب در الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا

متى استمرت على شزر جريرته مستحصد السن لا فحما ولا ضرعا ([١])

وفي المجتمعات اليهودية في الجزيرة العربية كان للعلم الديني دور في السيادة ، حيث يوصف أحبار اليهود بأنهم أشرافهم وسادتهم ([٢]) ، فقد وصف اليهود عبد الله بن سلام بأنه سيدهم وابن سيدهم وحبرهم وعالمهم ([٣]) .

إلا أن عاملا آخر من عوامل السيادة في التجمعات اليهودية وهو المال ، فقد ساد كعب بن الأشرف يهود الحجاز بكثرة ماله ([٤]) ، رغم أنه طائي يهودي .

كما أن لعامل النسب دورا في السيادة عند اليهود ، فلما نزل سادات بني النضير بعد طردهم من يثرب على خيبر دان لهم أهلها ، لأنهم كانوا أرفع اليهود نسبا وأرقاهم حسبا ويرون أن لهم السيادة والشرف على جميع فئات اليهود لأنهم يزعمون أنهم من نسل هارون ([٥]) .

وكان اليهود يعدون القرشيين سادة العرب ([٦]) ، ويبدو أن هذا يعود لمكانتهم الدينية .

أما فيما يتعلق بنفوذ زعماء القبائل فعلى الرغم من أن كل قبيلة كانت عادة تبدو مستقلة عن القبائل الأخرى ، إلا أن هذا لا ينفي أن بعض الفترات شهدت ظهور قيادات على مستوى أكبر من مستوى القبيلة ، مثل ظروف الحروب الكبرى ، فمثلا يرد أن عامر بن الظرب العدواني قاد ربيعة ومضر وقضاعة كلها يوم البيداء حيث اعتدت مذحج على بني

([١]) لقيط ـــ ديوان ، ص ٤٦ ـــ ٤٨ ، انظر أيضا : العسلي ـــ الشورى ، ص ٦٥ .
([٢]) ابن إسحق ـــ السيرة ، ج ١ ، ص ٥٦٧ .
([٣]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥١٧ .
([٤]) الزرقاني ـــ المواهب ، ج ٢ ، ص ٨ .
([٥]) ابن إسحق ـــ السيرة ، ج ٢ ، ص ١٩١ .
([٦]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٠٠ .

معد (١) ، فعامر بن الظرب هنا قائد لمعظم القبائل الشمالية في مواجهة اعتداء قبيلة جنوبية عليها ، ويرد كذلك أن ربيعة بن الحارث بن زهير التغلبي قاد مضر وربيعة وقضاعة يوم السلان إلى أهل اليمن ، وكذلك فعل ابنه كليب بن ربيعة وهو كليب وائل الذي قاد ربيعة ومضر وقضاعة يوم خزازى إلى اليمن (٢) ، وهنا نلاحظ ظهور قائدين على مستوى القبائل الشمالية لمواجهة القبائل الجنوبية .

وهناك سادة تمكنوا من أن يصبحوا سادة لتجمعات أكبر من مستوى القبيلة ، لكنها لا تشمل القبائل الشمالية كلها ، إنما تشمل وحدة كبرى من القبائل ، فيرد أنه قد اجتمعت هوازن على خالد بن جعفر وعروة بن عتبة بن جعفر الرحال والأحوص بن جعفر وعامر بن مالك بن جعفر (٣) ، وأن جهيل بن ثعلبة اليشكري سيد بكر بن وائل اجتمعت بكر حوله ، واجتمعت بكر كذلك حول عمرو بن شيبان وعمرو بن قيس وبشر بن عمرو وهمام بن مرة والحارث بن عباد (٤) .

ومن الألفاظ التي استخدمت للدلالة على هؤلاء السادة العظام لفظة الرب ، فقد عرف حذيفة بن بدر الغطفاني (٥) برب معد (٦) ، ويوحي هذا اللقب أنه قد اعترفت بزعامته كافة القبائل الشمالية (معد) .

وكانت هوازن " لا ترى زهير بن جذيمة إلا ربا ، وكان زهير يعشرهم ، فكان إذا كان سوق عكاظ أتاها زهير ، فتأتي هوازن بالإتاوة التي في أغنامهم فيأتونه بالسمن والإقط والغنم " (٧) .

ويبدو أن سيد القبيلة كان يتمتع بمجموعة من المميزات المالية في الحرب كما يستنتج

---

(١) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٤٦ .
(٢) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٤٩.
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٥٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٥٤ .
(٥) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٣٨ .
(٦) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٤٩ ، ابن حزم ــ جمهرة ، ص ٢٨٣ .
(٧) الألوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ١١٨ ــ ١١٩ .

من قول عبد الله بن عنمة الضبي (١) :

لك المرباعُ منها والصفايا   وحُكْمُك والنشيطةُ والفُضولُ

فقد كان من امتيازات سيد القبيلة المرباع (٢) (أي ربع الغنيمة) (٣) ، والصفايا (أي ما يصطفيه من الغنائم قبل أن يجري القسمة) ، والحكم (أي إمارة الجند) ، والنشيطة (أي ما أصيب من المال قبل اللقاء) ، والفضول (ما لا يقبل القسمة من مال الغنيمة) (٤) .

وعلى الرغم من أن السيادة لم تكن محصورة في بطن معين من القبيلة ، إلا أنه أحيانا تبقى السيادة محصورة في بطن معين لتميز أفراد هذا البطن ، ويسمى هذا البطن البيت ، فالبيت هو بطن فيه العدد والشرف ، ومن بيوت العرب بيت هاشم بن عبد مناف في قريش ، وبيت آل حذيفة بن بدر الفزاري بيت قيس ، وبيت آل زرارة بن عدس الدارمي بيت تميم ، وبيت آل ذي الجدين بن عبد الله بن همام بيت شيبان ، وبيت بني الديان من بني الحارث بن كعب بيت اليمن (٥) ، وفي رواية أخرى فإن بيت تميم بنو عبد الله بن دارم ومركزه بنو زرارة ، وبيت قيس فزارة ومركزه بنو بدر ، وبيت اليمن بنو الحارث بن كعب ومركزه بنو عبد المدان ، وبيت شيبان بن ثعلبة بيت بكر بن وائل ومركزه بنو قيس بن مسعود من ذي الجدين (٦) .

الملوك

ومن الألفاظ التي تعبر عن السيادة عند العرب قبل الإسلام لفظة الملوك ، وقد أطلقت لفظة الملوك في الأصل على ملوك الساسانيين والبيزنطيين وملوك اليمن والحبشة ، إلا أنه يلاحظ أن العرب سموا أيضا المناذرة وهم عمال الساسانيين على عرب العراق وغيرهم ،

---

(١) الأصمعي ــ الأصمعيات ، ص ٢٨ ، ابن قتيبة ــ المعاني ، ج ٢ ، ص ٩٤٨ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة ربع .
(٢) المرزباني ــ أشعار ، ص٢٥٠ .
(٣) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٢ ، ص ٤٨ .
(٤) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .
(٥) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٩ ، ص ١٨٤ .
(٦) الحلي ــ المناقب ، ج ١ ، ص ١٨٦ ــ ١٨٧ .

وسموا الغساسنة وهم عمال البيزنطيين على عرب الشام ، والكنديين وهم عمال ملوك اليمن على العرب ، ملوكا أيضا .

ولم تقتصر تسمية العرب للملوك على هؤلاء ، فمن القبائل التي عرفت الملكية قبيلة بني تميم ، قال الزبرقان بن بدر التميمي :

نحن الكرام فلا حي يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع

وكم فزنا من الأحياء كلهم ... عند النهاب وفضل العز يتبع ([١])

وقال أيضا :

نحن الملوك فلا حي يقاربنا ... منا الملوك وفينا يؤخذ الربع ([٢])

ويبدو أن هذه الملكية في تميم تعود إلى وفود حاجب بن زرارة الدارمي على كسرى ورهنه قوسه ([٣]) ، وإلباسه التاج ([٤]) ، وقد خاطب ابنه عطارد بن حاجب بن زرارة ([٥]) الرسول قائلا : " جعلنا ملوكا وجعلنا أعز أهل المشرق " ([٦])

ويبدو أن من مميزات الملوك أخذ المرباع ، حيث يرد أنه " كان لبني تميم صيت عظيم ، وكان منهم من يأخذ المرباع كما يفعل الملوك ، وكانت لهم الإفاضة يالناس من عرفات " ([٧]) .

وقد افتخر الزبرقان بن بدر أن قومه يأخذون المرباع ، فقال :

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا ... إذا احتفلوا عند احتضار الموسم

بأنا نروع الناس في كل موطن ... وأن ليس في أرض الحجاز كدارم

وأن لنا المرباع في كل غارة ... نغير بنجد أو بأرض الأعاجم ([٨])

([١]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٥٦٢ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٤ ، ص ١٧٤ .
([٢]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٤ ، ص ١٤٨ .
([٣]) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ٢ ، ص ١٦٥ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٦٠٨ ، الحلي ــ المناقب ، ج ١ ، ص ٦٠ ــ ٦٢ .
([٤]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٣٤ ، الحلي ــ المناقب ، ص ٦٠ ــ ٦٢ ، الفاسي ــ شفاء ، ج ٢ ، ص ٢١٤١ .
([٥]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٥٦٠ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٩٣ .
([٦]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٤ ، ص١٤٦ .
([٧]) ابن سعيد ــ نشوة ، ج ١ ، ص ٤١٦ .
([٨]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٥٦٢ ، أبو الفرج الأصفهاني الأغاني ، ج ٤ ، ص ١٧٤ .

وقد وصف اليهود قريشا بأنهم ملوك العرب ، حيث قال اليهود بعد بدر : " بعد أن أصيب أشراف الناس وسادتهم وملوك العرب وأهل الحرم والأمن " ([١]) ، وقال كعب بن الأشرف عن سادات مكة يوم بدر : " هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس " ([٢]) .

وقد شهدت يثرب محاولة تمليك عبد الله بن أبي ([٣]) ، حيث نظم له الخزرج الخرز لتتويجه ملكا على يثرب حيث اجتمعت عليه الأوس والخزرج ([٤]) ، إلا أن اجتماع يثرب على الرسول أدى إلى إخفاق هذه المحاولة .

ويبدو أن الساسانيين قد اتخذوا منح التاج لسادة العرب وسيلة لضمان خضوعهم للسياسة الساسانية ، وقد أطلق على هؤلاء اسم ذوو التاج ([٥]) ، ومنهم هوذة الحنفي الذي توج في اليمامة .

ويبدو أن الساسانيين اتخذوا طريقة أخرى لضمان خضوع القبائل العربية للسيادة الساسانية ، وذلك عن طريق إقطاعهم القطائع في العراق ، وقد أطلق على هؤلاء اسم ذوو الآكال وهم قيس بن مسعود الشيباني ويزيد بن مسهر الشيباني والحارث بن وعلة الشيباني ([٦]) .

وقد جمع الملك الكندي الحارث بن عمرو بين التاج والإقطاع ، فقد صالحه قباذ على أن يكون الفرات حدا لسلطانه ، وتخصص له ستة طساسيج من أرض السواد مقابل حماية الحارث لأرض السواد من غزو القبائل العربية ([٧]) ، وبذلك أصبح الحارث الكندي ملكا على القبائل العربية من قبل الفرس ([٨]) .

([١]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٦٤٢ ، الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ١٢٢ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٢ ، ص ٣٢ .
([٢]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٤٣١ ، الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ١٨٥ .
([٣]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٣٣ .
([٤]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٥٨٤ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ١٢٧ .
([٥]) المبرد ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٣٧٠ ، ٧٣٠ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٦٩ ، الحلي ــ المناقب ، ج ١ ، ص ٥٤ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، الثعالبي ــ ثمار ، ص ١٤٤ .
([٦]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣ ، ٢٥٣ .
([٧]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٩٥ ــ ٩٦ ، المفضل ــ المفضليات ، ص ٤٢٩ .
([٨]) حمزة الأصفهاني ــ تاريخ ، ص ٩٢ .

ويبدو أن من مميزات الملوك فرض الإتاوة على القبائل ، حيث يرد أن أبناء الملك الكندي الحارث الذين ملكوا على القبائل كانوا يثقلون القبائل بالإتاوات ([١]) ، مما أدى إلى ثورة القبائل عليهم .

وممن أطلق عليه لقب ملك السموءل بن عادياء ، حيث ذكر أنه كان ملكا بتيماء ([٢])

.

ويبدو أن البيزنطيين حاولوا اتخاذ الوسيلة نفسها في محاولة مد نفوذهم إلى الحجاز ، ومن ذلك تنصير عثمان بن الحويرث عند قيصر ومحاولة تنصيبه ملكا على مكة ([٣]) ، إلا أنه لقي مقاومة شديدة من قريش ، وقد تكون هذه المقاومة عائدة لرغبة قريش في البقاء محايدة في النزاع الساساني البيزنطي .

وقد أطلق على الملك في الشعر اسم الحصير ، قال لبيد العامري :

ومَقامةٍ غُلْبُ الرِّقابِ كأنهم   جِنٌّ لدى طَرَفِ الحصيرِ قيامُ ([٤])

وأطلق عليه أيضا الرب ، قال عوف بن محلم حين رأى الملك " إنه ربي ورب الكعبة " ([٥]) ، قال أوس بن حجر التميمي :

أطعنا ربنا وعصاه قومٌ   فذقنا طعم طاعتنا وذاقوا ([٦])

قال الحارث بن حلزة اليشكري :

ربنا وابننا وأفضلُ من يمشي   ومن دون ما لديه الثناءُ ([٧])

وقد اعتقد العرب أن دماء الملوك تشفي من مرض الكلب ، قال أبو الفرج القاسم بن حنبل المري في رمز بن أبي هاشم بن مسعود بن سنان عامل اليمامة ([٨]) :

([١]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٧٠ .
([٢]) ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ٦٠ ، ٦١ .
([٣]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢٢٤ ، السهيلي ــ الروض ، ج ١ ، ص ٢٥٥ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٧١ .
([٤]) لبيد ــ ديوان ، ص ١٣٣ .
([٥]) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ١ ، ص ٣٢٩ .
([٦]) أوس ــ ديوان ، ص ٨٩ .
([٧]) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .
([٨]) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥ .

أرى الخلان بعد أبي عمير　　　بحجر في لقائهمُ جفاءُ

من البيض الوجوه بني سنانٍ　　　لو أنك تستضيء بهم أضاؤوا

لهم شمسُ النهار إذا استقلت　　　ونورٌ ما يُغَيِّبُهُ العماءُ

بناةُ مكارم وأساةُ كَلْمٍ　　　دماؤهم من الكلبِ الشفاءُ (١)

وقال عوف بن الأحوص :

أو العنقاءِ ثعلبة بن عمرو　　　دماءُ القوم للكَلْبى شفاءُ (٢)

وقال المثقب العبدي لعمرو بن هند :

باحَرِيٌّ الدمِ مُرٌّ طعمُه　　　يبرئُ الكَلبَ إذا عَضَّ وَهَرْ (٣)

وقال عاصم بن القرية :

وداويتُه مما به من مجَنَّةٍ　　　دمَ ابن كُهالٍ والنطاسيُ واقفُ

وقَلّدْته دهرًا تميمةَ جَدِّهِ وليس　　　لشيء كاده الله صارفُ (٤)

وتميز الملوك بارتفاع فدائه عند أسرهم في الحروب ، فكان فداء الأشعث بن قيس الكندي عندما أسرته مذحج ثلاثة آلاف بعير ، قال عمرو بن معديكرب الزبيدي :

فكان فداؤه ألفي قلوصٍ　　　وألفا من طريفاتٍ وتلدِ (٥)

وقد افتخرت قبيلة تغلب بقتلها الملوك ، حيث قتلوا الملك شرحبيل الكندي وعمرو بن ملك الحيرة ، قال جابر بن حني التغلبي :

نعاطي المُلوكَ السِّلْمَ ما قَصدوا بنا　　　وليس علينا قتْلُهُم بمُحَرَّم (١)

وقال أيضا :

فيومَ الكُلابِ أزالت رماحُنا　　　شرحبيل إذ آلى أَلِيَّة مُقْسِمِ (٢)

---

(١) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٢ ، ص ٥ .
(٢) المفضل ــ المفضليات ، ص ١٧٥ ، الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٢ ، ص ٩ .
(٣) المثقب ــ ديوان ، ص ٧٩ .
(٤) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٢ ، ص ٧ .
(٥) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٢٤٢ .

وقال أيضا :

وعمرو بن هند صقعنا جبينه　　　بشنعاءَ تَشْفي صورةَ المُتَظَلِّم (٣)

واعتقد العرب أن المرأة التي لا تنجب إذا داست أحد الملوك القتلى فإنها تنجب ، وتسمى هؤلاء النساء المقاليت ، قال بشر بن أبي خازم :

تظلُّ مقاليتُ النساءِ يطأنه　　　يقلن ألا يلقى على المرءِ مئزرُ (٤)

وكان للملوك مناطق من الأرض لا يجوز رعايتها بغير إذنهم تسمى الحمى (٥) .

وكان يطلق على من يتولى شؤون الملك الخاصة اسم السادن (٦) .

وكانت تحية الملك بالقيام له ومخاطبته بقول : " أبيت اللعن " ، قال الأعشى مادحا الأسود بن المنذر :

أرْيحيٌّ صلْتٌ يَظَلُّ له　　　القوم رُكودًا قيامُهم للهلال (٧)

الأرداف

ومن المناصب التي ظهرت عند العرب قبل الإسلام منصب الردافة (٨) ، ويبدو أن هذا المنصب يرتبط بالدول الملكية الناشئة في الأطراف ، فأرداف الملوك هم الذين كانوا يخلفونهم في القيام بأمر المملكة (٩) ، أو هم الذين كانوا يخلفونهم نحو أصحاب الشرط (١٠) ، والردف هو " الذي يجلس على يمين الملك ، فإذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس ، وإذا غزا الملك قعد الردف في موضعه ، وكان خليفته على الناس حتى ينصرف " (١) .

وقد ورد ذكر الردف في الشعر ، قال لبيد العامري :

---

(١) المفضل ــ المفضليات ، ص ٢١١ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٢ .
(٣) المفضل ــ المفضليات ، ص ٢١٢ .
(٤) بشر ــ ديوان ، ص ٨٨ ، القلقشندي ــ صبح ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .
(٥) الأصمعي ــ الأصمعيات ، ص ١٣٧ .
(٦) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .
(٧) الأعشى ــ ديوان ، ص ٥٩ .
(٨) انظر حول الردافة : درادكة ــ بحوث ، ص ٥٦ ــ ٩٠ .
(٩) ابن منظور ــ لسان ، مادة ردف .
(١٠) ابن سيده ــ المخصص ، ج ٣ ، ص ١٣٨ .

وشهدت أندية الأفاقة عاليا   كعبي وأرداف الملوك شهود (٢)

ويبدو أن محاولة المناذرة تنظيم علاقتهم مع القبائل العربية هو الذي أدى إلى إيجاد هذا المنصب ، حيث يرد أنه لم يكن أحد من العرب أكثر غارة على أهل الحيرة من بني يربوع من تميم (٣) ، فأمر لهم المنذر بالردافة (٤) ، فكان الصلح بين المناذرة وبني يربوع بأن جعلوا لهم الردافة مقابل أن يكفوا عن الإغارة على أهل العراق (٥) .

ويبدو أن الردافة قد حصرت في بني يربوع (٦) ، فقد كان الردف من بني رباح بن يربوع (٧) ، حيث يرد أنه " لما فازت يربوع بالردافة صارت لهم ضربة لازم عليه لا يقدرون على عزلهم عنها ولا نقلها عنهم إلى غيرهم ، فكان الملك مع بني يربوع في الردافة كالمحجور عليه " (٨) .

بل يظهر أن منصب الردافة كان وراثيا ، حيث يذكر أنه كان أول من ردف من تميم غياث بن هرمي اليربوعي ثم ابنه عوف ثم يزيد (٩) ، أو أن الردافة كانت لغياث بن هرمي ثم ابنه قيس (١٠) ، وكان آخر من ردف من يربوع مالك بن نويرة اليربوعي (١١) .

ويبدو أنه كان لعدي بن زيد دور في منح الردافة ليربوع ، حيث يرد أنه لم يكن عدي بن زيد يؤثر على بلاد يربوع مبدى من مبادي العرب (١٢) ، ويبدو أن ذلك يعود لكون عدي

---

(١) الألوسي ــ بلوغ ، ص ١٨٤ .
(٢) لبيد ــ ديوان ، ص ٥٠ .
(٣) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٢٨٤ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .
(٥) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ٢ ، ص ٧ ، درادكة ــ بحوث ، ص ٦٩ .
(٦) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٩ ، ص ٣٣ .
(٧) المبرد ــ الكامل ، ص ٢٤٤ .
(٨) الحلي ــ المناقب ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ ــ ٤٣٤ ، درادكة ــ بحوث ، ص ٦٩ .
(٩) ابن الكلبي ــ جمهرة ، ص ١٥٤ ، أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ١ ، ص ٦١ .
(١٠) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٦ ، ص ٧٥ .
(١١) المبرد ــ الكامل ، ص ١٢٤٤ .
(١٢) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢ ، ص ١٠٥ ، درادكة ــ بحوث ، ص ٧١ .

من العباد ويعود بنسبه إلى قبيلة تميم (١) ، وقد وصل عدي إلى مكانة عالية عند كسرى فهو الذي أشار على كسرى بتولية النعمان (٢) .

وقد افتخرت تميم بهذا المنصب ، قال تميمي :

ومن يناد آل يربوع يجب

بأنك منهم خير فتيان العرب

المجلس الأيمن والردف المحب (٣)

ويبدو أنه قد حدثت محاولة لنقل الردافة إلى دارم من تميم ، فقد طلب حاجب بن زرارة الدارمي نقل الردافة إلى دارم (٤) ، وأخبر المنذر أن الردافة لا تصلح لعوف بن عتاب لحداثة سنه ، وطلب إليه أن يجعلها لرجل كهل وهو الحارث بن نبيه المجاشعي الدارمي ، مما أدى إلى وقوع يوم طخفة ، حيث انتصرت يربوع والبراجم على عساكر المنذر وأسر ابنه قابوس (٥) .

ويبدو أن ملوك كندة كانوا في البداية أردافا للملوك الحميريين والأقيال اليمنيين ، حيث يرد أنه كانت كندة من أرداف المقاويل (٦) ، إلا أنه بعد أن كونت كندة مملكتها الخاصة أصبح لملوك كندة أرداف ، فقد كان أبو حنش عصم بن النعمان التغلبي ردفا للملك الكندي سلمة (٧) .

الحكام

وكان لدى العرب أشخاص تمتعوا بنوع من النفوذ الأدبي على مستوى أكبر من مستوى القبيلة التي ينتمون إليها عرفوا بالحكام ، وكان من وظائفهم الحكم في المنازعات

---

(١) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٠٤ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٧٦ ، درادكة ــ بحوث ، ص ٧١ .
(٢) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٦٤٩ ، درادكة ــ بحوث ، ص ٧١ .
(٣) أبو عبيده ــ النقائض ، ج ٢ ، ص ٧ .
(٤) الحلي ــ المناقب ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ ، درادكة ــ بحوث ، ص ٧١ .
(٥) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ١ ، ص ٦١ ، الحلي ــ المناقب ، ج ٢ ، ص ٤٣٣ ــ ٤٣٤ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٦ ، ص ٧٥ ، درادكة ــ بحوث ، ص ٧٢ .
(٦) الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٣٥ .
(٧) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٠٤ ، درادكة ــ بحوث ، ص ٨٤ .

القبلية ، وقد يكون الحكم ملكا ، حيث يرد أن قبيلتا بكر وتغلب تحاكمتا إلى عمرو بن هند في النزاع الذي نشب بينهما (حرب البسوس) ([١]) وكذلك تداعت قريش وخزاعة في النزاع بينهما حول السلطة في مكة إلى أن يحكم بينهم يعمر بن عوف من كنانة فقضى أن قصيا أولى بالبيت وأمر مكة من خزاعة وأن كل دم أصابه من خزاعة وبني بكر يشدخه تحت قدميه وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبني كنانة ففيه الدية مؤداة وأن يخلى بين قصي وبين البيت وأمر مكة ([٢]) .

ومن وظائف الحكام الحكم في المنافرات (وهي الحكم أي المتنافرين أشرف) ، فتقد تحاكم أمة وهاشم إلى الكاهن الخزاعي فنفر هاشما على أمية ([٣]) ، وكذلك تنافر عبد المطلب وحرب إلى النجاشي الحبشي فأبى أن ينفر بينهما فذهبا إلى نفيل بن عبد العزى (من بني عدي) ([٤]) فنفر عبد المطلب على حرب ([٥]) .

يلاحظ أن هؤلاء الحكام كانوا يختارون من أطراف محايدة ليس لهم علاقة بالنزاع الدائر ، كما يلاحظ أن سلطة هؤلاء الحكام كانت سلطة أدبية فلم يكن لدى هؤلاء الحكام سلطة لتنفيذ الحكم بل غالبا ما يقبل المتحاكمان برأي الحكم طوعا ودون معارضة ، وكان هؤلاء الحكام من الأشخاص ذوي المكانة كأن يكونوا ملوكا أو كهانا أو من سادة القبائل ، فقد كان الحكام من قريش من بني هاشم عبد المطلب والزبير وأبو طالب ومن بني أمية حرب وأبو سفيان ومن بني زهرة العلاء بن جارية الثقفي (حليفهم) ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة ومن بني سهم قيس بن عدي والعاص بن وائل ومن بني عدي نفيل بن عبد العزى ([٦]) ، أما

([١]) ابو زيد القرشي ــ جمهرة ، ص ١٢٠ .
([٢]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٦٩ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٣٣ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ٨ ، النويري ــ نهاية ، ج ١٦ ، ص ٣٨ .
([٣]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٧٦ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٥٢ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ٩ ، النويري ــ نهاية ، ج ١٦ ، ص ٣٤ .
([٤]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٨٧ .
([٥]) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٩١ .
([٦]) المصدر نفسه ، ص ٣٦٨ .

الحكام في المنافرات في قريش فكانوا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وحويطب بن عبد العزى وأبو الجهم بن حذيفة ([1]) .

وقد اشتهر كثير من العرب بالتحكيم حتى أطلق عليهم اسم حكام العرب ([2]) .

وعلى الرغم أنه كان الأصل أن يكون الحكم من طرف محايد إلا أن الرسول قبل احتكام يهود بني قريظة بعد هزيمتهم إلى سعد بن معاذ وهو حليفهم ([3]) .

([1]) المصدر نفسه ، ص ٣٨٦ .
([2]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٣٢ .
([3]) ابن ــ إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ ، الواقدي ــ المغازي ، ج ٢ ، ص ٥١٠ ، البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ٩٤ ، ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ٢ ، ص ٦٠٣ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥٧٥ ، ابن كثير ــ البداية ، ج ٤ ، ص ١٢٢ ــ ١٢٣ .

الفصل الثالث

الفئات الاجتماعية

كانت الوحدة الأساسية في المجتمع العربي قبل الإسلام هي القبيلة ، التي يرتبط أفرادها مع بعضهم برابطة النسب ، إلا أن تفاعل القبائل العربية مع بعضها ، وتفاعلها مع المجتمعات المجاورة أدى إلى وجود عناصر في القبيلة لا تشترك مع القبيلة بالنسب ، وهذا أدى إلى وجود فئات متعددة في هذا المجتمع ، وفيما يلي عرض لهذه الفئات :

الصرحاء

اعتقد العرب أن رابطة الدم هي الرابطة التي تربط بين أبناء القبيلة الصرحاء (١) ، أي أن الصرحاء هم أبناء القبيلة الذين ينتمون إلى نسب واحد ، فالصريح هو خالص النسب (٢) ، ويرى ابن خلدون أن صراحة النسب لا تكون إلا مع العزلة ، " فالصريح النسب يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معناهم " (٣) .

وكانت صراحة النسب من الأمور التي تدعو إلى الفخر عند العرب ، قال السموءل بن عادياء (٤) :

عَلَوْنا إلَى خَيْرِ الظُّهورِ وَحَطَّت   لِوَقْتٍ إلى خَيْرِ البُطُونِ نُزُولُ

فَنَحْنُ كَماءِ المُزْنِ ما في نِصَابِنا   كَهامٌ ولا فينا يُعَدُّ بَخِيلُ (٥)

ويبدو أن الصريح النسب كان يتمتع بحقوق لا يتمتع بها الحليف ، ومن ذلك حق الإجارة (٦) ، كما أن الصريح لا يقتل بغير الصريح (٧) ، كما أن المناصب القيادية في القبيلة كانت محصورة في الصرحاء .

---

(١) ابن خلدون ــ العبر ، ج ١ ، ص ١٢٨ .
(٢) ابن منظور ــ لسان ، مادة صرح .
(٣) ابن خلدون ــ التاريخ ، ج ١ ، ص ١٢٩ .
(٤) السموءل بن عادياء : شاعر من سكان خيبر ، وكان له حصن يسمى الأبلق ، الزركلي ــ الأعلام ، ج ٣ ، ص ١٤٠ .
(٥) ماء المزن : ماء المطر ، المزن : السحاب الأبيض ، النصاب : الأصل ، كهام : كليل ، السموءل ــ ديوان ، ص ١٣ ، التبريزي ــ الحماسة ، ج ١ ، ص ٣٠ .
(٦) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٨ ــ ٩ .
(٧) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٦ ، ص ١٥٦ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ٤١ .

وكان من واجبات الصريح طاعة رأي القبيلة حتى لو كان مخالفا لرأيه كما يتضح من قول دريد بن الصمة :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت   غويت وإن ترشد غزية أرشد (١)

الحلفاء والجيران

وقد ينتقل شخص من قبيلة ليلتحق بقبيلة أخرى ، لسبب أو لآخر ، حيث يدخل في تحالف مع شخص من هذه القبيلة ، وينشأ عن هذا النوع من الحلف نوع من الولاء يدعى ولاء الحلف ، حيث يعد الحليف جزءا من القبيلة بالولاء .

وفي حالة محالفة شخص قبيلة معينة ، لم يكن الحلفاء يتمتعون بنفس مميزات الصرحاء ، فقد كانت دية الحليف نصف دية الصريح ، وأدت محاولة مالك بن العجلان الخزرجي الخروج على ذلك إلى حرب سمير بين الأوس والخزرج (٢) .

وكذلك لم يكن الحليف يملك حق الإجارة مثل الصريح ، وهذا ما حصل عندما استجار النبي بالأخنس بن شريق حليف قريش ، فرفض الأخنس إجارته ، قائلا : " إن الحليف لا يجير على الصريح " (٣) .

وقد تمكن بعض موالي الحلف من الوصول إلى منزلة عند حلفائهم تجعلهم مؤثرين في اتخاذ القرارات ، فقد أثر الأخنس بن شريق الثقفي في حلفائه من بني زهرة ، فأقنعهم بالرجوع وعدم المشاركة في موقعة بدر مع إجماع قريش على الخروج لقتال المسلمين ، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس ، ولم يشهدها زهري واحد ، أطاعوه وكان فيهم مطاعا (٤) .

---

(١) التبريزي ــ الحماسة ، ج ١ ، ص ٣٣٧ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٠ ، ص ٨ .
(٢) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ١٨ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٤٢٨ ، ابن رسته ــ الأعلاق ، ص ٦٤ ، المقدسي ــ البدء ، ج ٣ ، ص ١٣٠ .
(٣) الطبري ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٥٥٥ .
(٤) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٧١ .

ومن الأمثلة على حلف شخص مع قبيلة حلف ابني علاج من ثقيف حيث حالفا زهرة عندما انتقلا إلى مكة بعد قتلهما ثقفيين (١) ، وحلف حارثة بن الأوقص السلمي الذي حالف بني أمية عندما انتقل إلى مكة رغبة في التعبد فيها (٢) ، وحلف آل سويد التميمي الذي حالف بني نوفل بعد انتقاله إلى مكة بعد أن قتل سويد بن المنذر اللخمي (٣) ، وحلف مرثد الغنوي الذي حالف حمزة عند قتله غنويا وانتقاله إلى مكة (٤) .

وقد يلجأ شخص ما إلى حماية قبيلة غير قبيلته ، حيث يكون جارا لتلك القبيلة ، حيث كانت حماية الجار فرضا على القبيلة تدافع عنه وتقاتل طلبا لثأره (٥) ، قال الشاعر :

هُمُ يَمنعُون الجارَ حتى كأنهُ   كَثِيبةَ زَوْر بين خافِيَتَيْ نَسْرِ (٦)

وقال حجر بن خالد الثعلبي :

وَنَحْنُ الَّذينَ لا يُرَوَّعُ جَارُنَا   وبَعْضُهُمُ لِلْغَدْرِ صُمٌّ مَسَامِعُهْ

نُدَهْدِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى   وبَعْضُهُمْ تَغْلِي بِذَمٍ مَنَاقِعُهْ (٧)

وقال السموءل :

لَنا جَبَلٌ يَحْتَلَّهُ مَنْ نُجِيرُهُ   مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهْوَ كَلِيلُ (٨)

ويقال للجار عند إدخاله في الجوار : " قد لزمني ذمامك ، وأنا مانعك مما أمنع منه نفسي وأهلي وولدي ما بقي من عشيرتي الأدنين رجل " (٩) .

---

(١) ابن إسحق ــ السيرة ، ص ٢٣٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ .
(٥) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٧٣ ــ ٧٤ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ٥٩ ــ ٦٠ .
(٦) كثيبة زور : أعلى وسط الصدر ، خافيتا نسر : جناحا نسر ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ١ ، ص ١٢١ ــ ١٢٢ .
(٧) حجر بن خالد الثعلبي : شاعر جاهلي من قبيلة ثعلبة ، صم مسامعه : عن ذكر العار ، ندهدق : نغلي بطرح اللحم على بعض قطعا : باع : شرف وفضل ، بضع : قطع ، مناقع : قدور صغار من حجار ، التبريزي ــ الحماسة ، ج ١ ، ص ١٩٨ .
(٨) السموءل بن عادياء : شاعر من سكان خيبر كان يتنقل بينها وبين حصن له يسمى الأبلق ، الزركلي ــ الأعلام ، ج ٣ ، ص ١٤٠ ، الجبل : العز والسمو ، احتل : حل ، طرف : نظر ، السموءل ــ ديوان ، ص ١٢ ، التبريزي ــ الحماسة ، ج ١ ، ص ٢٩ .
(٩) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

لم تكن النظرة إلى الجار نظرة دونية ، فقد يزوج المجير جاره ابنته ، أي أنه ينظر للمجير نظرة مساوية له ، فعندما نزل قسي بن منبه على عامر بن الظرب العدواني مستجيرا ، تزوج ابنته ([١]) .

وقد تمتعت المرأة بحق الإجارة فقد أجارت أم جميل الدوسية ضرار بن الخطاب الفهري ([٢]) ، وأجارت فكاهة بنت قتادة السليك بن السلكة ([٣]) ، وكانت سبيعة بنت عبد شمس زوجة مسعود بن مالك الثقفي تؤمن من دخل خباءها أو تمسك بأطنابه أو دار حوله في حرب الفجار ([٤]) ، ومن الأمثلة الأخرى على إجارة المرأة استجارة مروان القرظ بخماعة بنت عوف بن محلم ([٥]).

ولم تكن الاستجارة تقتصر على الأحياء ، فقد يستجير رجل بميت عن طريق الاستجارة بقبره ، حيث يقوم أبناء الميت بإجارة المستجير بالقبر ، كالاستجارة بقبر عامر بن طفيل ([٦]) .

ومن أساليب الاستجارة أنه إذا أتى رجل إلى آخر ليستجير به ولم يجده عقد طرف ثوبه إلى طنب (حبل) البيت ، فإن فعل ذلك عد جارا ، ووجب على صاحب البيت أن يجيره ([٧]) .

ومن اساليب الاستجارة الأخرى تنكيس الرمح أمام مضرب المجير ، حيث يرفعه المجير عند قبوله الإجارة ، فقد تنقل الحارث بن ظالم المري ، بين القبائل حتى وصل عكاظ

([١]) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٦٨٤ ، ابن خلدون ــ العبر، ج ٢ ، ص ٣٣٨ .
([٢]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٤٣٣ .
([٣]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٤٣٣ ، الجاحظ ــ المحاسن ، ص ٥١ ، الميداني ــ مجمع ، ج ٢ ، ص ٤٣٩ ، الحلي ــ الميداني ، ص ٧٩ .
([٤]) أبو عبيدة ــ أيام ، ج ٢ ، ص ٥٢٠ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢٢ ، ص ٦٧ .
([٥]) الألوسي ــ بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ١٢٥ .
([٦]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٦١ .
([٧]) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٩ .

، وبها عبد الله بن جدعان ، فنكس رمحه أمام مضربه ورفعه حين عرفوه ، وأمن وأقام بمكة حتى أتاه أمان ملك الحيرة ([1]) .

وقد يتم الجوار عن طريق ربط المستجير رشاءه (حبله) برشاء المجير عند سقاء الإبل ، كما فعل عياض بن ديهث عندما استجار بالحارث بن ظالم المري ، أو بتعليق االمستجير دلوه بدلو المجير ، كما فعلت ديهث عندما استجارت بالحارث بن ظالم المري ([2]) .

ويبدو أنه كان للجوار مدة محددة قابلة للتجديد ، حيث يمكن تجديد عقد الجوار ، وإذا أراد خفرة الجوار (إنهاء الجوار) أعلن عن ذلك علانية ، فخفرة الجار ثلاثة أيام إلا إذا قبل المجير التجديد ([3]) .

وقد يكون الجوار محدودا بإقامة المستجير في منطقة ما ، مثل جوار أمية بن خلف لسعد بن معاذ في مكة ([4]) .

وقد تكون الإجارة محددة من أشخاص معينين ، فعندما كان بشر بن أبي خازم الأسدي يطلب الإجارة من القبائل وكانوا يجيرونه إلا من أوس بن حارثة الطائي ([5]) .

وحماية الجار واجبة على مجيره ، وإذا قتل أحد جماعة المجير الجار فعليه الدية كما حدث للرسول مع العامريين الذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري ([1]) .

وكان حماية الجار من العوامل التي تؤدي إلى مدح المجير ، فلما نزل قيس بن الحدادية عند بطن من خزاعة يقال لهم بنو عدي بن عمرو بن خالد بعد أن خلعه قومه آووه وأحسنوا إليه فمدحهم بقوله :

جزى الله خيرا عن خليع مطرَّدٍ رجالا حَمَوْه آل عَمرو بن خالدِ

([1]) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٢ .
([2]) الألوسي ــ بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ١٣٤ .
([3]) النويري ــ نهاية ، ج ١٥ ، ص ٣٥٨ .
([4]) المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ١٩٤ .
([5]) الألوسي ــ بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(١) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ١١١ ، ١١٢ ، السهيلي ــ الروض ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ .

فليس كمن يغزو الصديق بنَوْكِه   وهمتُه في الغزو كسبُ المَزاوِد

أولئك إخواني وجُلُّ عشيرتي   وثروتُهم والنصرُ غيرُ المُحارِد [1]

وكان الاعتداء على الجار من الأسباب التي تؤدي إلى وقوع القتال بين القبائل ، فكانت حرب البسوس نتيجة اعتداء كليب على جارة جساس [2] .

ومن واجبات المجير رد مال الجار عليه إذا تعرض الجار للسلب أو النهب سلما أو حربا ، فإذا لم يتمكن المجير من رد مال الجار عليه يقوم بتعويضه من ماله ، كما فعل علقمة بن سيف العتابي عندما تعرض جاره فدكي البهراني للغزو من قبل حنش بن معبد [3] .

الخلعاء

عندما يرتكب شخص ما جرما في حق قبيلته فإنها تخلعه ، وعندما يخلع فرد يخرج من حمى قبيلته [4] ، ومن الأمثلة على الخلع خلع قبيلة كنانة البراض بن قيس بن رافع الكناني لكونه سكيرا ، وحالف حرب بن أمية فشرب حتى هم حرب بخلعه فلحق بالنعمان بن المنذر بالحيرة [5] .

وتتم إجراءات الخلع في الأسواق والمحافل ، بالمناداة والكتابة ، بأن القبيلة خلعت فلانا فإن جَرّ (أي أخذ بجريرة) لم تضمن وإن جُرّ عليه (أي قتل) لم تطلب ، فقد خلعت خزاعة قيس بن الحدادية بسوق عكاظ ، وأشهدت على أنفسها بخلعها إياه ، فلا تحتمل جريرة له ، ولا تطالب بجريرة يجرها أحد عليه [6] .

---

(١) نوكه : حمقه ، المزود : وعاء الزاد ، الثروة : كثرة العدد ، المحارد : المنقطع ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٤ ، ص ١٥٢ ــ ١٥٣ .

(٢) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٦ ، ص ٧٠ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٣١٣ .

(٣) الألوسي ــ بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ٥٤ ، انظر أيضا حول الجوار : أحمد الحوفي ــ الحياة العربية ، ص ٢١٣ ــ ٢٢٠ ..

(٤) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١٠٠ ــ ١٠١ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٥٩٠ .

(٥) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢٢ ، ص ٥٦ ــ ٥٧ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٥٩٠ .

(٦) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٤ ، ص ١٤٥ .

الصعاليك

أدى انخفاض مكانة بعض الأفراد في قبائلهم إلى خروجهم على قبائلهم وتكوينهم جماعات خارجة على نظم القبيلة ، ويقومون بالسلب والنهب ، حيث أطلق عليهم اسم الصعاليك ، فقيس بن الحدادية يتصعلك عندما رأى أنه لا يساوي عند قومه عنزا جرباء جدماء بعد أن خلعه قومه لسوء مسلكه ([١]) ، وعندما لطمت الفتاة السلامية الشنفرى خرج على قبيلة سلامان (وهي قبيلة من قيس عيلان) التي تربى فيها مما أدى إلى تصعلكه ([٢]) .

وقد يقوم الفرد بعد خروجه على قبيلته بضم أفراد مماثلين له ويقوم بالإغارة على قبيلته السابقة ، فمثلا يجمع قيس بن الحدادية الكثير من أمثاله ويغير بهم على قومه ويستاق أموالهم ([٣]) ، كما أغار الشنفرى على بني سلامان الذين نشأ فيهم وقتل تسعة وتسعين رجلا منهم ([٤]) .

ويبدو أن الصعاليك لم يكونوا يقرون بمكانة قريش الدينية ، فقد كان " ذؤبان (لصوص) العرب وصعاليك الأعراب وأصحاب الغارات وطلاب الغوائل لا يرون للحرم حرمة ولا للشهر الحرام قدرا كبني طيء وخثعم وقضاعة وسائر العرب يحجون البيت ويدينون بالحرمة له " ([٥]) .

ومن ناحية أخرى يقوم أحد الصعاليك بتبني مجموعة من الفقراء ، ويقوم بالإنفاق عليهم مما يغنم ، وهنا يصبح للصعلكة مضمون اجتماعي ، فقد كان عروة بن الورد العبسي الغطفاني يجمع إلى خيمته فقراء قبيلته عبس المعوزين منهم والمرضى ، يتخذ لهم حظائر يأوون إليها ، ويفيض عليهم مما يغنم ([٦]) ، حيث قال عروة بن الورد :

([١]) أبو الفرج الأصفهاني ـــ الأغاني ،ج ١٤ ، ص ١٦٠ .
([٢]) المصدر نفسه ، ج ٢١ ، ص ١٧٩ .
([٣]) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١٤٥ .
([٤]) المصدر نفسه ، ج ٢١ ، ص ١٧٩ .
([٥]) ابن إسحق ـــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٣٦ ، ابن سعد ـــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٧٥ ـــ ٧٦ ، الأزرقي ـــ أخبار ، ص ٦٧ ، الطبري ـــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٣ ، السهيلي ـــ الروض ، ج ١ ، ص ١٦١ .
([٦]) أبو الفرج الأصفهاني ـــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ٧٨ .

أتهزأ مني أن سمنت وأن ترى   بجسمي مس الحق والحق جاهد

لأني امرؤ عافي إنائي شركة   وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

أقسم جسمي في جسوم كثيرة   وأحسو قراح الماء والماء بارد ([1])

أدرك الصعاليك أهمية المال في الحياة ، لذلك عملوا على الحصول عليه عن طريق الغزو ، قال حاتم الطائي :

غنينا زمانًا بالتصعلك والغنى   فكلاً سقاناه بكأسيهما الدهرُ

فما زادنا بغيًا على ذي قرابةٍ   غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقرُ ([2])

وقال عروة بن الورد :

ذريني للغنى أسعى فإني   رأيتُ الناس شرهم الفقيرُ

وأبعدُهم وأهونُهم عليهم   وإن أمسى له حسبٌ وفيرُ

ويقصيه النديُّ وتزدريه   حليلته وينهره الصغيرُ ([3])

وقال أيضا :

المالُ فيه مهابةٌ وتجلةٌ   والفقرُ فيه مذلةٌ وفضوحُ ([4])

وقال أيضا :

إذا المرء لم يبعث سوامًا ولم يُرَح   عليه ولم تعطف عليه أقاربُه

فللموتُ خيرٌ للفتى من حياتهِ   فقيرًا ومن مولى تدب عقاربه ([5])

وقال أيضا :

([1]) عافي إنائي شركة : اقتسم طعامي مع غيري ، عافي إنائك واحد : تأكله وحدك ، عروة ــ ديوان ، ص ١٣٨ ــ ١٤١ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ١ ، ص ١٩١ .
([2]) حاتم ــ ديوان ، ص ٢٠٣ .
([3]) عروة ــ ديوان ، ص ٧٩ .
([4]) المصدر نفسه ، ص ٥٤ .
([5]) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

لحى الله صعلوكًا إذا جن ليله ... مصافي المشاش آلفًا كل مجزرِ

يعد الغنى من نفسه كل ليلةٍ ... أصاب قِراها من صديق مُيَسَّرِ

ينام عشاءً ثم يصبح ناعسًا ... يحت الحصى عن جنبه المتعفرِ

قليل التماس الزاد إلا لنفسه ... إذا هو أمسى كالعريش المجورِ

يعين نساء الحي ما يستعنه ... ويمسي طليحًا كالبعير المحسّرِ

ولكن صعلوكًا صفيحة وجهه ... كضوء شهاب القابس المتنورِ

مُطلاً على أعدائه يزجرونه ... بساحاتهم زجر المنيح المشهرِ

فذلك إن يلق المنية يلقها ... حميدًا وإن يستغنِ يومًا فأجدرِ ([1])

وقال السليك بن السلكة :

فلا تصلي بصعلوكك نؤوم ... إذا أمسى يُعَدُّ من العيالِ

ولكن كل صعلوكٍ ضروبٍ ... بنصلِ السيفِ هامات الرجالِ ([2])

وقال حاتم الطائي :

ولن يكسب الصعلوك حمدًا ولا غنًى ... إذا هو لم يركب من الأمر معظما

لحى الله صعلوكًا مناهُ وَهَمُّهَ ... من العيش أن يلقى لبوسًا ومطعما

يرى الخمصَ تعذيبا وإن يلق شبعةً ... يبتْ قلبُهُ من شدةِ الهم مبهما

ينام الضحى حتى إذا يومه ... استوى تنبه مثلوج الفؤاد مُوَرّما

مقيمًا مع المثرين ليس ببارحٍ ... إذا كان جدوى من طعامٍ ومجثما

ولله صعلوك يساورُ همَّه ... ويمضي على الأحداثِ والدهر مقدما

فتى طلبات لا يرى الخمصَ ترحةً ... ولا شبعةً إن نالها عدّ مغنما

([1]) مصافي المشاش : مختار مؤثر للأكل ، المشاش : رأس العظم اللين ، طليح : أعيا من العمل ، محسر : ضعيف ، يزجرونه : يصيحون به ، المنيح : قدح مستعار ، عروة ــ ديوان ص ٦٩ .

([2]) المبرد ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

إذا ما رأى يومًا مكارمَ أعرضت   تَيَمّمَّ كبراهُنّ ثُمتَ صمّما ([1])

قال عمرو بن براقة الهمداني :

تقول سليمى لا تعرَّض لتلفة   وليلك عن ليل الصعاليك نائمُ

وكيف ينامُ الليلَ من جُلُ مالِهِ   حُسامٌ كلونِ الملح أبيض صارمُ

غموضٌ إذا عض الكريهة لم يَدَعِ   له طمعًا طوعُ اليمين ملازمُ

ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم   قليلٌ إذا نام الخليُّ المسالمُ ([2])

الأسرى والسبايا

يبدو من استعراض الإشارات العائدة لفترة ما قبل الإسلام أن الغزو كان سمة أساسية في العلاقات بين القبائل العربية ، ويتبع الغزو وقوع أسرى وسبايا بين الطرفين ، ولم تتعرض جميع القبائل للغزو ، فقريش كانت لا تغزى ، وذلك بسبب مركز مكة الديني ، حيث أطلق على قريش اسم الحمس ، ويعني هذا الاسم التشدد في الدين ، حيث أحدثت قريش بعض المناسك في الجاهلية والتزمت بها كل من قبيلتي كنانة وخزاعة وبعض حلفاء قريش ([3]) ، ويبدو أن الحمس لم يكونوا يتعرضون للغزو كما يشير إلى ذلك قول ساعدة بن جؤية الهذلي :

يدعون حمسا ولم يرتع لهم فزع   حتى رأوهم خلال السبي والنَّعَم

إذ يقول السكري في شرح هذا البيت : " أي أنهم أهل مكة كانوا من العز لا يغزون ، وكانت قريش ، ومن دان بدينها في الجاهلية حمسا " ([4]) ، فتوصف قريش بأنهم " آمنون لا يسبون " ([5]) .

وقال حرب بن أمية يرغب أبا مطر الحضرمي في نزول مكة (التي كانت تدعى

([1]) خمص : جوع ، مثلوج الفؤاد : ساقط الرأي بليد ، حاتم ــ ديوان ، ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦ .
([2]) تلفة : هلكة ، القالي ــ الأمالي ، ج ٢ ، ص ١٢٢ ، انظر أيضا حول الصعاليك : أحمد الحوفي ــ الحياة العربية ، ص ٢٢٦ ــ ٢٣٤ .
([3]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٧٢ ، الأزرقي ــ أخبار ، ص ١١٨ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة حمس .
([4]) السكري ــ شرح ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .
([5]) الطبري ــ جامع ، ج ١ ، ص ٤٢١ .

صلاحا) ([1]) :

أبا مطر هلم إلى صلاح　　　فيكفيك الندامى من قريش

وتنزل بلدة عزت قديما　　　وتأمن أن ينالك رب جيش ([2])

وينشأ عن الغزو والحروب وقوع أسرى وسبايا بين الطرفين ، ففي يوم الخربة بين بني عامر بقيادة الحارث بن ظالم وبني أسد غزا الأسود من قبيلة الحارث بني أسد ، فقتلهم قتلا ذريعا واستاق أموالهم ([3]) ، وفي يوم نقا الحسن يخاطب بسطام بن قيس بن مسعود أمه ليلى بنت الأحوص : " إني قد أخدمتك من كل حي أمة ، ولست منتهيا حتى أخدمك أمة من بني ضبة " ([4]) ، وفي يوم الغبيط أغارت قبيلة بكر بن وائل على بني ربيعة بن الحارث ، فأصابوا سبيا ونعما ([5]) ، وفي يوم بارق بين بني تغلب والنمر بن قاسط كانت الدائرة على بني تغلب وقتل الرجال ونهبت الأموال وسبيت النساء ([6]) .

ويبدو أن السبي كان من أهم الأمور التي حرص عليها العرب في غزواتهم لبعضهم البعض كما يوحي بذلك قول سعد بن مالك بن ضبيعة :

فالهمُّ بيضات الخدور　　　هناك لا النَّعم المُراح ([7])

وقد احتوى الشعر على وصف للأسرى والسبايا ، فمثلا يصف ساعدة بن جؤية حال النساء المسبيات بقوله :

وحرة من وراء الكور واركة　　　في مركب الكره أو تمشي على جشم

يذرين دمعا على الأشفار منحدرا　　　يرفلن بعد ثياب الخال في الردم ([8])

ويقول مهلهل بن ربيعة في بني بكر مفاخرا بنصره عليهم وتحويلهم إلى عبيد :

([1]) البلاذري ــ فتوح ، ص ٦٣ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة مكة .
([2]) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٢ ، ص ٤٤٦ ــ ٤٤٧ .
([3]) أبو عبيدة ــ أيام ، ج ١ ، ص ٥١٨ .
([4]) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ١ ، ص ١٧٧ .
([5]) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ٢ ، ص ٣٣ .
([6]) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٦٤٨ .
([7]) المرزوقي ــ الحماسة ، ج ٢ ، ص ٥٠٥ ، الخالديان ــ الأشباه ، ص ١٥٥ .
([8]) السكري ــ شرح ، ج ١ ، ص ٢٠٦ ، ثياب الخال : ثياب المترفات ، الردم : ثياب بالية .

قد ملكناكم فكونوا عبيدا   ما لكم عن ملاكنا من مجال ([1])

ويقول أيضا :

أسلموا كل ذات بعل وأخرى   ذات خدر غراء مثل الهلال ([2])

وقال عنترة العبسي :

وعدنا بالنهاب وبالسرايا   وبالأسرى تكبل بالصفاد ([3])

وقال بشر بن أبي خازم يصف رعب النساء المسبيات :

تبيت النساء المرضعات برهوة   تفزع من خوف الجنان قلوبها ([4])

وقال النابغة الذبياني :

لا أعرفن ربربا حورا مدامعها   كأنهن نعاج حول دوار

ينظرن شزرا إلى من جاء عن عرض   بأوجه منكرات الرق أحرار

يذرين دمع عيون دمعها درر   يأملن رحلة حصن وابن سيار ([5])

وقال أيضا :

ويخططن بالعيدان في كل منزل   ويخبأن رمان الثدي النواهد ([6])

وقال عمرو بن كلثوم :

فآبوا بالنهابِ وبالسبايا   وأُبْنا بالملوك مُصَفَّدينا ([7])

ويقول طفيل الغنوي :

أبأنا بقتلانا من القوم مثلهم   وما لا يُعَدُّ من أسير مُكَلَّبِ ([8])

([1]) المهلهل ــ ديوان ، ص ٧٤ .
([2]) المصدر نفسه ، ص ٧٥ .
([3]) عنترة ــ ديوان ، ص ٥٥ .
([4]) رهوة : مكان مرتفع ، جنان : شدة ظلمة الليل ، بشر ــ ديوان ، ص ١٨ ، المفضل الضبي ــ المفضليات ، ص ٦٤٧ .
([5]) النابغة الذبياني ــ ديوان ، ص ٥٥ ، ابن بكار ــ جمهرة ، ج ١ ، ص ١٠ ــ ١١ ، ربرب : قطيع .
([6]) النابغة الذبياني ــ ديوان ، ص ٤٤ ، الجاحظ ــ الحيوان ، ص ٦٣ ــ ٦٤ .
([7]) القرشي ــ جمهرة ، ج ١ ، ص ٤٠٨ ، التبريزي ــ الحماسة ، ص ٣١٤ ، الزوزني ــ شرح ، ص ١٠٥ .
([8]) طفيل ــ ديوان ، ص ٣٢ ، مكلب : مكبل .

ويقول الحارث بن حلزة (من بكر بن وائل) متفاخرا أنهم دخلوا في الأشهر الحرم ، وكفوا عن القتال بعد أن سبوا نساء قبيلة تميم :

ثم ملنا إلى تميم فأحرمنا   وفينا بنات مر إماء ([١])

وقال طفيل الغنوي :

قتلنا بقتلانا من القوم مثلهم   وبالموثق المكلوب منا مكلب

وبالنعم المأخوذ مثل زهائه   وبالسبي سبي المحارب محرب

وبالمردفات بعد أنعم عيشة   على عدواء والعيون تصبب

عذارى يسحبن الذيول كأنها   مع القوم ينصفن العضاريط ربرب ([٢])

وحرص العرب على تخليص أسرى قومهم واستنقاذ السبايا ، فقد استنقذ الحارث بن ظالم جاراته اللواتي سباهن الأسود بن المنذر ([٣]) ، حتى مدحوا بذلك قالت الخنساء :

وعانٍ يحكُّ طنابيبه   إذا جُرّ في القدّ لا يرفعُ

دعاك فهتكت أغلاله   وقد ظن من قبلك لا تُقْطَعُ ([٤])

وقال دريد ين الصمة :

وما إن كسبت المال إلا لبذله   لطارق ليل أو لعانٍ مكبّلِ ([٥])

وقال زهير :

أليس بضرّاب الكماة بسيفه   وفكّاك أغلالِ الأسيرِ المَّقَّيدِ ([٦])

أما كيف يتم التصرف بالسبي ، فقد يتم بيعه كرقيق ، فكان بنو لحيان يبيعون أسراهم من خناعة ([٧]) ، كما أن خناعة باعت أحد الأسرى في مكة ([٨]) ، وقال المنخل اليشكري :

([١]) الحارث ــ ديوان ، ص ١٢ ، التبريزي ــ الحماسة ، ص ٣٤٢ .
([٢]) طفيل ــ ديوان ، ص ٤٦ ، ٤٧ ، ينصفن : يخدمن ، العضاريط : الخدم ، ربرب : قطيع .
([٣]) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٨ ، ص ١٥ ، أبو علي القالي ــ الأمالي ، ج ١ ، ص ٩١ .
([٤]) الخنساء ــ ديوان ، ص ١٣٠ ، عان : أسير ، القد : القيد .
([٥]) دريد ــ ديوان ، ص ٩٦ .
([٦]) زهير ــ ديوان ، ص ١٨٧ .
([٧]) السكري ــ شرح ، ج ١ ، ص ٣٧٣ .
([٨]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٩٢ ــ ٣٩٥ .

ولقد شربتُ الخمرَ بالعبدِ الصحيحِ وبالأسير ([1])

وفي سنة ٣ هــ بعث الرسول وفدا مكونا من ستة من المسلمين لتعليم قبائل عضل والقارة الإسلام ، فغدروا بهم ، وقتلوا أربعة منهم وباعوا الباقين إلى كفار قريش ([2]) ، وعندما أغارت خيل لبني القين بن جسر على بني معن احتملوا زيد بن حارثة وباعوه في سوق عكاظ ، لحكيم بن حزام بأربعمئة درهم ([3]) .

إلا أنه يبدو أن بعض القبائل كانت تحاول بيع الأسرى إلى القوم الأصليين وعادة يحدث ذلك في موسم الحج كما فعل أهل اليمامة بأسراهم من خزاعة ([4]) وقد يكون ذلك نوعا من الفداء بشكل أو بآخر أو طمعا في ارتفاع سعره عند بيعه لقومه وأحيانا يشتري بعض التجار الأسير بثمن قليل لبيعه لقومه بثمن كبير كما حدث مع الحارث بن ظالم ([5]) ، ولذلك فقد كانت تجارة الأسرى من تجارات العرب الرائجة ([6]) .

وكان تجار الأسرى يحاولون بيع الأسرى إلى من لهم ثأر عند هؤلاء الأسرى ، كما حدث مع خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة ، عندما باعوهم إلى مكة لقتلهم انتقاما لقتلى بدر ([7]) ، وأسرى يني يربوع من بني عامر الذين اشتراهم النعمان بن المنذر في سوق عكاظ للانتقام من بني عامر ([8]) .

ومن طرق التخلص من الأسر والسبي الفداء ، حيث يبدو أنه بعد انتهاء الحرب كان يأتي وفد لفداء الأسرى والسبي ([9]) ، ويبدو أن الفداء كان يتم ليلا لعدم افتضاح المسبيات ،

([1]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢١ ، ص ٧ .
([2]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ١٧١ .
([3]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٣ ، ص ٤٠ .
([4]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٤ ، ص ١٣٥ .
([5]) المصدر نفسه ج ١١ ، ص ١١٥ .
([6]) السجستاني ــ المعمرون ، ص ١١١ .
([7]) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٣٥٧ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٣ ، ص ١٨٠ .
([8]) الحلي ــ المناقب ، ج ٢ ، ص ٤٤٩ ــ ٤٥٠ .
([9]) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٥٦٧ .

حيث توقد نار تسمى نار الفداء ([١]) ، كما يوحي بذلك قول الأعشى :

سبايا بني شيبان يوم أوارة　　　على النار إذ تُجلى له فتياتُها ([٢])

ولم تكن قيمة الفداء واحدة ، بل تختلف من شخص لآخر تبعا لمكانته الاجتماعية ، حيث وصل مقدار مبالغ الفداء إلى ألفي بعير و ألف عبد ([٣]) ، فقد كان فداء وبره بن رومانس من يزيد بن الصعق يوم القريتين ألف بعير ، وفداء بسطام بن قيس الشيباني من عتبة بن الحارث اليربوعي يوم الغبيط ألف بعير وثلاثة أفرس وهودج أمه وحِدْجها وأربعمئة بعير ([٤]) ، ووصل فداء بعض أسرى قريش بعد غزوة بدر أربعة آلاف درهم للأسير الواحد ([٥]) ، ويقول أصم بن الباهلة في فداء حاجب بن زرارة :

افتدوا حاجبا وقد جعلت　　　سمر القيود برجلي حاجب أثرا

بألف عبد وألفي رائم جعلوا　　　أولادهن لنا من لؤمهم جزرا ([٦])

وكان الطمع في الفداء أحد الدوافع للاشتراك في القتال ، ففي يوم الكلاب الثاني بين مذحج وتميم خرج قيس بن عاصم التميمي يلتمس أن يصيب رجلا من ملوك اليمن له فداء ([٧]) ، وعندما أغارت بهراء على بني شيبان أخذوا نساء ونعما ، فلحقوا بهم ، واشتروا منهم النساء وردوهن ([٨]) .

وكان بعض العرب يعملون على افتداء الأسرى ممن تعجز قبائلهم عن فدائهم ، حيث كان عدي بن نوفل يشتري أسارى من خزاعة ويعتقهم ، بعد أن عجزت قبائلهم عن شرائهم ، فقال قيس بن الحدادية في ذلك :

([١]) ابن قتيبة ــ المعاني ، ج ١ ، ص ٤٣٥ ، العسكري ــ الأوائل ، ص ٣٣ ، النويري ــ نهاية ، ج ١ ، ص ١٠٨ ــ ، ١٠٩ ، القلقشندي ــ صبح ، ج ١ ، ص ٥٦٧ ، القلقشندي ــ نهاية ، ص ٤٦٣ .
([٢]) الأعشى ــ ديوان ، ص ١٣٧ .
([٣]) ابن رسته ــ الأعلاق ، ج ٧ ، ص ١٩٣ .
([٤]) أبو عبيدة ــ أيام ، ص ٥٥٤ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١ ، ص ٣٣ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٣٢٦ ، ٣٨٤ .
([٥]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٦٤٩ ، الزبيري ــ نسب ، ص ٤٠٦ .
([٦]) رائم : ناقة ذات أولاد ، أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ٢ ، ص ٨٦ .
([٧]) أبو عبيدة ــ أيام ، ج ١ ، ص ٤٤٨ .
([٨]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٣ ، ص ١٠٥ .

دعوت عديا والكبول تكبني   ألا يا عدي ، يا عدي بن نوفل

تداركت أصحاب الحظيرة بعدما   أصابهم منا حريق المحلل ([١])

وعندما كانت القبيلة تعجز عن شراء النساء ، يستوهبونهن من آسريهن ([٢]) ، فبعد غزوة حنين خير الرسول وفد هوازن ، الذي جاء يطالب بالسبي والأموال بين السبي والأموال ، فقالوا : " يا رسول الله ، خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، وما كنا نعدل بالأحساب شيئا ، فرد علينا أبناءنا ونساءنا " ([٣]) .

وكان الاستيهاب أيضا يتم ليلا ، حيث كانت تقام نار للاستيهاب ، كراهة أن يعرضوا النساء نهارا فيفتضحن ([٤]) .

إلا أن بعض العرب كانوا يطلقون سراح أسراهم دون فداء ، حيث كانوا يجزون ناصية الأسير ، لأنهم رأوا بذلك أكبر إهانة تلحق بالأسير ([٥]) ، وكان ذلك يعد من أسباب الفخر للآسر ، قال حسان :

كم من أسير فككناه بلا ثمن   وجز ناصية كنا مواليها ([٦])

وقالت الخنساء :

جززنا نواصي فرسانها   وكانوا يظنون ألا تجزا

ومن ظن من يلاقي الحروب   بألا يصاب فقد ظن عجزا ([٧])

وهناك من العرب من كانوا يتجنبون السبي في الحروب كما يوحي بذلك قول الحارث بن ظالم :

وإني يوم غمرة غير فخر   تركت النهب والأسرى الرغابا

([١]) المصدر نفسه ، ج ١٤ ، ص ١٤٤ .
([٢]) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ١ ، ص ٣٧٩ ــ ٣٨٠ .
([٣]) الواقدي ــ المغازي ، ج ٣ ، ص ٩٥١ ــ ٩٥٢ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٤٨٩ ، الماوردي ــ الأحكام ، ص ١٧١ .
([٤]) القلقشندي ــ نهاية ، ص ٤٦٣ .
([٥]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٣ ، ص ١٠ ــ ١١ ، التبريزي ــ الحماسة ، ص ٢٨٤ .
([٦]) حسان ــ ديوان ، ص ٣٣٢ .
([٧]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٥ ، ص ١٤٩ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٣٦٤ .

فلست بشاتم أبدا قريشا مصيبا رغم ذلك من أصابا [١]

وقال النابغة الجعدي (أحد شعراء قبيلة بني جعدة) :

ملكنا فلم نكشف قناعا لحرة ولم نستلب إلا الحديد المسمرا

ولو أننا شئنا سوى ذاك أصبحت كرائمهم فينا تباع وتشترى [٢]

وقال القلمس الكناني أحد حكام العرب موصيا قبيلته بعدم السبي : " يا معشر العرب : أطيعوني ترشدوا أوصيكم بالحرب إن ظفرتم بقوم فأبقوا فيهم ، فإنه حسب لكم ، ويد عند عدوكم ، فإن من ظفرتم به ، فهو ظافر بكم ، لا بد ، وهو عامل فيكم بما عملتم به ، فلا تقتلن أسيرا ، فإنه ذحل عندكم (سبب للعداوة وطلب الثأر) ، ومصيبة فيكم ، وإنما هو مال من أموالكم ، وإن الأسرى تجارة من تجارات العرب ، فلا تسألن أسيركم فوق ما عنده ، فيموت في أيديكم ، فلا يستأثرن بعده أحد لكم ، وأكثروا العتاقة في أسرى العرب ، ودعوا العرب ترجوكم وتستبقيكم " [٣] .

وكان بعض العرب يتعفف عن تحويل السبايا إلى إماء ، بل يقوم بردهن إلى أهلهن كما يوحي بذلك قول دريد بن الصمة :

وردّ النساءَ بأطهارها ولو كان غير يزيد فَضَح [٤]

وافتخر الحصين بن الحمام المري بإعتاقه ابنة العمري فقال :

وأعتقنا ابنة العَمِري عمرو وقد خُضنا عليها بالقداح [٥]

وأعتق قيس بن الخطيم غمامة بنت طرد بن زرارة [٦] ، وأعتق علقمة بن سيف التغلبي نساء بني تميم [٧] .

---

(١) الحارث بن ظالم : أحد فتاك العرب ، الزركلي ــ الأعلام ، ج ٢ ، ص ١٥٥ ــ ١٥٦ ، المفضل ــ المفضليات ، ص ٦١٨ .
(٢) النابغة الجعدي ــ ديوان ، ص ٧٢ .
(٣) السجستاني ــ المعمرون ، ص ٨٠ ــ ٨١ .
(٤) دريد ــ ديوان ، ص ٤٢ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٠ ، ص ٣٨ .
(٥) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٤ ، ص ١٤ .
(٦) النويري ــ نهاية ، ج ١٥ ، ص ٣٨٠ .
(٧) الشمشاطي ــ الأنوار ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

وكان الرجال يتحولون عند أسرهم إلى عبيد قال قيس بن الخطيم :

فلن ننفك نقتل ما حيينا   رجالكم ونجعلكم عبيدا (١)

وقال زيد الخيل للحطيئة عند أسره :

أقول لعبدي جرول إذا أسرته   أثبني ولا يغررك أنك شاعر (٢)

وكانت النساء عند سبيهن يتحولن إلى سريات لأسيادهن ، قال عنترة :

إن الرجال لهم إليك وسيلة   إن يأخذوك تَكَحَّلي وتَخَضَّبي

ويكون مركبك القعود ورحله   وابن النعامة عند ذلك مركبي (٣)

ويبدو أن عملية تحويل السبايا إلى سريات كان يتم بسرعة حتى قبل الوصول إلى الديار (٤) ، فعندما أراد الحارث بن عوف وطء زوجته بهيسة بنت أوس الطائي في الطريق قالت له : " أكما يفعل بالأمة الجليبة والسليبة الأخيذة " (٥) .

وكانت الخشية على النساء من السبي أحد أسباب الاستماتة في القتال ، كما يوحي بذلك قول عمرو بن كلثوم :

يقتن جيادنا ويقلن لستم   بعولتنا إذا لم تمنعونا

إذا لم نحمهن فلا بقينا   لشيء بعدهن ولا حيينا (١)

وكانت المرأة العربية تفضل العودة إلى أهلها على أن تبقى عند سابيها ، وإن كان لها مكرما ، فقد " أصاب عروة بن الورد في بعض غاراته ، امرأة من كنانة فاتخذها لنفسه ، فأولدها وحج بها ، ولقيه قومها ، وقالوا : فادنا بصاحبتنا ، فإنا نكره أن تكون سبية عندك ، وقال : على شريطة ؟ قالوا : ما هي ؟ ، قال : على أن نخيرها بعد الفداء ، فإن اختارت أهلها

---

(١) قيس ــ ديوان ، ص ١٤٩ .
(٢) زيد الخيل ــ ديوان ، ص ٥٤ .
(٣) عنترة ــ ديوان ، ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤ .
(٤) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ٢ ، ص ٦٧٩ .
(٥) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٠ ، ص ٢٩٦ .

(١) التبريزي ــ الحماسة ، ص ٣٢٠ ــ ٣٢٢ .

أقامت فيهم ، وإن اختارتني ، خرجت بها ، وكان يرى أنها لا تختار عليه ، فأجابوه إلى ذلك ، وفادوا بها ، فلما خيروها اختارت قومها ، ثم قالت : أما إني لا أعلم امرأة ألقت سترا على خير منك ، أغفل عينا وأقل فحشا ، وأحمى لحقيقة ، ولقد أقمت معك وما يوم يمضي إلا والموت أحب إلي من الحياة فيه ، وذلك أني كنت أسمع المرأة من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا ، وقالت أمة عروة كذا ، والله لا نظرت في وجه غطفانية ، فارجع راشدا وأحسن إلى ولدك " (١) .

ومن طرق التخلص من السبي المكاتبة ، وذلك بدفع السبية مبلغا من المال مقابل حصولها على الحرية ، فعندما وقعت جويرية بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس أرادت مكاتبته ، وعندما تزوجها الرسول قضى عنها كتابتها (٢) .

الرقيق

كانت التجارة أحد مصادر الرقيق عند العرب قبل الإسلام ، حيث يطلق على تاجر الرقيق اسم النخاس ، ومن أشهر النخاسين في مكة عبد الله بن جدعان (٣) ، وحكيم بن حزام (٤) .

وأدت تجارة الرقيق إلى دخول عناصر غير عربية إلى المجتمعات العربية قبل الإسلام ، فقد كان هناك رقيق مجلوب من الحبشة ، حيث يورد ابن حبيب قوائم بأسماء أبناء الحبشيات في الجزيرة العربية (٥) ، وهناك رقيق مجلوب من مصر مثل أبي رافع مولى الرسول (٦) ، والجاريتان مارية وسيرين والخصي مأبور الذين أهداهم المقوقس إلى الرسول

---

(١) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٣٧٦ ، ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ٤٥٣ ــ ٤٥٤ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ٧٦ ــ ٧٧ .

(٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٩٥ ، انظر أيضا حول الأسرى والسبايا ، أحمد الحوفي ــ الحياة العربية ، ص ١٩٥ ــ ٢٠٢ .

(٣) ابن رسته ــ الأعلاق ، ص ٢١٥ ، البيهقي ــ المحاسن ، ص ١٠٣ ، الثعالبي ــ ثمار ، ص ١٢٨ .

(٤) الزبير ــ جمهرة ، ص ٣٦٢ .

(٥) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٠٦ ــ ٣٠٨ .

(٦) ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ١ ، ص ٦١ ، ٦٤ ، السهيلي ــ الروض ، ج ٣ ، ص ٦٦ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٥ ، ص ٢٨٣ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٧ ، ص ١٣٤ .

([١]) ، كما يورد ابن حبيب قوائم بأسماء المكيين الذين ولدوا من أمهات سنديات ونبطيات (آراميات) ([٢]) .

وترد إشارات إلى رقيق مجلوب من النوبة ، كما يوحي بذلك قول كعب بن زهير :

وكأنها نوبيةٌ وكأنهُ زوجٌ لها   من قومها مَشْعوفُ ([٣])

وقول سعد بن طريف :

وذاكَ أسود نوبيٌّ له ذَفَرٌ   كأنه جُعَلٌ يمشي بقِرواح ([٤])

وترد إشارات إلى رقيق من بلاد الفرس ، فقد كان سلمان الفارسي أحد الفرس الذين استرقوا ([٥]) ، كما يرد ذكر استرقاق قبيلة إياد لامرأة فارسية اسمها سيرين في إحدى الغارات ([٦]) .

وكان هناك رقيق بيزنطي ، حيث يرد أن ملك الحيرة النعمان كان يسبي في غزواته للروم واجتمع له من الرقيق ما لم يملكه أحد من ملوك الحيرة ([٧]) ، كذلك كان صهيب الرومي أحد الرقيق البيزنطيين ([٨]) .

وكان هناك رقيق مصدره بلاد الترك وكابل ، كما يوحي بذلك قول الأعشى :

ولقد شَرِبْتُ الخمرَ   تَرْكُضَ حولنا تُرْكٌ وكابُل ([٩])

ويرد ذكر الرقيق السندي ، فقد سبى خالد بن الوليد أمة سندية من بني حنيفة ([١٠]) .

كما كان هناك رقيق هندي ، كما يوحي بذلك قول مزرد بن ضرار :

([١]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٧٦ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٤٩ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ٣١٣ .
([٢]) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٥٠٣ .
([٣]) كعب ــ ديوان ، ص ١٢٢ .
([٤]) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٣ ، ص ٥٠٧ ، الجاحظ ــ البرصان ، ص ٢٤١ .
([٥]) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٨٦ ــ ٤٨٧ .
([٦]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢٠ ، ص ٣ ، البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٧٠ .
([٧]) حمزة الأصفهاني ــ تاريخ ، ص ٨٨ .
([٨]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٣ ، ص ٢٢٦ ــ ٢٢٧ ، ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٣١٠ ــ ٣١١ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٢٦٤ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١٨٠ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٣ ، ص ٤٤٩ ــ ٤٥١ .
([٩]) الأعشى ــ ديوان ، ص ٣٩٧ .
([١٠]) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٢١٠ .

معاهدٌ ترعى بينها كلُّ رَعْلَةٍ غرابيب   كالهندِ الحوافي الحوافد (١)

وكان هناك رقيق يهودي (٢) ، ويبدو أن مناطق بلاد الشام كانت مصدر الرقيق اليهودي ، حيث يرد ذكر جلب عبد شمس عبدا يهوديا من صفورية (٣) .

واشتهر سوق دومة الجندل بتجارة الرقيق ، حيث اشتهرت بذلك قبيلة كلب ، حيث كان لهم قن كثير في هذا السوق (٤) ، ويبدو أن بعض هذا الرقيق كان من الرقيق المخطوف مثل سلمان الفارسي (٥) .

كذلك اشتهرت مكة بتجارة الرقيق فقد بيع خباب بن الأرت في مكة (٦) ، وعندما أراد قيس بن زهير العبسي بيع ظعائن الربيع بن زياد العبسي اتجه بهن إلى مكة (٧) .

وكذلك كان سوق عكاظ من أماكن بيع الرقيق ، فقد بيع صهيب الرومي في سوق عكاظ (٨) ، وكان سوق ذي المجاز من أماكن بيع الرقيق ، فقد بيع فيه عبيد والد أبي وجرة (٩) ، وكان سوق حباشة من أسواق الرقيق ، فقد بيع فيه زيد بن حارثة (١٠) .

ومن طرق الحصول على الرقيق الخطف ، فقد اختطف سلمان الفارسي أثناء خروجه من العراق إلى الشام ، فاسترق وبيع لبعض يهود الدينة (١١) .

ومن طرق الحصول على الرقيق السبي ، فقد كان زيد بن حارثة مولى الرسول من قضاعة أصابه سباء لأن أمه خرجت به تزور قومها من بني معن فأغارت عليهم خيل بني القين بن جسر فأخذوا زيدا ، فقدموا به سوق عكاظ فاشتراه حزام لعمته خديجة ، أو اشتراه

---

(١) المفضل ـــ المفضليات ، ص ٣٦٦ .
(٢) الواقدي ـــ المغازي ، ص ٨٦٦ .
(٣) المرزباني ـــ معجم ، ص ٢٢٦ ، السهيلي ـــ الروض ، ج ٣ ، ص ٦٥ .
(٤) ابن حبيب ـــ المحبر ، ص ٢٦٥ .
(٥) الطبري ـــ تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٧ ـــ ١٨ .
(٦) ابن قتيبة ـــ المعارف ، ص ٣١٦ ، ابن الأثير ـــ أسد ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
(٧) ابن الأثير ـــ الكامل ، ج ١ ، ص ٥٦٦ .
(٨) ابن حبيب ـــ المنمق ، ص ٣١٠ .
(٩) أبو الفرج الأصفهاني ـــ الأغاني ، ج ١٢ ، ص ٢٣٩ ، ابن حجر ـــ الإصابة ، ج ٦ ، ص ٦٣٤ .
(١٠) السهيلي ـــ الروض ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .
(١١) البلاذري ـــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٨٦ ـــ ٤٨٧ .

من سيوق حباشة فوهبته خديجة للنبي ([1]) ، وكذلك سبيت أم عمرو بن العاص وبيعت في سوق عكاظ ([2]) .

ومن الأسرى أيضا بقايا الجيش الحبشي بعد هزيمته في مكة ، حيث يرد ذكر رعاة لأهل مكة من بقايا الأحباش ([3]) ، وكذلك هناك بقايا الأحباش بعد هزيمتهم في اليمن ، حيث كانوا جزءا من حرس سيف بن ذي يزن ([4]) .

ومن الأسر والسبي سبي إياد سيرين الفارسية في حروبهم مع الفرس ([5]) ، وكذلك أسر العرب بعض الفرس في معركة ذي قار ([6]) .

وقد يحدث الرق بسبب القمار بمقامرة رجل على أهله كما يتضح من قول زهير بن أبي سلمى :

فلم أر معشرا أسروا هديا ولم أر جار بيت يستباء ([7])

وقمر أبو لهب العاص بن هشام حتى صيره عبدا له ، ثم أخرجه بدلا منه يوم بدر فقتل ([8]) .

وقد يبيع العم أبناء إخوته فسلامة بنت معقل ([9]) باعها عمها للحباب بن عمرو الأنصاري ([10]) ، إلا أن هذه الظاهرة كانت نادرة فعندما عرض صعصعة بن ناجية على رجل شراء ابنته لإنقاذها من الوأد استغرب ذلك وقال : هل تبيع العرب أولادها ([11]) .

وكان الرق يقع أحيانا على الأحرار حيث يرد أن أبا لهب والعاص بن هشام ، تقامرا

([1]) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ .
([2]) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١١٦ .
([3]) الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٤٧ ــ ١٤٨ .
([4]) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٤٥٠ .
([5]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢٠ ، ص ٣ ، البكري ــ معجم ، ج ١ ، ص ٧٠ .
([6]) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٣٢٠ .
([7]) زهير ــ ديوان ، ص ١٤٢ .
([8]) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٤٥٧ .
([9]) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ١٤٦ .
([10]) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٥ ، ص ٤٧٧ ــ ٤٧٨ .
([11]) المبرد ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ٦٠٨ .

وتعهدا على أن من يقمر يصير عبدا لصاحبه ، فقمر أبو لهب العاص ، فاسترقه واسترعاه إبله (١) ، وكان العاص بن هشام عبدا لأبي لهب ، فجعله قينا ، ثم أخرجه بديلا ، فقتل يوم بدر (٢).

ويعد ابن الأمة من الرقيق ويطلق عليه اسم مولد ، وعلى ابنة الأمة وليدة (٣) ، فمن المولدين بلال بن رباح من مولدي السراة ، وعامر بن فهيرة من مولدي الأزد (٤) ، وأبو كبشة من مولدي أرض دوس ، وقيل من مولدي مكة (٥) ، وسفينة من مولدي الأعراب (٦) ، وأنسة مولى الرسول وكان من مولدي السراة (٧) ، وأبو مويهبة من مولدي مزينة (٨) ، ومدعم من مولدي حسمى (٩) .

وعندما تزوج عمار وهو من الأحرار سمية وهي أمة ، ولد لهما عمار الذي عد عبدا لأبي حذيفة سيد سمية حتى أعتقه (١٠) .

ويتبع أبناء الأمة أمهم فهم ملك لسيد الأمة بغض النظر عن الأب ، فقد طالب زرارة بن عدس بأبناء أمته من النهشلي (١) .

ويبدو أن العرب قد عرفوا الخصيان ، حيث يرد ذكر الخصي مأبور الذي أهداه المقوقس إلى الرسول (٢) ، ويوحي ذلك أن مصدر الخصيان هو مصر .

ويبدو أن بعض الأغنياء قد امتلكوا أعدادا كبيرة من الرقيق ، حيث يرد أن حمزة بن مالك الهمداني أعتق أربعمئة عبد عند إسلامه (٣) ، وأعتق ذو الكلاع الأصغر بن النعمان

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ١٠٠ .
(٢) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٤٥٧ .
(٣) المرتضى ــ تاج ، مادة ولد .
(٤) ابن سعد ــ الطبقات ٣٨٥ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ١٤٨ ــ ١٤٩ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١٨٤ ، ١٩٣ .
(٥) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٤٧٨ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٧١ .
(٦) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٤٨٠ .
(٧) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٤٩٧ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٧٨ .
(٨) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٤٩٧ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ١٤٨ ــ ١٤٩ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٧٨ .
(٩) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٤٩٧ ــ ٤٩٨ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ١٤٩ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٨٤ .
(١٠) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٣ ، ص ٢٤٦ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣ ، البلاذري ــ أنساب ج ١ ، ص ١٥٧ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٤ ، ص ٤٣ .

أربعة آلاف مملوك [٤] . ويوحي ورود ذكر الرقيق في كتب الرسول إلى أهل نجران كثرة امتلاكهم للرقيق [٥] .

ويبدو أن الرقيق قد استخدم في الفداء ، فقد كان فداء حاجب بن زرارة ألف عبد وألف ناقة [٦] .

واستخدم الرقيق كجزء من المهر ، فقد كان مهر الرباعة بنت علقمة عندما تزوجها الحارث بن سليل الأزدي مئتين وخمسين من الإبل وخادم ومئة درهم [٧] ، وكان مهر إحدى النساء الذين تزوجهن امرؤ القيس عشرة أعبد وعشر وصائف [٨] .

واستخدم الرقيق كجزء من الهدايا للوفود ، فقد أهدى سيف بن ذي يزن لوفد قريش الذي هنأه بالنصر عشرة أعبد وعشر إماء لكل رجل [٩] .

وكانت العرب تميز بين أبناء السبايا وأبناء الإماء ، ففي حين أن أبناء السبايا ينسبون إلى آبائهم ولا يقع عليهم الرق ، وقد يصلوا إلى مكانة مرموقة مثل النعمان بن المنذر ملك الحيرة (وكان ابن سبية طائية تدعى سلمى) [١٠] ، والجراح بن الأسود بن يعفر (وهو أحد شعراء قومه بني نهشل وكان ابن سبية من نهد) [١١] ، وعلقمة الفحل (وهو أحد الشعراء المشهورين) [١٢] ، وعمرو بن العاص (كانت أمه سبية من عنزة) [١٣] ، وكان لحمزة بن جابر نساء مسبيات لهن منه أولاد [١٤] ، أما ابن الأمة فإذا لم يلحقه أبوه بنسبه استعبده [١٥] ،

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢١ ، ص ١١٣ .
(٢) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٧٦ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٤٩ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ٣١٣ .
(٣) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٤ ، ص ٥٧ ــ ٥٨ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٢ ، ص ١٨ .
(٤) ابن دريد ــ الاشتقاق ، ص ٥٢٦ ــ ٥٢٧ .
(٥) البلاذري ــ فتوح ، ص ٧٦ .
(٦) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ١ ، ص ٣٧٩ ــ ٣٨٠ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٥٧٥ .
(٧) النويري ــ نهاية ، ج ٣ ، ص ٢٢ .
(٨) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٩ ، ص ١٠١ .
(٩) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٤٦٥ ، الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٥٣ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ١ ، ص ٢٩٣ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٣١٦ .
(١٠) اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٢١٢ .
(١١) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٣ ، ص ٢٦ .
(١٢) المصدر نفسه ، ج ١٦ ، ص ٢١٣ .
(١٣) الزبيري ــ نسب ، ص ٤٠٩ .
(١٤) المفضل ــ أمثال ، ص ٥٢ ــ ٥٣ .
(١٥) ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ٧٥ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٧ ، ص ١٤١ .

حيث جرت العادة عندهم أن يستعبدوا أبناءهم الذين ولدوا من أمهات إماء ([١]) ، فقد كانت النظرة الاجتماعية إلى أبناء الإماء نظرة سلبية ، ويطلق على أبناء الإماء السود اسم الأغربة ، بالإضافة إلى نسبتهم إلى أمهاتهم دون آبائهم ، ومنهم عنترة وأمه زبيبة ، وخفاف بن عمير الشريدي وأمه ندبة ، والسليك بن عمر السعدي وأمه السلكة ([٢]) ، فابن الأمة ينسب إلى أمه ، ويعد أبناء الإماء من العبيد ، حتى لو كان ابوه حرا ، فقد كان الرجل يتسرى بإمائه ، فإذا ولدت ألحق أولادها بالعبيد مثل عنترة بن شداد ([٣]) ، قال عنترة :

إن كنت في عداد العبيد　　　فهمتي فوق الثريا والسماك الأعزل

أو أنكرت فرسان عبس نسبتي　　　فسنان رمحي والحسام يقر لي ([٤])

إلا أن بعض أبناء الإماء تمكنوا من تقديم خدمات إلى قبائلهم مما أدى إلى رفع مكانتهم الاجتماعية ، فعندما أخفق رجال عبس برد الغزاة ، طلب والد عنترة منه رد الغزاة والكر على العدو ([٥]) ، ورد عنترة العبسي على أبيه ، فقال : " العبد لا يحسن الكر ، وإنما يحسن الحلب والصر " ([٦]) ، وأدى دوره في رد الغزاة عن قبيلته إلى تغيير النظرة الاجتماعية السلبية إليه ، إلا أن هذا كما يبدو كان مقصورا على أوقات احتياجهم إليه كما يوحي بذلك قوله :

ينادونني في السلم يا بن زبيبة　　　وعند صدام الخيل يا بن الأطايب ([٧])

وقوله أيضا :

عتبت الدهر كيف يذل مثلي　　　ولي عزم أقد به الجبالا ([٨])

إلا أن قاعدة استرقاق أبناء الإماء لم تكن عامة ، فقد كان بعض الأحرار من أبناء

([١]) ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ١٥٣ .
([٢]) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ٢ ، ص ٧٨ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٨ ، ص ٢٤٠ .
([٣]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٨ ، ص ٢٣٩ .
([٤]) عنترة ــ ديوان ، ص ١٣٤ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨ .
([٥]) عنترة ــ ديوان ، ص ١٣٩ .
([٦]) المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .
([٧]) المصدر نفسه ، ص ٢٥ .
([٨]) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

الإماء مثل خفاف بن ندبة [١] وطليق بن أبي طالب ابن أمة لبني مخزوم [٢] وسمرة بن حبيب بن عبد شمس [٣] ، وكانت أم عمر بن الخطاب زنجية [٤] ، وكانت أم عمرو بن العاص أمة [٥] .

ويبدو أن عنترة العبسي تبنى فكرة الاعتراف بأبناء الإماء ، فقد حاول حث بعض العبسيين على الاعتراف بأبنائهم من العبيد [٦] .

كان بعض أبناء الإماء يزعمون أن أمهم سبية وليست أمة مستوردة أو مولدة مثل أولاد رميلة [٧] .

إلا أن السابي كان يتمتع بحق بيع أو إهداء السبايا [٨] ، فقد أراد قيس بن زهير بيع ظعائن الربيع بن زياد في مكة [٩] ، كما أن الرسول باع سبايا بني قريظة في نجد والشام [١٠] .

وكان السبي يقع على الأطفال ، قال عمرو بن معديكرب :

سبى الأطفال واجتزَّ النواصي   من الأبطال وانتسف الديارا [١١]

وقال حسان بن ثابت :

حتى نُبيلَ الخيلَ في عَرَصاتكم   ونؤوب بالملكاتِ والأولاد [١٢]

---

(١) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٤ ، ص ٢٣٥ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٨ ، ص ٧٤ .
(٢) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤١ .
(٣) الزبيري ــ نسب ، ص ٤٧ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٧٣ ، ابن حزم ــ جمهرة ، ص ٧٤ .
(٤) ابن أبي الحديد ــ شرح ، ج ١٢ ، ص ٣٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ١٢ ، ص ٣٩ .
(٦) عنترة ــ ديوان ، ص ٣١٥ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٨ ، ص ٢٤٣ ــ ٢٤٤ .
(٧) البغدادي ــ خزانة ، ج ٦ ، ص ٣٠ .
(٨) الزبيري ــ نسب ، ص ١٠٩ ، ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ٢ ، ص ٥٠١ .
(٩) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٥٦٦ .
(١٠) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٤٦٥ ، الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٥٣ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ١ ، ص ٢٩٣ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٣١٦ .
(١١) عمرو بن معديكرب ــ ديوان ، ص ٩٨ .
(١٢) حسان ــ ديوان ، ص ٢٧٦ ، الملكات : النساء .

ومن الأطفال الذين استرقوا بهذه الطريقة زيد بن حارثة حيث سبته قبيلة القين بن جسر ثم باعوه ([١]) ، وعبيد والد أبي وجرة الذي بيع في سوق ذي المجاز ([٢]) ومهجع مولى عمر بن الخطاب ([٣]) وخباب بن الأرت الذي بيع في مكة ([٤]) .

وكان الأرقاء يتعرضون للأسر والسبي ، فقد أسر الرسول عبدا يدعى يسار ([٥]) ، كما سبيت للبيد بن ربيعة جارية سوداء يوم فيف الريح ([٦]) .

كانت النظرة الاجتماعية إلى الرقيق نظرة دونية ، فلما صعد بلال مؤذن الرسول بأمر من الرسول فوق الكعبة ، لمباشرة الأذان ، قوبل بامتعاض شديد من بعض كفار قريش ، لأنهم رأوا في ذلك (اعتلاء عبد حبشي الكعبة) مساسا بقدسية البيت الحرام ([٧]) ، وفي مكة عندما كان الرسول يجالس بعض رقيقها مثل : خباب وصهيب وبلال ، فيقول بعض قريش لبعضهم : " أهؤلاء جلساؤه كما ترون ؟ قد من الله عليهم من بيننا " ([٨]) .

وكان العبد يعامل معاملة سيئة فيمكن لسيده أن يضربه ، قال أبو دؤاد الإيادي :

والعبد يُقْرَعُ بالعصا   والحرُّ تكفيه المقالة ([٩])

ويبدو أن الرقيق كان يمتلك مالا خاصا به ، فقد كان بعض الأرقاء يعملون في مهنة مقابل ضريبة لأسيادهم تدعى الخراج ([١٠]) ، فقد أمر الرسول أهل أحد الأرقاء الحجامين بالوضع من خراجه ([١١]) ، وكان بعض السادة يسمحون لأرقائهم بالعمل في أيام معينة

---

(١) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٤٨٧ ، الزبير ــ الأخبار ، ص ٣١٧ ــ ٣١٩ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٦٧ ، السهيلي ــ الروض ، ج ٢ ، ص ٢١٦ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ .

(٢) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٢ ، ص ٢٤٠ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٦ ، ص ٦٣٢ .

(٣) ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ٣ ، ص ٤٦٣ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٦ ، ص ٢٣١ .

(٤) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١٧٥ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٣ ، ص ٩٨ .

(٥) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٩٠ .

(٦) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٣١٦ ، البكري ــ معجم ، ج ٢ ، ص ١٠٣٩ .

(٧) الواقدي ــ المغازي ، ج ٢ ، ص ٨٤٦ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٤١٣ ، الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٩٢ ، الذهبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٤٦٣ ، المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ٣٣٩ ، ٣٩٠ .

(٨) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١٩٧ .

(٩) أبو دؤاد ــ شعر ، ص ٣٣٣ .

(١٠) أبو عبيد ــ الأموال ، ص ١٠٤ .

(١١) أبو عبيد ــ الأموال ، ص ١٠٥ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٤٤٤ ، البخاري ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ١٣٢ ، مسلم ــ صحيح ، ج ٩ ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥٠٦ .

لأنفسهم مثل سلمان الفارسي (١) ، وقد تمكن بعض الأرقاء من الحصول على مبالغ كبيرة نتيجة عملهم فنسطاس عبد أبي بكر امتلك ألف دينار وغلمانا ومواشي (٢) .

ولم يتدخل السادة في ديانات أرقائهم ، فعداس غلام عتبة وشيبة ابني ربيعة الوثنيين كان نصرانيا (٣) ، وكان غلام عثمان بن عبد الله الثقفي الذي قاتل معه في حنين وقتل نصرانيا أيضا (٤) ، إلا أن بعض الأرقاء شاركوا سادتهم في العبادة مثل غلامي عك الأسودين اللذين كانا يتقدمان ركبهما قائلين : " نحن غرابا عك " (٥) .

وكان بعض العبيد يهربون من ساداتهم ، فقد هرب عبد لبني بكر إلى أعدائهم بني تميم ونقل لهم معلومات عن قومه (٦) ، كما أن غلام أبي زبيد الطائي ساعد بهراء في غزوها لطيء (٧) ، وهرب مجموعة من عبيد زوج الفريعة فلما لحقهم قتلوه (٨) ، وأحيانا يقتل العبد سيده أو سيدته ثم يهرب (٩) .

وكان عقاب العبد قاتل سيده القتل ، قال دويلة بن أبي دويلة :

إذا قتل العبد المجدع ربه   فليس لنا سوى قتلة العبد (١٠)

وأشار أبو جهل إلى قتل العبد سيده ، حين أراد عبد الله بن مسعود قتله قائلا : " لست أول عبد قتل سيده " (١١) .

وقد يقوم السيد بإعتاق عبده ، حيث يرتبط العبد السابق بسيده برابطة تسمى ولاء العتق ، فقد قال أبو قحافة ، لولده أبي بكر الصديق عندما رآه يعتق العبيد الذين أسلموا : " يا

---

(١) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١١١ ، اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٦ ، السهيلي ــ الروض ، ج ١ ، ص ٢١٥ .
(٢) القرطبي ــ الجامع ، ج ٢٠ ، ص ٨٩ .
(٣) الطبري ــ تاريخ ، ج ٣ ، ص ٧٨ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٣ ، ص ٢٦٥ .
(٤) الواقدي ــ المغازي ، ج ٢ ، ص ٨٦٦ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ١ ، ص ٤٥٢ .
(٥) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ٧ .
(٦) الشمشاطي ــ الأنوار ، ج ٢ ، ص ٩١ .
(٧) ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ١٨٥ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٢ ، ص ١٣٥ .
(٨) الدارمي ــ سنن ، ج ٢ ، ص ١٦٨ ، أبو داود ــ سنن ، ج ٢ ، ص ٧٢٤ ، الطبري ــ جامع ، ج ٥ ، ص ٢٥٩ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٨ ، ص ٧٤ .
(٩) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٤٥٧ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٥ ، ص ٦٢٦ .
(١٠) الهمداني ــ الإكليل ، ج ١٠ ، ص ٩٦ .
(١١) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٩٠ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٢٩٩ .

بني إني أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك إذا ما فعلت أعتقت رجالا جلدا ، ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر : يا أبت إني إنما أريد وجه الله عز وجل ([١]) .

وكان حكيم بن حزام يعتق مئة وصيف يوم عرفة ([٢]) ، ويبدو أن ذلك كان جزءا من العبادة ([٣]) ، ويخاطب حاتم الطائي عبده مغريا إياه بالعتق إذا ما جلب ضيفا :

أوقد فإن الليل ليل قر والريح يا واقد ريح صر

عسى يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفا فأنت حر ([٤])

فقد أعتق أبو لهب ثويبة مرضعة الرسول ([٥]) ، وأعتق عبد الله بن جدعان صهيبا الرومي ([٦]) ، وأعتق أبو حذيفة بن المغيرة عمار بن ياسر ([٧]) ، وأعتقت أم أنمار بنت سباع الخزاعي خباب بن الأرت ([٨]) .

ومن المعتقدات عندهم أن كل عبد علا الكعبة فهو حر ([٩]) .

وقد يعتق العبد نتيجة خدمة قدمها لسيده ، فوحشي أعتق بعد أن وعده سيده بذلك إذا قتل الرسول أو أحد أقربائه ([١٠]) ، وحاولت قبيلة فهم إغراء عبد لهم بقتل عمرو ذي الكلب مقابل حريته ([١١]) ، وأعتق العباس غلامه أبا زبينة عند علمه بفتح خيبر ([١٢]) ، وأعتق العجلان عبده لتعجله بقرى ضيفه ([١٣]) ، وأعتق قيس بن زهير أمته لتجسسها على الربيع بن زياد له ([١٤]) .

([١]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢٧٨ ــ ٢٧٩ ، النويري ــ نهاية ، ج ١٦ ، ص ٢٣٠ ، المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ١٩ .
([٢]) الزبير ــ جمهرة ، ج١ ، ص ٣٥٦ .
([٣]) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٣٦٢ .
([٤]) حاتم ــ ديوان ، ص ٢٧١ .
([٥]) اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٩ ، السهيلي ــ الروض ، ج ٣ ، ص ٦٧ .
([٦]) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٢٦٤ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٣ ، ص ٣١٠ .
([٧]) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١٥٧ .
([٨]) السهيلي ــ الروض ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
([٩]) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٣ ، ص ١٤٠ .
([١٠]) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٢٨٥ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .
([١١]) ابن حبيب ــ أسماء ، ج ٢ ، ص ٢٤١ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢٢ ، ص ٣٥٢ .
([١٢]) الواقدي ــ المغازي ، ج ٢ ، ص ٧٠٤ .
([١٣]) الحصري ــ زهر ، ج ١ ، ص ٥٤ ، البغدادي ــ خزانة ، ج ٨ ، ص ٣٦٩ .
([١٤]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ٢٠١ ، البغدادي ــ خزانة ، ج ٨ ، ص ٣٦٩ .

وقد يتبنى السيد عبده الذي أعتقه حيث تبنى الرسول زيد بن حارثة (١) ، وتبنى الخطاب بن نفيل واقد بن عبد الله (٢) ، وتبنى أبو حذيفة سالما (٣) .

ومن أنواع العتق عتق السائبة وهو العتق الذي لا يشترط فيه السيد على عبده موالاته ، فقد أعتقت ثبيتة بنت يمار سالما سائبة مما أدى إلى تبني أبي حذيفة له (٤) ، ويبدو أن هذا النوع من العتق كان يتم لأسباب دينية (٥) .

ومن طرق التخلص من الرق المكاتبة ، بأن يدفع العبد لسيده مبلغا من المال مقابل حريته ، ويسمى الرقيق المحرر المكاتب (٦) ، ومن الرقيق الذين كاتبوا أبو لبابة زيد بن المنذر كان عبدا لبني قريظة (٧) ، وسلمان الفارسي الذي كان أيضا عبدا لبني قريظة (٨) ، حيث كاتب على إحياء ثلاثمئة نخلة ومبلغ من المال (٩) ، وقد حث الإسلام على المكاتبة ، قال تعالى : " وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم . " (١٠) .

أما الأعمال التي عمل بها الرقيق ، فقد عمل الرقيق في الزراعة في اليمن كما يوحي بذلك الرسالة التي وجهها الرسول إلى عبد كلال أحد ملوك حمير حيث جاء فيها : " وليس في رقيق ، ولا مزرعة ولا عمالها شيء ، وليس في عبد مسلم ولا فرسه شيء " (١١) ، وعندما

---

(١) الطبري ــ جامع ، ج ٢١ ، ص ١٢٠ .
(٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .
(٣) السهيلي ــ الروض ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .
(٤) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٣٣٥ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٣ ، ص ٨٦ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٢٧٣ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٣ ، ص ١٦ .
(٥) الطبري ــ جامع ، ج ١١ ، ص ١٢٣ ، النويري ــ نهاية ، ج ٣ ، ص ١١٧ .
(٦) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٨٧ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٣٢٧ .
(٧) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٨٣ .
(٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٨٧ .
(٩) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٣٣٤ ــ ٣٣٥ .
(١٠) سورة النور ، الآية ٣٣ .
(١١) محمد حميد الله ــ الوثائق ، ص ١٥١ .

حاول خالد إعطاء هند الصغرى ابنة النعمان بن المنذر مالا وكسوة ، قالت : " أنا في غنى عنه ، لي عبدان يزرعان مزرعة لي ، أتقوت بما يخرج منها " ([١]) ، وكتب الرسول إلى ربيعة بن ذي مرحب الحضرمي : " أن لهم أموالهم ونخيلهم ورقيقهم وآبارهم وشجرهم ومياههم وسواقيهم بحضرموت " ([٢]) ، وفي كتاب الرسول إلى أهل نجران أن " له حكمه في كل بيضاء وصفراء وثمرة ورقيق " ([٣]) ، وقال ذي خيوان الهمداني للرسول : " ولي أرض فيها رقيق " ([٤]) ، وقد عمل سلمان الفارسي في نخل عند يهود بني قريظة ([٥]) ، وكان للرسول جارية تدعى ربيحة تعمل في نخل الصدقة ([٦]) ، وكان الرقيق يسقون لأهل يثرب ([٧]) ، وكان عداس غلام لعتبة وشيبة ابني ربيعة يعمل في أرضهما بالطائف ([٨]) ، وكان الوليد بن المغيرة يمتلك في الطائف كثيرا من الأراضي والرقيق ([٩]) ، وقال سلمة بن عنبر الحنفي من أهل اليمامة لخالد بن الوليد : " نبعث إلى أهل القرى والعبيد فنقاتل " ([١٠]) وصالحهم خالد على ربع الرقيق ونصف الصفراء ([١١]) أو نصف المملوكين ([١٢]) وصالح أهل دومة الجندل على ثمانمئة رأس من الرقيق ([١٣]) .

وعمل العبيد في الرعي ، كما يوحي بذلك قول عنترة العبسي :

أنا العبد الذي خبرت عنه　　　رعيت جمال قومي من فطامي

أروح من الصباح إلى مغيب　　　وأرقد بين أطناب الخيام ([١٤])

([١]) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة دير هند الصغرى .
([٢]) ابن سعد ــ لطبقات ، ج ١ ، ص ٢٦٦ .
([٣]) أبو يوسف ــ الخراج ، ص ٧٢ ، اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٨٣ .
([٤]) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٢ ، ص ٤١٢ .
([٥]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٤ ، ص ٧٨ ــ ٧٩ ، ابن سيد الناس ــ عيون ، ج ١ ، ص ٧٩ .
([٦]) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥٤٣ .
([٧]) مسلم ــ صحيح ، ج ٩ ، ص ٢ .
([٨]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٦٢ .
([٩]) القرطبي ــ الجامع ، ج ١٦ ، ص ٧٠ .
([١٠]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ ، النويري ــ نهاية ج ١٩ ، ص ٩٧ .
([١١]) أبو عبيد ــ الأموال ، ص ٢٩٨ .
([١٢]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٩٩ .
([١٣]) الواقدي ــ المغازي ، ج ٣ ، ص ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، المقريزي ــ إمتاع ، ص ٤٦٥ .
([١٤]) عنترة ــ ديوان ، ص ١٦٨ .

وكان بعض الأحباش من بقايا جيش أبرهة يعتملون ويرعون لأهل مكة ([١]) .

وقال أبو زبيد أيضا :

تَطَرَّدُ أطرافَ عامٍ خصيبٍ   ولم يُشْلِ عبدٌ إليها فَصيلا ([٢])

وكان عامر بن فهيرة يرعى غنما لأبي بكر ([٣]) ، وكان يسار يرعى لقاحا للرسول ([٤]) .

واستتبع عمل العبيد في الرعي عملهم في حلب الماشية ، فقد رد عنترة العبسي على أبيه عندما طلب منه رد الغزاة والكر عليهم ، فقال : " العبد لا يحسن الكر ، وإنما يحسن الحلب والصر " ([٥]) ، وقال النجاشي قيس بن عمرو بن مالك يهجو بني العجلان من بني عامر :

أولئك أخوال اللعين وأسرة الهجين ورهط الواهن المتذلل

وما سمي العجلان إلا لقوله   خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل ([٦])

ولم يقتصر العمل في الرعي على العبيد الذكور ، بل عملت به الإماء كما يوحي بذلك قول علقمة بن عبدة :

رد الإماء جمال الحي   فاحتملوا فكلها بالتزيديات معكوم ([٧])

ويأخذ أكثم بن صيفي على بني تميم أن ترعى بناتهم قائلا : " وأنتم قوم قد شاع في الناس أمركم ، وإنما كان قوامكم أسيفا وعسيفا (يريد العبد والأجير) وصرتم اليوم إنما ترعى لكم بناتكم " ([٨]) .

([١]) الأزرقي ــ أخبار ، ص ٩٧ .
([٢]) المفضل الضبي ــ المفضليات ، ص ٨٣ .
([٣]) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١٩٤
([٤]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٧٩ ــ ٤٨٠ .
([٥]) عنترة ــ ديوان ، ص ١٣٩ .
([٦]) الحصري ــ زهر ، ج ١ ، ص ١٨ ــ ١٩ .
([٧]) التزيديات : نوع من الملابس ، معكوم : مربوط ، علقمة ــ ديوان ، ص ٥١ ، المفضل ــ المفضليات ، ص ٧٨٩ .
([٨]) أبو عبيدة ــ أيام ، ج ١ ، ص ٤٣١ .

وكانت جواري الأنصار ترعى غنم الأنصار في المدينة (١) ، فقد رعت جارية كعب بن مالك غنما له بسلع (أحد جبال يثرب) (٢) ، ورعت أم أيمن جارية الرسول منائحه (إبله) (٣) .

قال عوف بن الأحوص :

ولكنْ معشرٌ من جذم قيس　　　　عقولُهمُ الأباعرُ والرِّعاء (٤)

وقال ذو الإصبع العدواني :

عني إليك فما أمي براعيةٍ　　　　ترعى المخاض ولا رأيي بمغبونِ (٥)

ويصف السليك بن السلكة الرعاة بأنهم عبيد وإماء حيث يقول :

يا صاحبي ألا لا حيَّ بالوادي　　　　إلا عبيدٌ وآمٌ بين أذوادِ (٦)

وقال العرب في المثل : " لا أفعل كذا ما أبس عبد بناقته " (ساقها) (٧) ، وقالوا أيضا : " بَرْدُ غَدَاةٍ غَرَّ عبدًا من ظمأ " (حيث قيل هذا المثل في عبد راع) (٨) .

وقال ابن زبابة التميمي :

إنك يا عمرو وتَرْك الندى　　　　كالعبد إذ قيّد أجماله (٩)

وفي سرية أبي سلمة بن عبد الأسد سبي ثلاثة رعاء مماليك مع السرح (١٠) ، وفي غزوة قرارة الكدر غنم المسلمون غنما مع رعاتها (١١) .

قال الحطيئة :

---

(١) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٧ ، ص ١٠٣ ، ج ٨ ، ص ١١٦ ، ٣٦٤ .
(٢) البخاري ــ صحيح ، ج ٧ ، ص ١١٩ .
(٣) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥١٣ .
(٤) عوف بن الأحوص : شاعر من بني كلاب ، المفضل الضبي ــ المفضليات ، ص ٨١١ .
(٥) ذو الإصبع العدواني : شاعر نهشت حية إصبع رجله فقطعها ، المفضل الضبي ــ المفضليات ، ص ٧٥٤ .
(٦) آم : جمع أمة ، أذواد : ماشية ، ابن قتيبة ــ عيون ، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، ابن قتيبة ــ الشعر ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢٠ ، ص ٣٧٦ ــ ٣٧٧ .
(٧) الميداني ــ مجمع ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .
(٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٥٨ .
(٩) المبرد ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٤٥١ ، المرزباني ــ معجم ، ص ١٥ .
(١٠) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٣٤٢ ــ ٣٤٣ .
(١١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

هو الواهب الكوم الصفايا لجاره ... تُرَوِّحُها العبدان في عازب ندي [1]

وقال الأعشى :

الواهب المئة الهجان وعبدها ... عُوذا تُزَجّي خلفها أطفالَها [2]

وقال أيضا :

هو الواهب المئة الهجان وعبدها ... قُطْنا تُشَبِّهها النخيل المُكَرَعا [3]

وأعطى أوس بن قلام (أحد ملوك الحيرة) أيوب مئتين من الإبل برعاتها [4] ، ووهب كعب بن مامة (وهو أحد أجواد العرب) ذا الجدين ما لقي في طريقه من إبل بعبدانها [5] ، ووهب النعمان الأصغر النابغة الذبياني مئة من الإبل سودا فيها فحلها وراعيها [6] .

وقال الحطيئة :

هو الواهب الكوم الصفايا لجاره ... تروحها العبدان في عازب ندي [7]

وقال زهير بن أبي سلمى :

تعلم أن شر الناس حي ... ينادي في شعارهم يسار [8]

وقال الحارث بن حلزة اليشكري :

كتكاليف قومنا إذا غزا المنذر ... هل نحن لابن هند رعاء [9]

وقال السموءل بن عادياء :

فقلت لعبدينا أريحا عليهم ... سأجعل بيتي مثل آخر مُعْزِب

وقلت خذوها واعلموا أن عمّكم ... هو اليوم أولى منكم بالتكسُّب [10]

([1]) الحطيئة ــ ديوان ، ص ٨٢ .
([2]) الأعشى ــ ديوان ، ص ٧٩ .
([3]) البغدادي ــ خزانة ، ج ٤ ، ص ٢٥٨ .
([4]) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٣٨٢ .
([5]) ابن رشيق ــ العمدة ، ج ١ ، ص ٢٢٤ ــ ٢٢٥ .
([6]) الحلي ــ المناقب ، ج ١ ، ص ١٥٥ .
([7]) الحطيئة ــ ديوان ، ص ٨٢ .
([8]) زهير ــ ديوان ، ص ٣٠٠ .
([9]) الحارث ــ ديوان ، ص ٢٩٠ .
([10]) السموءل ــ ديوان ، ص ٢٢ .

وقال حُجَيّة بن المُضَرِّب :

فقلت لعبدينا أريحا عليهم   سأجعل بيتي مثل آخر معزب

وقلت خذوها واعلموا أن عمكم   هو اليوم أولى منكم بالتكسب (١)

وقال الأعشى :

لم تَعَطَّف على حُوار ولم يَقْطَع   عُبَيد عُروقَها من خُمال (٢)

وقال الراجز :

أقول والوجباء بي تقحَّم   ويلك ما اسم أمها علكم

وعلكم عبده (٣) .

وقال ابن مقبل :

يهوى لها بين أيديها وأرجلها   إذا اشفتر الحصى حمر ملاثيم

رضخ الإماء النوى ردت نوازيه   إذا استدرت بأيديها الملاديم (٤)

وقال الحارث بن هشام :

ايا ابن زيّابة إن تلقني لا   تلقني في النَّعَم العازبِ (٥)

وقال عبدة بن الطبيب :

تكفي الوليدة في النادي مؤتزرا   فاحلب فإنك حَلابٌ وصَرّارُ (٦)

وقال تأبط شرا :

ولست براعي ثلّةٍ قام وسطها   طويل القنا غرنيق ضحل مُرسِّل (٧)

---

(١) حجية بن المضرب : شاعر كندي نصراني ، الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢٠ ، ص ٣١٧ ، ينسب البيتان إلى السموءل وحجية بن المضرب .
(٢) الأعشى ــ ديوان ، ص ٥٥ ، الخمال : داء يصيب الإبل .
(٣) ابن أبي الحديد ــ شرح ، ج ١٩ ، ص ٤٣٧ ، الوجباء : ناقة .
(٤) ابن مقبل ــ ديوان ، ص ٢٧٢ ، اشفتر الحصى : تفرق من وقع أخفاف الناقة ، حمر : حصى حمر ، ملاثيم : يصيب خف الناقة فيدميه ، رضخ النوى : كسره لعلف الإبل ، نوازيه : يتطاير الحصى ، الملاديم : حجارة يرضخ بها النوى .
(٥) التبريزي ــ الحماسة ، ج ١ ، ص ١٤١ .
(٦) عبدة ــ ديوان ، ص ٣٨ .
(٧) تأبط شرا ــ ديوان ، ص ١٧٣ .

وعمل العبيد في تربية الخيل ، قال مالك بن حريم مشيرا إلى ذلك :

ونخلعُ نعل العبد من سوء قَوْده   لكيما يكون العبد للسهل أضْرعا
وقد وَعدوه عُقْبة فمشى لها   فما نالها حتى رأى الصبح أدْرعا
وأوسعن عقبيه دماء فأصبحت   أصابع رجليه رواعِفَ دُمَّعا (١)

وقال ثعلبة بن عمرو العبدي :

وشوهاء لم توشم يداها ولم تُذَل   فقاظت وفيها بالوليد تقاذفُ (٢)

وعمل العبيد في الحرف الصناعية ، فقد كان العرب " يأنفون من الصناعات ويعلمونها العبيد و الإماء وحرائر النساء أحيانا إذا لم يكن في غاية بعيدة من الشرف " (٣) ، ومن المهن التي عمل بها العبيد النجارة ، فقد كان أبو رافع مولى الرسول يعمل القداح وينحتها (٤) ، وعمل أيضا منبر الرسول من أثل الغابة (٥) ، ويقال أن الذي عمل منبر الرسول باقوم الرومي (٦) ، وكان كلاب غلام العباس بن عبد المطلب نجارا (٧) ، وكان في مكة نجار قبطي (٨) ، وكذلك عمل العبيد في البناء ، فقد استخدمت قريش عاملا روميا في بناء الكعبة عندما أرادت تجديدها (٩) ، وبنى سنمار العبد الرومي حصنا لأحيحة بن الجلاح (١٠) ، كما عمل الرقيق في الحدادة ، فقد كان الأزرق غلام الحارث بن كلدة وهو من رقيق الطائف الذين خرجوا أثناء حصار الطائف مسلمين حدادا (١١) ، وكان خباب بن الأرت قينا (

---

(١) أبو تمام ــ الحماسة ، ص ٢٣ ، الأصمعي ــ الأصمعيات ، ص ٦٥ .
(٢) المفضل ــ المفضليات ، ص ٢٨١ .
(٣) المرزوقي ــ الحماسة ، ج ١ ، ص ١٨٥ ، التبريزي ــ الحماسة ، ج ١ ، ص ٧٩ .
(٤) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٦٤٧ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٢ ، ص ٧٣ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٧٧ ــ ٤٧٨ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٦١ ــ ٤٦٢ ، الذهبي ــ تاريخ ، ص ٤٤ ، ابن سيد الناس ــ عيون ، ج ١ ، ص ٣٣٠ .
(٥) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٧٧ .
(٦) السهيلي ــ الروض ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ ، السمهودي ــ وفاء ، ج ١ ، ص ٢٨٠ .
(٧) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٥٠ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٥ ، ص ٦١٦ ــ ٦١٧ .
(٨) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٧٨ .
(٩) الازرقي ــ أخبار ، ص ١٥٧ .
(١٠) البكري ــ سمط ، ج ١ ، ص ٤٥٠ .
(١١) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٣٦٧ ، البلاذري ــ فتوح ، ص ٦٧ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

حدادا) في الجاهلية ([١]) وكان بلعام حدادا ([٢]) ، وعمل غلمان صعصعة بن ناجية جبير ووقبان وديسم كقيون (حدادون) ([٣]) وعمل غلاما آل الحضرمي يسار وجبر في صقل السيوف ([٤]) وعمل بها أيضا مرزوق الصيقل مولى الأنصار ([٥]) ، وكان لأبي بكر غلام صيقل يعمل سيوف المسلمين ([٦]) ، وكان يحنس النبال عبدا لبعض الثقفيين يصنع النبال ([٧]) .

وعمل الرقيق في الصياغة ، قال لبيد :

فالماء يجلو مُتونَهُنَّ كما يجلو التلاميذ لؤلؤا قَشِبا ([٨])

وعمل العبيد في الخياطة ، فقد كان للنبي غلام خياط ([٩]) ، وكانت سمية أم عمار بن ياسر ابنة خياط ([١٠]) ، وعمل الرقيق في صناعة الخفاف ([١١]) ، كما عملوا في النسيج ، قال عمرو بن كلثوم :

إذ لا ترجي سليمى أن يكون لها من بالخورنق من قين ونساج ([١٢])

وعمل حكم بن كيسان مولى بني مخزوم في الحجامة ([١٣]) ، وكذلك عمل بها أبو هند مولى بني بياضة ([١٤]) حيث حجم الرسول ([١٥]) وكذلك أبو طيبة عبد الأنصار ([١٦]) .

كان لأبي شعيب اللحام غلام يقوم بالجزارة ([١٧]) ، وأمر الرسول خالته فاختة أن لا تجعل غلامها قصابا ولا صائغا ولا حجاما ([١]) .

([١]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٣٨٣ ، البخاري ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ٧٩ ، ١٦٢ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١٧٧ ، ١٧٩ ، السهيلي ــ الروض ، ج ٢ ، ص ٩٨ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ، ابن منظور ، مادة قين .
([٢]) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ١ ، ص ٣٢٦ .
([٣]) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ٢ ، ص ٧٩٩ ، البغدادي ــ خزانة ، ج ١ ، ص ٢٢١ .
([٤]) القرطبي ــ الجامع ، ج ١٠ ، ص ١٧٨ .
([٥]) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٦، ص ٧٦ .
([٦]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٣ ، ص ١٩٢ .
([٧]) الواقدي ــ المغازي ، ج ٣ ، ص ٩٣٢ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٥ ، ص ٩٩ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٦ ، ص ٦٤٣ .
([٨]) لبيد ــ ديوان ، ص ٣١ .
([٩]) البخاري ــ صحيح ، ج ٧ ، ص ٩٨ ، ١٠١ .
([١٠]) السهيلي ــ الروض ، ج ٢ ، ص ٧٨ .
([١١]) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٦ ، ص ٦٨١ .
([١٢]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١١ ، ص ٥٩ .
([١٣]) البخاري ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ٧٦ ، ١٧١ ، ج ٧ ، ص ١٠١ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٧ ، ص ٢٥ .
([١٤]) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٢ ، ص ١٩ .
([١٥]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ .
([١٦]) البخاري ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ١٢٢ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥٠٦ ، السهيلي ــ الروض ، ج ٣ ، ص ١٥٢ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ .
([١٧]) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٧ ، ص ٢٥ .

وعمل بعض العبيد في التجارة ، فقد قام ميسرة غلام لخديجة بنت خويلد بالخروج في أعمالها التجارية إلى الشام (٢) ، عندما بعثته في تجارتها مع محمد (٣) ، ويذكر ابن إسحق أن الرسول كان كثيرا ما يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني ، يقال له جبر عبد لبني الحضرمي (٤) ، وعندما أسر العباس عم الرسول في معركة بدر ، وسلب منه عشرون أوقية من الذهب ، أعطاه الرسول عوضا عنها عشرين عبدا استخدمهم في أعماله التجارية (٥) ، وكان لأبي بكر غلام يتاجر له بالثياب (٦) .

وقد اشترك بعض العبيد في القتال ، ففي معركة بدر وجد عبيد قريش إلى جانب الجيش لسقاء الماء (٧) ، إلا أن عبيد قريش لم يقاتلوا ، بل أمروهم بحفظ العسكر (٨) ، وقد قتل فيها عداس عبد عتبة وشيبة ابني ربيعة ، أما جانب المسلمين في معركة بدر ، فقيل إن مهجع عبد لعمر بن الخطاب كان أول من استشهد من بين المسلمين (٩) ، ويقال شهد بدرا عشرون عبدا من المسلمين (١٠) منهم ثلاثة مملوكين لبني غفار (١١) و ثلاثة مماليك لعبد الرحمن بن عوف وحاطب بن أبي بلتعة وسعد بن معاذ (١٢) وصالح شقران وهو عبد حبشي ولم يسهم لهم من الغنائم (١٣) ، وفي معركة أحد أخذ غلام حبشي لبني أبي طلحة يدعى صؤاب لواء قريش فقاتل به حتى قطعت يداه ، ثم برك عليه (جلس عليه) ، فأخذ اللواء

---

(١) أبو داود ــ سنن ، ج ٣ ، ص ٢ ، ص ٧١٢ .
(٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٨٧ ــ ١٨٨ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٢ ، ص ٣٩ ، المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ٨ .
(٣) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ٣٩ ، ابن كثير ــ البداية ، ج ٢ ، ص ٢٣٩ .
(٤) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٣٩٣ .
(٥) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٤ ، ص ١٤ ــ ١٥ ، الطبري ــ جامع ، ج ١٤ ، ص ٧٣ ، القرطبي ــ الجامع ، ج ٥ ، ص ٥٣ ، المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ٦١ ، السيوطي ــ لباب ، ص ١١٤ ، السيوطي ــ الدر ، ج ٤ ، ص ١١١ ــ ١١٢ .
(٦) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .
(٧) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٥٢ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ١٨٨ ــ ١٨٩ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٥ ، ص ١١٩ .
(٨) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٣٥ .
(٩) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٩٥ ، المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ٨٣ .
(١٠) المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ٩٥ .
(١١) أبو عبيد ــ الأموال ، ص ٣٤٦ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٤ ، ص ٣٣٨ .
(١٢) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٣ ، ص ٥٠ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٧٩ ، المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ٩٥ .
(١٣) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٣ ، ص ٥٠ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٧٨ ــ ٤٧٩ .

بصدره وعنقه حتى قتل عليه وهو يقول : اللهم هل أعزرت ، يقول أعذرت (كان بلسانه لكنة يقلب الذال إلى الزاي) فقال حسان بن ثابت بذلك :

فخرتم باللواءِ وشرُّ فخرٍ   لواءٌ حين رُدَّ إلى صُؤابِ

جعلتم فخركم فيه بعبدٍ   وألأم من يطأ عَفَر الترابِ

ظننتم والسفيه له ظنون   وما إن ذاك من أمر الصواب (١)

وفي معركة أحد أيضا قام وحشي مولى جبير بن مطعم بقتل حمزة عم الرسول بضربة من حربته على طريقة الحبشة (٢) ، وقد قال كعب بن مالك في مقتل حمزة بن عبد المطلب مشيرا إلى قاتل العبد الحبشي وحشي :

فلاقاه عبد بني نوفل   يبربر كالجمل الأدعج

وقال أيضا :

فجئنا إلى موج من البحر وسطه   أحابيش منهم حاسر ومقنع (٣)

وفي معركة أحد أيضا كان أول من لقي المسلمين أبو عامر الحضرمي في الأحابيش وعبدان أهل مكة (٤) ، وقاتل فيها أيضا غلام لعمرو بن الجموح وقتل (٥) ، كما خلف فيها نسطاس مولى صفوان بن أمية وغيره من الغلمان على المتاع وكانوا يقومون على الرحال (٦) ، كما أن أبا عامر الراهب طلع في قومه ومعه عبيد قريش فتقاذفوا بالحجارة هم والمسلمون فتراضخوا بها ساعة حتى ولى أبو عامر وأصحابه (٧) ، أما في جانب المسلمين في معركة أحد ، فقد حضر عدد من العبيد ، وأشاد الرسول بشجاعة وبلاء رشيد الفارسي

---

(١) حسان ــ ديوان ، ص ٣٦٧ ، الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٢٢٨ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٣ ، ص ٢٧ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥٥ ، ٢٨١ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥١٣ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٥ ، ص ١٩١ ، المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

(٢) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٢٨٥ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٣ ، ص ١٥ ، ٢٢ ، البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ١٢٨ ــ ١٢٩ ، ابن حمدون ــ التذكرة ، ج ٢ ، ص ٤٧٥ .

(٣) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ١٣٦ ، ١٣٨ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٥ ، ص ٢٨ .

(٤) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٣ ، ص ١٩ .

(٥)ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٣ ، ص ١٧١ .

(٦) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٢٣٠ ــ ٢٣١ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٦ ، ص ٤٢٧ .

(٧) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٣٢٣ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٢ ، ص ٤٠ ، المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ١٢٣ .

مولى بني معاوية من الأنصار ، حيث كناه يومئذ ولا ولد له (١) واستشهد في أحد كيسان غلام بني النجار (٢) وشقران غلام الرسول (٣) .

وفي معركة خيبر قاتل عمير مولى أبي اللحم وهو مملوك (٤) .

وفي معركة حنين حضر عثمان بن عبد الله الثقفي بأفراس وعبيد وموال فقتلوا يومئذ معه (٥) .

وقال سلمة بن عنبر الحنفي من أهل اليمامة لخالد بن الوليد : نبعث إلى أهل القرى والعبيد فنقاتل (٦) .

وكذلك استخدم العبيد الأحباش كحراس لأقيال اليمن ، يقول أبو الطمحان القيني (أحد شعراء بني القين) :

ولو كنت في ريمان يحرس بابه   أراجيل أحبوش وأغضف آكف

إذا لأتتني حيث كنت منيتي   يخب بها هاد بأمري قائف (٧)

واتخذ سيف بن ذي يزن رقيقا حبشيا كحرس له يمشون بين يديه بالحراب (٨) ، وكذلك فعل ابنه معديكرب (٩) .

واستخدم الرقيق في الإنذار حيث يوضعون في مرتفع لرصد أي خطر يهدد القبيلة قال ابن مقبل :

---

(١) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٢٦١ ، المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ١٤٦ .
(٢) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٣٠٧ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٣ ، ص ١٣٦ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٣٣٤ ، النويري ــ نهاية ، ج ١٧ ، ص ١٠٦ ، الذهبي ــ تاريخ ، ص ١٩٤ .
(٣) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ١١٥ ــ ١١١٦ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٣ ، ص ٤٩ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٣٨ ، السهيلي ــ الروض ، ج ٤ ، ص ٢٧٦ .
(٤) ابن ماجه ــ سنن ، ج ٢ ، ص ٩٥٢ ، أبو عبيد ــ الأموال ، ص ٣٤٧.
(٥) الواقدي ــ المغازي ، ج ٣ ، ص ٩١١ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٩٢ .
(٦) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ ، النويري ــ نهاية ، ج ١٩ ، ص ٩٧ .
(٧) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١١ ، ص ١٣٢ ، ريمان : قصر من قصور اليمن ، أغضف : مسترخي الأذن ، آكف : مشدود عليه الإكاف .
(٨) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، السهيلي ــ الروض ، ج ١ ، ص ٥٥ ، ابن سعيد ــ نشوة ، ج ١ ، ص ١٦٣ .
(٩) المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٩١ .

صَخِبٌ كأنّ دُعاء عبد منافةٍ   في رأسِه عقب الصّباح الجافِل (١)

وصل بعض الرقيق إلى مكانة متميزة عند أسيادهم ، ومن ذلك أم أيمن التي شاركت في تربية الرسول وناداها يا أماه (٢) .

ويبدو أن اللون كان عاملا محددا في أسعار الرقيق ، حيث يرد أن الرسول اشترى عبدا أبيض بعبدين أسودين (٣)

أما الجواري فقد كان عملهن الأساسي هو الخدمة في البيوت ، مثل إعداد الطعام كما يوحي بذلك قول امرئ القيس واصفا قيام الإماء بشي لحم الحوار على الرماد (الملة) :

فظل الإماء يمتللن حوارها   ويسعى علينا بالسديف المسرهد (٤)

قال العباس بن مرداس السلمي :

أرادت لتَنْتَاشَ الرّواق فلم تقم   إليه ولكن طأطأته الولائدُ (٥)

وقال المرقش الأكبر :

فلما تبنَّى الحيُّ جئن إليهمُ   فكان النّزول في حُجور النّواصِفِ (٦)

قال النابغة الذبياني :

يظل الإماء يبتدرن قديحَها   كما ابتدرت كلب مياه قراقر (٧)

وقال الشاعر :

وليل كتنور الإماء سجرنه   وألقين فيه الجَزْل حتى تَضَرَّما (٨)

وقال قيس بن الخطيم الأوسي :

---

(١) ابن مقبل ــ ديوان ، ص ٢٢٤ ، صخب : كثير الصياح ، منافة : مكان مشرف مرتفع ، الجافل : يجفل فيه الناس من الغارة .
(٢) المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .
(٣) ابن ماجه ــ سنن ، ج ٢، ص ٩٥ ، النسائي ــ سنن ، ج ٧ ، ص ١٥٠ .
(٤) التبريزي ــ الحماسة ، ص ١٣١ ، الملة : الرماد ، الحوار : ولد الناقة ، السديف : دهن السنام ، المسرهد : الناعم .
(٥) العباس ــ ديوان ، ص ١١٦ ، تنتاش : تتناول ، الرواق : الشراب ، طأطأته : أحضرته .
(٦) المفضل ــ المفضليات ، ص ٢٣٢ ، النواصف : الخدم .
(٧) النابغة الذبياني ــ ديوان ، ص ١٧٣ ، يبتدرن : يتسابقن ، القديح : الحوض .
(٨) الراغب ــ محاضرات ، ج ٤ ، ص ٥٤٨ ، التنور : القدر ، الجزل : الحطب ، تضرم : اشتعل .

أصابت سراة م الأغرِّ سيوفُنا   وغودر أولادُ الإماء الحواطب (١)

وقال النابغة الذبياني :

تحيدُ عن أَسْتَنٍ سودٍ أسافلُها   مثل الإماء الغوادي تحمل الحُزَما (٢)

ولم يقتصر العمل بالخدمة على الإماء ، فقد كان عبيد مولى الرسول يطبخ له (٣) ، وكان رباح غلام النبي يستقي له من بئر غرس مرة ومن بيوت السقيا مرة (٤) .

وعمل الرقيق في بناء البيوت وهدمها قال النابغة الذبياني :

إلا أواريَّ لأيا ما أبينها   والنؤي كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ

ردّت عليه أقاصيه ولبَّده   ضربُ الوليدة بالمسحاة في الثأدِ (٥)

وقال النابغة الجعدي :

ونؤي كأخلاق النضيح تعاونت   عليه القيان بالسخاخين يضرب (٦)

وقال زهير بن مسعود الضبي :

فوقفت تسأل هامدا   كالكحل بين جواثم حُلْسِ

ومثلما رفع القيان له عضديه   حول البيت بالفأسِ (٧)

وقال ابن مقبل التميمي :

فطامس النؤي عافٍ لا يُثَلِّمُهُ   صرف الليالي ولم يُجْعَل بجَيّار

قدُّ الوليدة في صلّفاءَ رابيةٍ   حول الوسائد من بيضاء معطار (٨)

وعمل الرقيق في الخدمة في الحانات ، قال عدي بن زيد :

---

(١) قيس ــ ديوان ، ص ٩١ .
(٢) النابغة الذبياني ــ ديوان ، ص ٧٦ ، أستن : شجر .
(٣) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٥ ، ص ٢٤٨ .
(٤) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥٣٥ ، السمهودي ــ وفاء ، ج ٢ ، ص ٩٧٨ .
(٥) النابغة الذبياني ــ ديوان ، ص ٣ ــ ٤ ، الآري : ما تشد به الدابة ، لأيا : شدة ، النؤي : حفرة حول الخيمة ، مظلومة جلد : أرض صلبة ، ثأد : ثرى .
(٦) النابغة الجعدي ــ ديوان ، ص ٦ ، نؤي : حفرة حول الخباء ، خلق : بال ، النضيح : الحوض ، السخاخين : المساحي .
(٧) قصائد ، ص ٨٧ ، جاثم : نائم ، حلس : ملازم .
(٨) ابن مقبل ــ ديوان ، ص ١٠٢ ، طامس : قديم ، النؤي : حفرة حول الخيمة ، عاف : قديم ، قد الوليدة : حفرته الجارية ، صلفاء : أرض غليظة .

ثم نادوا على الصبوح فجاءت   قينة في يمينها إبريق

قدَّمَتْه على سُلاف كعين الديك   صفى سُلافها الراووق

قتلته بسيب أبيض صافٍ طيِّب   زان مزجه التصفيق ([١])

وقال أيضا :

متكئا تقرع أبوابه يسعى   عليه العبد بالكوب ([٢])

وقال الأعشى :

يسعى بها ذو زُجاجات له نُطَف   مُقَلِّصٌ أسفل السِّرْبال مُعْتَمِلُ ([٣])

وقال سلامة بن جندل السعدي (وهو شاعر تميمي) :

فبتُّ كأنَّ الكأس طال اعتيادها   عليَّ بصافٍ من رحيقٍ مروَّقِ

كريح ذكيِّ المسك بالليل ريحُه   يصفق في إبريق جَعْدٍ مُنَطَّقِ ([٤])

وقال عبدة بن الطبيب (وهو شاعر تميمي) :

يَسْعى به مُنْصفٌ عجلان مُنتطقٌ   فوق الخُوان وفي الصّاع التوابيلُ ([٥])

وقال أبو دؤاد الإيادي :

بعد حيٍّ تغدو القيانُ عليهم   في الدِّمَقْسِ القَسِّي براحٍ سبيّة ([٦])

وقال الأسود بن يعفر النهشلي :

والبيضُ يرمين القلوب كأنّها   أدحيٌّ بين صَريمةٍ وجَمادِ

ينطقن معروفا وهن نواعم   بيضُ الوجوه رقيقةُ الأكبادِ

ينطقن مخفوضَ الحديث تهامسا   فبلغنَ ما حاولن غير تنادي ([٧])

---

(١) عدي ــ ديوان ، ص ٧٨ ، السلاف : الخمر ، الراووق : مصفاة .
(٢) عدي ــ ديوان ، ص ٦٧ .
(٣) الأعشى ــ ديوان ، ص ١٠٩ ، نطفة : لؤلؤة .
(٤) سلامة ــ ديوان، ص ١٥٦ ــ ١٥٧ ، رحيق : خمر ، مروق مصفى ، جعد : غلام جعد ، منطق : شد وسطه بنطاق .
(٥) عبدة ــ ديوان ، ص ٨٢ ، منصف : خادم ، صاع : قدح من خشب ، توابيل : ما يطيب به الطعام .
(٦) أبو دؤاد ــ شعر ، ص ٣٤٨ ، الدمقس القسي : نوع من الملابس ، الراح : الخمر ، سبية : معتقة .
(٧) الأسود ــ ديوان ، ص ٣٠ ، جماد : ما غلظ من الأرض وارتفع .

وعملت الجواري في مشط النساء وتزيينهن ، فضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري ، خرج في نفر من قريش إلى أرض دوس ، فنزل على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس ، كانت تمشط النساء ، وتجهز العرائس (١) ، ويبدو أن الماشطة كانت جزءا من المهر (٢) ، فقد كان لخديجة بنت خويلد ماشطة حبشية اسمها أم زفر (٣) ، ويبدو أنها إحدى جواريها .

وعملت الجواري بالقبالة ، فقد كانت سلمى امرأة أبي رافع مولاة الرسول قابلة لخديجة بنت خويلد (٤) ، ولمارية القبطية (٥) .

وعملت الجواري بمهنة الختان ، فقد كانت أم سباع مولاة شريق بن عمرو بن وهب الثقفي خاتنة بمكة (٦) .

ومن المهن التي عملت بها الجواري الغناء ، حيث يطلق على الجارية المغنية اسم القينة ، وقد اتخذ أهل مكة القيان بكثرة (٧) ، فعند خروج قريش إلى بدر كان معهم سارة مولاة عمر بن هاشم بن عبد المطلب وعزة مولاة الأسود بن المطلب ، ومولاة لأمية بن خلف وكان معهن الدفوف ويغنين (٨) ، وفي معركة أحد أحضرت القيان إلى جانب المشركين ، وعزفن للجيش (٩) ، وكانت حمامة من جواري الأنصار مغنية تغني في الأعياد (١٠) ، ومن القيان المغنيات أيضا أرنب المدنية (١١) وأم عمرو (١٢) .

(١) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ١٤٤ ، ابن سلام ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٢٥١ ، ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٢٤١ .
(٢) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٧ ، ص ١٤٥ ، الذهبي ــ تاريخ ، ج ٤ ، ص ١٧٨ .
(٣) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٧ ، ص ٣٣٣ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ١٣ ، ص ٢١٣ .
(٤) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٢٢٧ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ .
(٥) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٢٢٧ ، ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ٤ ، ص ١٨٦٢ ، ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣١٩ .
(٦) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٣ ، ص ١٦٤ ، الجاحظ ــ رسائل ، ج ٢ ، ص ٩٣ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٣١٦ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١٧٥ ، ٣٢٢ ، البلاذري ــ فتوح ، ص ٧٠ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥١٦ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٤ ، ص ٣٠٨ ، ج ١٥ ، ص ١٩٤ ، الذهبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ١٧٥ .
(٧) المسعودي ــ مروج ، ج ٤ ، ص ١٣٤ .
(٨) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٢٩٠ .
(٩) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص٤٤ .
(١٠) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٧٤ .
(١١) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ .
(١٢) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

وقد ورد ذكر الجواري المغنيات في الشعر حيث قال امرؤ القيس واصفا المغنيات اللواتي يستخدمن الكران (العود) أو المزهر (العود) في الغناء :

وإن أمس مكروبا فيا رب قينة　　　منعمة أعملتها بكران

لها مزهر يعلو الخميس بصوته　　　أجش إذا ما حركته اليدان (1)

وقال عبد يغوث بن وقاص الحارثي :

وأنحر للشرب الكرام مطيتي　　　وأصدع بين القينتين ردائيا (2)

وقال عمرو بن الإطنابة الخزرجي :

عللاني وعللا صاحبيا　　　واسقياني من المروق ريا

إن فينا القيان يعزفن بالدف　　　لفتياننا وعيشا رخيا (3)

وقد استخدمت قريش بعض الجواري المغنيات في هجاء الرسول منهن سارة مولاة عمرو بن هشام ، وعزة مولاة للأسود بن المطلب ، ومولاة لأمية بن خلف (4) ، وقينتان لعبد الله بن خطل فأمر الرسول بقتلهن يوم فتح مكة (5) .

وقد عرفت الجواري المغنيات عند الغساسنة والمناذرة ، حيث يرد عن حسان بن ثابت ، استذكاره لرحلة إلى جبلة بن الأيهم الغساني بقوله : " لقد رأيت عشر قيان ، خمس روميات يغنين بالرومية بالبرابط ، وخمس يغنين غناء أهل الحيرة ، أهداهن إليه إياس بن قبيصة ، وكان يفد عليه من يغنيه من العرب ، من مكة وغيرها " (6) ، وهذا يوحي بوجود أنواع مختلفة من الغناء تميز منطقة عن أخرى .

وقد أطلق على المغنيات اسم الجراد ، قال الشاعر :

---

(1) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٨٧ ، الخميس : الجيش .
(2) المفضل ــ المفضليات ، ص ٣١٨ ، أبو عبيدة ــ أيام ، ج ١ ، ص ٤٤٦ ، مطيتي : ناقتي .
(3) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١١ ، ص ١٢١ .
(4) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٤٣ ــ ٤٤ .
(5) ابن الكلبي ــ جمهرة ، ج ٢ ، ص ٨٦٠ ، الواقدي ــ المغازي ، ج ٢ ، ص ٨٦٠ ، البلاذري ــ فتوح ، ص ٥٣ .
(6) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ١٠٤ ــ ١٠٥ .

تغنينا الجراد ونحن شرب   نعل الراح خالطها المشورة (١)

وهذا يوحي أن هذه التسمية تطلق بصورة عامة على المغنيات ، رغم أن بعض الروايات تحاول تحديد مغنيتين بهذا الاسم ، فيذكرون أن الجرادتين كانتا لعبد الله بن جدعان (٢) ، في حين تذكر روايات أخرى أن أول من غنى من العرب الجرادتان ، وكانتا قينتين على عهد عاد لمعاوية بن بكر العملقي (٣) .

وقامت بعض الجواري بالإرضاع ، فقد أرضعت ثويبة مولاة لأبي لهب الرسول وحمزة وأبا سلمة بن عبد الأسد وجعفر بن أبي طالب (٤) ، وأرضعت أمة سوداء عقبة بن الحارث وزوجته بنت أبي أهاب (٥) .

كما قامت بعض الجواري بالحضانة ، فالرسول بعد عودته من بني سعد صارت بركة أم أيمن حاضنة له (٦) ، وكانت لعائشة حاضنة في بيت أبيها (٧) .

وقد نسبت بعض القبائل إلى الحاضن أو الحاضنة ، فسعد هذيم تنسب إلى هذيم وهو عبد حبشي حضن سعدا (٨) وبنانة تنسب إلى أمة حضنت سعد بن لؤي (٩) وبجيلة تنسب إلى امرأة حبشية حضنت أبناء أنمار (١٠) وجشم تنسب إلى عبد للؤي بن غالب حضنه (١١) .

ومن مجالات عمل الجواري البغاء ، والبغايا في الأصل هن الجواري بصورة عامة ، كما يتضح من قول الأعشى :

---

(١) المعري ــ رسالة ، ص ٢٤٤ ، تعل : تشرب ، الراح : الخمر ، المشورة : العسل .
(٢) الجاحظ ــ رسائل ، ج ٢ ، ص ١٥٨ .
(٣) المسعودي ــ مروج ، ج ٤ ، ص ١٣٤ .
(٤) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ١٠٨ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٩٤ ، اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٩٤ ، السهيلي ــ الروض ، ج ١ ، ص ١٨٦ ، المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ٥ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٥٧ .
(٥) الدارمي ــ سنن ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٥ ، ص ٦٢٧ .
(٦) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٢٢٣ ، ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ١ ، ص ٧٥ .
(٧) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٥٩ .
(٨) أبو عبيدة ــ النقائض ، ج ١ ، ص ٧٥ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ١٠٤ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٨ ، ص ٢٩٠ ، السهيلي ــ الروض ، ج ٤ ، ص ٢٥٢ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٣ ، ص ٢٨٤ .
(٩) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٤ ــ ٤٥ .
(١٠) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢٢ ص ١ .
(١١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤١ .

والبغايا يَرْكُضْنَ أكسية الإضريجِ   والشَّرْعَبِيَّ ذا الأذيالِ (١)

وقول الحارث بن حلزة اليشكري :

يحبوك بالزَّغْف الفيوض   على هيمانها والدُّهْمِ كالغَرْسِ

وبالسَّبيك الصُّفْرِ يُضْعِفها   وبالبغايا البيض واللُّعْسِ (٢)

إلا أن مصطلح البغايا استخدم بمعنى خاص ، ليدل على الجواري اللواتي يمارسن الزنا للحصول على الكسب المادي ، ويبدو أنهن كن مجبرات على هذه المهنة من قبل سادتهن ، حيث يرد أنه كان يفرض على عمل الإماء ضرائب من قبل السيد ، فإذا لم تستطع أداء الضريبة تحولت إلى الزنا (٣) ، فقد كان عبد الله بن جدعان يحول إماءه إلى بغايا يمارسن الزنا للحصول على الكسب المادي من وراء ذلك أو لبيع أولادهن والمتاجرة بهم بعد تربيتهم (٤) ، وكان البعض يبيع إماءه للمتعة لأيام أو أشهر ، فنهى الرسول عن ذلك (٥) ، وقد وجدت بيوت للبغاء تنصب على أبوابها رايات لتعرف بها فأطلق عليهن ذوات الرايات (٦) .

فقد كان لعبد الله بن جدعان إماء يساعين ويأتين بأولاد يكونون عبيدا له (٧) وكذلك لعبد الله بن أبي بن سلول (٨) ولبني مخزوم (٩) .

ومن البغايا سمية أم زياد بن أبيه وكانت من بغايا الطائف (١٠) .

وكان لبني أسد بغي (١١) كما أن بني كلب كانوا يكرهون فتياتهم على البغاء في سوق

---

(١) الإضريج والشرعبي : أنواع من الملابس ، الأعشى ــ ديوان ، ص ٩ .
(٢) الحارث ، ص ١٨ ، المفضل ــ المفضليات ، ص ٦٣٩ ، السبيك : الذهب ، يضعفها : يعطي مرة بعد مرة ، اللعس : سواد في الشفة ، الزغف : الدرع السابغة ، الهميان : النطاق .
(٣) الشوكاني ــ نيل ، ج ٥ ، ص ٩٩ .
(٤) ابن رسته ــ الأعلاق ، ج ٧ ، ص ٢١٥ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٥٧٥ .
(٥) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٧٦ .
(٦) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٤ ، ص ١٩٤ ، ابن سعيد ــ نشوة ، ج ٢ ، ص ٧٩١ .
(٧) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٥٧٦ ، المسعودي ــ مروج ، ج ٤ ، ص ١٠٤ ، الثعالبي ــ لطائف ، ص ١٢٨ .
(٨) ابن عبد البر ــ جوامع ، ج ٢ ، ص ٤٠١ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٨ ، ص ١١٩ ــ ١٢٢ .
(٩) البلاذري ــ أنساب ج ١ ، ص٤١ .
(١٠) المسعودي ــ مروج ، ج ٣ ، ص ٧ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٢ ، ص ٦٤٠ .
(١١) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢٢ ، ص ١٣ .

دومة الجندل [١] كذلك عرف البغاء في سوق عكاظ [٢] .

---

(١) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٦٤ .
(٢) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٥ ، ص ٨٨ .

الفصل الرابع

نظام الأسرة

تشكل الأسرة الوحدة الأساسية في المجتمع ، وتتشكل الأسرة بالزواج ، وفي هذا الفصل دراسة لكيفية تكون مؤسسة الأسرة عند العرب في الفترة المدروسة .

الزواج

كان هناك أكثر من نوع من الزواج عند العرب قبل الإسلام ، وقد أقر الإسلام نوعا واحدا من الزواج وهو زواج البعولة وأبطل وأنهى الأنواع الأخرى من النكاح (١) .

زواج البعولة

وزواج البعولة هو الزواج الذي استمر في الإسلام ، القائم على عقد بين الزوج وولي الزوجة ، وكان المهر من مستلزمات عقد الزواج ، ولم يكن للمهر قيمة ثابتة أو محددة ، بل إن هناك تفاوتا كبيرا في قيمة المهور ، فيرد أن عبد المطلب بن هاشم أمهر فاطمة بنت عمر مئة ناقة ومئة رطل من الذهب (٢) ، بينما الأعرابي الفقير ربما " احترش (صاد) ضبا فاحتمله إلى كفيئته فكان ذلك مهرها وعقدة زواجها " (٣) ، ويطلق على المهر اسم الصداق ، وبعد دفع الصداق يتم العقد (٤) .

وقد اختلفت قيمة الصداق أيضا في الإسلام ، فكان صداق خديجة عشرين بكرة (ناقة) (٥) وصداق كل من عائشة (٦) وسودة (٧) وحفصة (٨) وجويرية (٩) وميمونة (١٠) وزينب

---

(١) البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ ، انظر حول هذا النوع من الزواج أيضا : جواد علي ــ المفصل ، ج ٥ ، ص ٥٣٣ .
(٢) الحلبي ــ إنسان ، ج ١ ، ص ٥٠ .
(٣) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٦ ، ص ٣٦ .
(٤) البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ .
(٥) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .
(٦) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .
(٧) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .
(٨) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .
(٩) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٩٥ .
(١٠) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ .

بنت خزيمة (١) أربعمئة درهم وصداق أم حبيبة (٢) أربعمئة دينار .

كان العرب يكرهون الزواج في أوقات معينة ، فقد كانوا يكرهون النكاح في شوال ، (٣) ، ويتطيرون من الزواج في ليالي المحاق وهي الليالي الأخيرة من الشهور القمرية ، (٤) .

كان العرب يفضلون زواج النساء من الأقارب ، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال بعض الأدعية التي كان يدعو بها أولياء الأمور لبناتهم عند تزويجهن ، حيث يرد أنه إذا زوجت الفتاة من ذوي القرابة قال لها ولي أمرها إذا حملت إليه : " أيسرت وأذكرت ولا أنثت جعل الله منك عددا وعزا وخلدا ، أحسني خلقك وأكرمي زوجك ، وليكن طيبك الماء " ، وإذا زوجت في غربة قال لها : " لا أيسرت ولا أذكرت فإنك تدنين البعداء ، وتلدين الأعداء ، أحسني خلقك ، وتحببي إلى أحمائك ، فإن لهم عينا ناظرة إليك ، وأذنا سامعة إليك وليكن طيبك الماء " (٥) .

وقد فضلت الخنساء أبناء عمها ، فقالت عندما ردت دريد بن الصمة : " أدع بني عمي الطوال مثل عوالي الرماح وأتزوج شيخا " (٦) ، أو " يا أبت أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح وناكحة شيخ بني جُشَم " ، وقالت :

معاذ الله ينكحني حَبَرْكَى ... يقال أبوه من جشم بن بكرِ

ولو أمسيت في جشم هَدِيّا ... لقد أمسيت في دَنَسٍ وفقرِ (٧)

إلا أن هذا لا يعني عدم وقوع زواج بين القبائل المختلفة ، فقد يتزوج رجل في قوم لتحسين النسل (٨) ، فقد ارتبطت قريش بعلاقات مصاهرة مع العديد من القبائل (١) ، بل إن

---

(١) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٩٤ .
(٣) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٤ ، ص ٧٢ .
(٤) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٤ ، ص ٧٢ .
(٥) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣١ ، الشهرستاني ــ الملل ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ .
(٦) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٨٧ .
(٧) حبركي : غليظ طويل الظهر قصير الرجلين ، هدي : عروس ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٩ ، ص ١١ .
(٨) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .

(١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٤ .

بعض أمثال العرب وأشعارهم تدل على حثهم على الزواج من الغريبات لتحسين النسل ، فقد قالوا : " ابنة العم أصبر ، إلا أن الغرائب أنجب " ([1]) ، وجاء الحث على نكاح الغرائب حتى لا يضووا (تصغر أجسامهم) ، حيث اعتقدوا أن من تقرب أمهاتهم من آبائهم تصغر أجسامهم ([2]) .

ومن الأشعار ما يدل على تفضيل بعض العرب المرأة الغريبة ليكون نسلها قويا ، قال الشاعر :

تَنَجَّبْتُها للنسل وهي غريبةٌ　　　فجاءت به كالبدر خِرْقا مُعَمَّما

فلو شاتَمَ الفرسانَ في الحيِّ ظالمًا　　　لما وجدوا غيرَ التكذُّبِ مَشْتَما ([3])

وقال شاعر آخر :

فتىً لم تلده بنتُ عمٍ قريبة فيضوى　　　وقد يضوى زهيدُ الأقاربِ ([4])

وقال الشاعر :

تجاوزتُ بنتَ العمِّ وهي حبيبةٌ　　　مخافة أن يَضْوَى عَلَيَّ سَليلي ([5])

قال الشاعر :

ولستُ بضاوٍ تموجُ عظامُه　　　ولادتُه في خالدٍ بعد خالدِ

تقاربَ من آبائِه أمهاتُه　　　إلى نسبٍ أدنى من الشِبْرِ واحدِ ([6])

وحث العرب على الزواج من ذوات الحسب والنسب ، فقالوا : " المناكح الكريمة مدارج الشرف " ([7]) ، وقال شاعر من بني أسد :

وأولُ خبثِ الماءِ خبثُ ترابه　　　وأولُ خبثِ القومِ خبثُ المناكحِ ([8])

---

(١) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٤ ، ص ٢ ــ ٣ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٦ ، ص ١٠٣ .
(٢) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٤ ، ص ٣ .
(٣) البكري ــ التنبيه ج ٢ ، ص ١٢٥ ، البكري ــ سمط ، ج ٢ ، ص ٨٧٢ .
(٤) البكري ــ التنبيه ، ج ٢ ، ص ١٢٤ .
(٥) الماوردي ــ أدب ، ص ١٦٠ .
(٦) الجاحظ ــ البرصان ، ص ٢٤ ــ ٢٥ .
(٧) الميداني ــ مجمع ، ج ٢ ، ص ٢٨٩ .
(٨) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٤ ، ص ٢ .

وقال شاعر آخر :

أزرى بسعيك أن كنت امرأً حمقًا   من نسلِ ضاويةِ الأعراقِ مِحْماقِ (١)

وقال الشاعر :

فأول إحساني إليكم تخيري   لماجدةِ الأعراق بادٍ عفافُها (٢)

واعتقد العرب بتأثير الأخوال في الأبناء ، قال بجير بن رزام خطام الكلب :

والله ما أشبهني عصام

لا خلق منه ولا قوام

نِمْتُ وعِرْقُ الخالِ لا ينام (٣)

وقد أيد الإسلام هذه الفكرة ، فقال الرسول : "تخيروا لنطفكم ، وأنكحوا الأكفاء ، وأنكحوا إليهم " (٤) .

وكان يزوج المرأة أبوها أو أخوها (٥) ، فقد كانت المرأة تخطب إلى وليها من أب وأخ وعم وابن عم (٦) ، وتتم الخطبة بقدوم الخاطب مع أقاربه إلى ولي المخطوبة وطلبها منه (٧) .

وتبدأ الخِطبة بإلقاء كل من الخاطب والمخطوب إليه خُطبة ، وقد استحب العرب إطالة الخاطب وإيجاز المخطوب إليه (٨) ، وصيغة الخطبة الشائعة : " أنعموا صباحا ، نحن أكفاؤكم ونظراؤكم ، فإن زوجتمونا فقد أصبنا رغبة وأصبتموها ، وكنا لصهركم حامدين ، أو رددتموها لعلة نعرفها ، رجعنا عاذرين " (٩) .

---

(١) الجاحظ ــ البيان ، ج ١ ، ص ١٨٥ .
(٢) الماوردي ــ أدب ، ص ١٥٨ .
(٣) البكري ــ سمط ، ج ٢ ، ص ٧٩٥ .
(٤) ابن ماجه ــ السنن ، ج ١ ، ص ٦٣٣ .
(٥) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .
(٦) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ١٥١ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣١٠ .
(٧) ابن إسحق ــ المبتدأ ، ص ٦٠ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ١٣٢ ، ج ٨ ، ص ١٦ .
(٨) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٤ ، ص ٧٣ .
(٩) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣١٠ .

وفضل العرب الزواج من امرأة بكر على الزواج من امرأة ثيب ، فقد ورد في أمثالهم قولهم " خير المناكح الأبكار " (١) .

وقد يكون سن المرأة عند العقد عليها صغيرا جدا ، فقد عقد الرسول زواجه على عائشة بنت أبي بكر ، وهي في السادسة من عمرها وقيل في السابعة ، وبنى بها وقد بلغت تسعا (٢) .

وكانت العرب لا تتزوج الأمهات ولا الأخوات ولا البنات ولا العمات والخالات (٣) .

كانوا ينظرون إلى الابن المتبنى مثل نظرتهم إلى الابن الحقيقي فيما يتعلق بالزواج (٤) .

وكانوا يرون التكافؤ بين الخاطب والمخطوبة (٥) " إن كان أحدهما أشرف من الآخر في الحسب أرغب له المهر " (٦) ، فكان ينظر في الزواج إلى أن يكون الزوج كفئا للزوجة ، قال قيس بن زهير العبسي : " ولا تردوا الأكفاء عن النساء فتحوجوهن إلى البلاء ، فإن لم تجدوا الأكفاء فخير أزواجهن القبور " (٧) .

وكانت القاعدة العامة أن لا يؤخذ رأي المرأة عند تزويجها ولم يشترط رضاها (٨) ، إلا أن هناك حالات كثيرة تشذ عن هذه القاعدة .

وقد يمنع رجل بناته من الزواج فيقلن شعرا يقنعنه فيه بتزويجهن (٩) .

---

(١) الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ٦١ .
(٢) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٨١ ، البخاري ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ١٤١٤ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ ، ابن عساكر ــ الأربعين ، ص ٤١ ، السمهودي ــ وفاء ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .
(٣) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٢٥ .
(٤) الزبير ــ الأخبار ، ص ٣٢٠ ــ ٣٢١ .
(٥) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣١٠ ، انظر حول التكافؤ في الزواج : جواد علي ــ المفصل ، ج ٤ ، ص ٥٦٤ ، محمد جمعة ــ النظم ، ص ٤٤.
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣١٠ .
(٧) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٦ ، ص ٨٦ .
(٨) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٦ ، ص ٨٧ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ٤١٥ .
(٩) القالي ــ الأمالي ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

فقد تعرض المرأة نفسها على رجل تريده ، كما فعلت خديجة مع الرسول في رواية ([1]) وقد تبعث المرأة امرأة لتعرضها على رجل تريده ، كما فعلت خديجة مع الرسول عندما بعثت إليه نفيسة بنت منبه في رواية أخرى ([2]) .

وكذلك فقد طلبت أخت حارثة بن لأم من السهل بن مالك الفزاري أن يخطبها ففعل ([3]) ، وعرضت امرأة الزواج على ربيعة بن مُكَدِّم ([4]) .

وقد زوجت أسماء بنت مخربة وهي أرملة نفسها من هشام بن المغيرة ([5]) ، وكانت ماوية بنت حجر الغسانية تخطب من نفسها ([6]) ، وزوجت ماوية بن عفزر نفسها من حاتم الطائي ([7]) .

وقد لا يأخذ الرجل رأي ابنته في زواجها الأول ، ولكنه يستشيرها في زواجها الثاني ، فلم يأخذ عتبة بن ربيعة رأي ابنته هند عندما زوجها من زوجها الأول حفص بن المغيرة ، واشترطت هند بنت عتبة على والدها بعد طلاقها من حفص أن تملك أمرها ، ولا يزوجها من رجل حتى يعرضه عليها وقالت : " إني امرأة قد ملكت أمري فلا تزوجني رجلا حتى تعرضه علي " ([8]) ، وقد خطب سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب هند ينت عتبة فاختارت أبا سفيان ([9]) ، حيث أخذ أبوها رأيها ([10]) ، فقال لها :

أتاكِ سهيلٌ وابنُ حربٍ وفيهما رضًا ... لك يا هندَ الهنودِ ومَقْنَعُ

فدونكِ فاختاري فأنتِ بصيرةٌ ... ولا تخدعي إن المخادعَ يُخدعُ ([11])

([1]) ابن إسحق ــ المبتدأ ، ص ٦٠ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٧٨ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨١ .
([2]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ١٣١ .
([3]) ابن عاصم ــ الفاخر ، ص ١٥٩ .
([4]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٤ ، ص ١٣٣ .
([5]) ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ٤ ، ص ١٤٠ .
([6]) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٩١ .
([7]) الزبير ــ الأخبار ، ص ٤١٦ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٢٨٠ .
([8]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٢٣٥ .
([9]) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٧ ، ص ٩٤ ، القالي ــ الأمالي ، ج ٢ ، ص ١٦١ .
([10]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٨٧ ، ابن عبد ربه ــ طبائع ، ص ٣٤ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٦ ، ص ٨٧ .
([11]) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٦ ، ص ٨٧ .

واستشار أوس بن حارثة بناته لما أتاه الحارث بن عوف خاطبا ([١]) ، وزوجه الصغرى وهي بهيسة ([٢]) .

وكذلك استشيرت الخنساء في أمر زواجها من دريد بن الصمة حيث رفضته ([٣]) .

وهناك نسوة " إذا أصبحت إحداهن عند زوجها كان أمرها إليها إن شاءت أقامت وإن شاءت تركته ، وذلك لشرفهن وقدرهن مثل فاطمة بنت الخرشب الأنمارية وسلمى بنت عمرو بن زيد " ([٤]) .

وقد تشترط الفتاة على أبيها شروطا في الزوج ، كما فعلت عتمة بنت مطرود البجلية حيث قالت لأبيها : " انكحني على قدري ، ولا تشطط في مهري ، فإن تخطئني أحلامهم لا تخطئني أحسابهم " ([٥]) .

وكان للأم دور في إقناع ابنتها بالزواج ، فقد أقنعت زوجة علقمة بن حفصة ابنتها الرباب بالزواج ([٦]) .

وقد تطلب البنات من أبيهن الزواج ، كما فعلت بنات همام بن مرة حيث طلبن التزويج من أبيهن ([٧]) .

وقد تقوم المرأة باختبار خطابها كما فعلت ماوية بنت عفزر مع خطابها ([٨]) .

وقد يرسل الزوج امرأة لفحص من يريد الزواج بها عند خطبتها ، فقد أرسل الحارث بن عمرو امرأة من كندة إلى أمامة بنت الحارث لفحص ابنتها ابنة عوف بن محلم عندما أراد خطبتها ([٩]) .

([١]) طيفور ـــ بلاغات ، ص ١٤٩ ، أبو الفرج الأصفهاني ـــ الأغاني ، ج ٩ ، ص ١٤٢ .
([٢]) أبو الفرج الأصفهاني ـــ الأغاني ، ج ١ ، ص ٢٩٥ ـــ ٢٩٦ .
([٣]) طيفور ـــ بلاغات ، ص ١٣٥ ، أبو الفرج الأصفهاني ـــ الأغاني ، ج ١٠ ، ص ٢٢ ـــ ٢٣ ، ابن حجر ـــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ .
([٤]) ابن حبيب ـــ المحبر ، ص ٣٩٨ ، القالي ـــ الأمالي ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .
([٥]) ابن عاصم ـــ الفاخر ، ص ١٥٦ ـــ ١٥٧ .
([٦]) طيفور ـــ بلاغات ، ص ١٣٥ .
([٧]) القالي ـــ الأمالي ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .
([٨]) أبو الفرج الأصفهاني ـــ الأغاني ، ج ١٦ ، ص ١٠٠ .
([٩]) ابن عاصم ـــ الفاخر ، ص ١٨٦ .

وقد توصي الأم ابنتها وصية عند زواجها ، فقد أوصت أم أمامة بنت الحارث ابنتها بوصية عند زواجها من الحارث بن عمرو (١) .

وقد تشترط المرأة على زوجها شروطا معينة مثل أن لا يتزوج غيرها ، فقد اشترطت فاطمة بنت عتبة بن ربيعة وكانت كثيرة المال على عقيل بن أبي طالب أن تقوم بالإنفاق عليه شريطة أن لا يتزوج عليها (٢) .

وقد اشترطت امرأة على عمارة بن الوليد حتى تتزوجه أن يترك الشراب والزنا (٣) .

كانت قريش تتمتع بميزة أنهم يتزوجون من أي قبيلة شاءوا ، ولا شرط عليهم في ذلك ، ولا يزوجون أحدا حتى يشترطوا عليه أن يكون متحمسا على دينهم (٤) .

قد يشترط أهل الزوجة على الزواج شروطا معينة ، فقد اشترط أهل سلمى بنت زيد على هاشم ألا تلد ولدا إلا في أهلها (٥)

وقد تضع قبيلة معينة شروطا فيمن تزوجه ، فعندما خطب الضب بن أروى الكلاعي عمرة بن سبيع من همدان ، وكانت همدان لا تزوج إلا شاعرا أو عائفا (كاهنا) أو عالما بعيون الماء ، فلما لم يكن كذلك رفضوا تزويجه (٦) .

ولم تكن المرأة دائما ترى الجمال شرطا في زوجها ، بل تفضل عليه أمورا أخرى ، فقد تزوجت امرأة رجلا لا يتمت بالجمال لأنه " منيع الحيلة وتتقيه القبيلة رغم قبحه " ، وقالت : " هذا أجمل الجمال وأكمل الكمال " (٧) .

لم يكن العرب يرون ضيرا في الزواج من غير العربيات ، فقد نكح العرب حبشيات

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٨٦ .
(٢) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٢٣٨ .
(٣) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٦ ، ص ١٥٣ .
(٤) الألوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .
(٥) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٩٨ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ .
(٦) ابن عاصم ــ الفاخر ، ص ١٤٦ .
(٧) المصدرنفسه ، ص ١٤٦ .

ويهوديات ورروميات ونبطيات (١) ، إلا أنهم يرون عدم تزويج غير العربي (٢) ، ومن الأمثلة على ذلك رفض ملك الحيرة النعمان تزويج الملك الساساني كسرى أبرويز مما كان أحد أسباب مقتله .

وكانوا يرون أن الوضيع الحسب والنسب يتزوج من وضيعة الحسب والنسب ، قال محارب بن ذي النابين :

لم يَعْدُ شَيْهم أن تزوج مثله   فهما كشيهمةٍ علاها شَيْهمُ

ورسوله الساعي إليها تارة جُعَل   وطورا عَضرفوطٌ مُلَجَّمُ (٣)

ولم تكن النظرة إلى المتزوجة في غير قومها إيجابية من قبل قوم زوجها ، كما يتضح من الأمثال العربية ، قال المثل : " شر الغريبة يعلن وخيرها يدفن " (٤) ، وقال المثل : " أنقى من مرآة الغريبة " (٥) .

وقالت امرأة من بني شيبان :

أصبحتُ في آل الشقيقِ غريبةً   عليّ الذي لا عيبَ فيه معيبُ

وإن زمانًا رَدَّني في عشيرتي   إلي وإن لم أرْجُه لحبيبُ (٦)

ولم يكن من المحبذ الزواج من كبيرة السن ، قال شاعر :

لا تنكِحنَّ عجوزًا إن دَعَوْكَ لها   وإن حَبَوْكَ على تزويجها الذهبا

وإن أتَوْكَ وقالوا إنها نَصَفٌ   فإن أطيبَ نصفيها الذي ذهبا (٧)

وقال الحارث بن حلزة اليشكري :

وقالوا ما نكحت فقلت خيرًا   عجوزًا من عُرَينة ذات مال

---

(١) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٤٠٠ ــ ٤٠٣ .
(٢) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣١٠ .
(٣) الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، شيهم : قنفذ ، الجعل والعضرفوط : دواب .
(٤) الزمخشري ــ المستقصى ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .
(٥) الميداني ــ مجمع ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .
(٦) المرزباني ــ أشعار ، ص ١٨٨ .
(٧) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٤ ، ص ٤٣ .

نكحتُ كبيرةً وغرمتُ مالا   كذاك البيعُ مرتخصٌ وغالِ (١)

ويرافق الزواج المهر ، وقد اشتهرت بعض القبائل بغلاء المهور ومن ذلك غلاء مهور كندة (٢) .

ويبدو أن المهر كان يؤول إلى ولي الأمر ، حيث يرد أنه إذا رزق رجل ابنة كانوا يقولون له : " هنيئا لك النافجة " أي المعظمة لمالك (٣) ، وقال شاعر مشيرا أن المهر أحد مصادر الثروة :

وما كان مالي من تراثٍ وَرِثْتُهُ   ولا صدقاتٍ من نساءٍ ولا ذمم (٤)

وبعض النساء كان آباؤهن يدفعون مهورهن ، حيث كان الأب أحيانا يدفع المهر عن زوج ابنته ، فقد خطب لقيط بن زرارة إلى قيس بن خالد الشيباني الذي وافق وساق عنه المهر (٥) ، ولم يكن هذا أمرا محببا ، بل يدل على وجود عيب في المرأة ، فقالوا في المثل : " أحمق من الممهورة من مال أبيها " (٦) .

ويبدو أن الزواج يرتبط ببعض الطقوس الدينية ، فقد كانوا " عند الختان أو النكاح يذهبون إلى هبل بمئة درهم وجزور يعطونها صاحب القداح ويستشيرونه " (٧) .

ويرافق العرس تزيين العروس ، فعند زواج الرسول بعائشة " اجتمع رجال من الأنصار ونساء في بيت أبي بكر ، ثم وقفت أم رومان أم عائشة ومسحت وجهها بشيء من ماء والرسول جالس على سرير وأجلستها في حجره وخرج الرجال والنساء ، وبنى بها الرسول في بيتها دون نحر جزور أو ذبح شاة " (٨) .

---

(١) المعري ـــ رسالة ، ص ٥٠٣ ـــ ٥٠٤ .
(٢) الجاحظ ـــ البيان ، ج ٢ ، ص ٢٨ .
(٣) الميداني ـــ مجمع ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ ، انظر حول المهر : محمد جمعة ـــ النظم ، ص ٤١ ـــ ٤٦ ، جواد علي ـــ المفصل ، ج ٥ ، ص ٥٣١ .
(٤) النهشلي ـــ الممتع ، ص ٢٤٢ .
(٥) ابن قتيبة ـــ عيون ، ج ٤ ، ص ١٢ .
(٦) الميداني ـــ مجمع ، ج ١ ، ص ٢١٩ .
(٧) الأزرقي ـــ أخبار ، ج ١ ، ص ١١٨ .
(٨) الطبري ـــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢١١ .

ومن عادات الزفاف أن تحمل إحدى النساء العروس لزوجها وتمشطها وتصلح من أمرها ، كما فعلت أم سليم مع صفية حين أعرس الرسول بها ([١]) .

ولم يكن من المعتاد أن يعرس الرجل بزوجته من قوم آخرين قبل أن يصل دياره ، أما السبية فيمكن ذلك ، فقد أعرس الرسول بصفية بخيبر أو ببعض الطريق في قبة ([٢]) .

وكان يرافق العرس وليمة العرس ([٣]) ، حيث يصنع الطعام عند الإعراس ([٤]) ، وقد تكون وليمة الزواج سويق وتمر ليس فيها شحم أو لحم ([٥]) ، والوليمة قد تكون بشاة ([٦]) ، وقد لا يكون فيها خبز ولا لحم ([٧]) ، وقد تكون خبزا من شعير ومرقا فيه دباء (قرع) ([٨]) .

وكان يرافق وليمة العرس أحيانا سقي المدعوين نوع من الشراب مصنوع من أحد أنواع الفاكهة ، مثل التمر ([٩]) .

وكانت العروس أحيانا هي التي تقوم بخدمة المدعوين إلى الوليمة ([١٠]) .

ومن عادات العرس إلقاء النثار على الحاضرين ، ونثار العرب التمر ([١١]) .

ويبدو أن الجيران كانوا يزودون بيت العرس بالطعام ، فعند زواج الرسول بعائشة أرسل سعد بن عبادة جفنة للرسول ([١٢]) .

وكانت تهنئة العروسين : " بالرفاء والبنين " ([١٣]) .

([١]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ ــ ٣٤٠ .
([٢]) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٣٩ ــ ٣٤٠ .
([٣]) ابن طولون ــ فص الخواتم ، ص ٤١ .
([٤]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .
([٥]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ .
([٦]) مالك ــ الموطأ ، ص ٣٧٢ .
([٧]) المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ .
([٨]) المصدر نفسه ، ص ٣٧٢ .
([٩]) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٥٨ .
([١٠]) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٥٨ .
([١١]) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٤ ، ص ٦٥٤ .
([١٢]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .
([١٣]) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٣ ، ص ٧٨ .

ويطلق على الزفاف اسم البناء ، ويبدو أن بيت البناء كان يزود بمصباح ، قال الشاعر :

ألا يا من يرى البرق اليماني يلوحُ كأنه مصباحُ بانِ ([١])

وقد يوصي الأب زوج ابنته بها ، فقد أوصى عامر بن الظرب صعصعة بن معاوية عندما جاء يخطب ابنته عمرة ، فقال له : " لإنك أتيتني تشتري مني كبدي فارحم ولدي ، قبلتك أو كرهتك ، والحسيب كفء الحسيب ، والزوج الصالح أب بعد أب " ([٢]) .

وهناك نصائح عند الزواج للعروس من قبل الأم ([٣]) ، ومن أمثلتها وصية أمامة بنت الحارث لابنتها عند زواجها من الحارث بن عمرو ([٤]) .

نكاح المتعة

وزواج المتعة زواج محدود في فترة محددة ([٥]) ، وإذا ما انتهى الأمد المحدد تمت الفرقة ([٦]) ، سمي كذلك لأنه لمجرد التمتع دون التعاطف والتحاب والتوالد ، وقد نهى الرسول عن نكاح المتعة يوم خيبر ([٧]) .

ويبدو أنه قد أطلق على ما يدفعه الرجل للمرأة مقابل هذا الزواج اسم الإتاوة ، كما أن الزوجة في هذا الزواج تقوم بخدمة زوجها ، قال عمرو بن قعاس المرادي :

ألا رجلا جزاه الله خيرا يدل على مُحَصِّلة تبيتُ

تُرَجِّل لمتي وتَقُمّ بيتي وأعطيها الإتاوةَ إن رضيتُ ([٨])

([١]) ابن طولون ــ فص الخواتم ، ص ٤٥ ــ ٤٦ .
([٢]) الجاحظ ــ البيان ، ج ٢ ، ص ٨٠ ــ ٨١ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٧ ، ص ٨٩ .
([٣]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣١١ .
([٤]) ابن عاصم ــ الفاخر ، ص ١٥٩ .
([٥]) مالك ــ الموطأ ، ص ٣٦٩ .
([٦]) الخوارزمي ــ مفاتيح ، ص ١٤ .
([٧]) مالك ــ الموطأ ، ص ٢٥٨ ، البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ١٩٦٧ ، الطبري ــ جامع ، ج ٥ ، ص ١٢ ، ابن الأثير ــ النهاية ، ج ٤ ، ص ٨١ .
([٨]) البغدادي ــ خزانة ، ج ١ ، ص ٤٦٠ .

نكاح الاستبضاع

وفي هذا النوع من النكاح كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها (حيضها) : " أرسلي إلى فلان أحد الأشراف ، أو الزعماء فاستبضعي منه " ، ويعتزلها زوجها فلا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها ، أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد (١) ، وقد عللوا كون ذلك بعد الطهر حتى يسرع علوقها منه (٢) .

ومن الأمثلة على نكاح الاستبضاع أن امرأة من بني أسد دعت عبد الله بن عبد المطلب أن تستبضع منه ، وتعطيه مئة من الإبل (٣) ،

ومن أمثلة العرب التي تدل على نكاح الاستبضاع قولهم " بمثل جارية فلتزن الزانية " ، قالته امرأة في ابنتها عندما استبضعت من جارية بن سليط (٤) .

نكاح الخدن

وهو علاقة جنسية دون عقد أو نكاح شرعي ، يكون الرجل خدنا للمرأة أي صديقا لها (٥) ، فذوات الأخدان هن اللواتي " حبسن أنفسهن على الخليل والصديق للفجور به سرا " (٦) ، وكان أهل الحجاز يحرمون ما ظهر من الزنا ، ويستحلون ما خفي (٧) ، وعند مجيء الإسلام نهى عن اتخاذ الأخدان (٨) ، قال تعالى : " اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر

---

(١) البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ ، ابن الأثير ــ النهاية ، ج ١ ، ص ٩٨ .
(٢) النويري ــ نهاية ، ج ١٦ ، ص ٥٨ ، انظر حول نكاح الاستبضاع : الحوفي ــ المرأة ، ص ١٩٧ ، محمد جمعة ــ النظم ، ص ٢٣ ، جواد علي ــ المفصل ، ج ٥ ، ص ٥٣٩ .
(٣) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٦٤ ــ ١٦٥ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ــ ٢٤٤ ، ابن كثير ــ البداية ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ ، النويري ــ نهاية ، ج ١٦ ، ص ٥٨ ، ٦٣ .
(٤) الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ٩٥ .
(٥) الطبري ــ جامع ، ج ٥ ، ص ١٩ ، انظر أيضا حول نكاح الخدن : جواد علي ــ المفصل ، ج ٥ ، ص ١٤١ .
(٦) ابن كثير ــ تفسير ، ج ١ ، ص ٤٧٦ ، ج ٢ ، ص ٢٢ .
(٧) الطبري ــ جامع ، ج ٥ ، ص ٢٠ .
(٨) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ١٩ .

بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين " . (١) ، وقال تعالى " ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم ". (٢) .

نكاح المضامدة

وهو أن تقيم المرأة علاقة جنسية مع رجل أو رجلين غير زوجها (٣) ، فقد كان أبو ذؤيب الهذلي يضامد امرأة ، وقد أرادت أن تشرك معه رجلا يدعى خالدا ، فأبى عليها ذلك . (٤)

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك أن معاوية بن عمرو (وهو أخو الخنساء) لقي أسماء المرية وكانت بغيا فدعاها إلى نفسه وامتنعت عليه لأنها عند سيد العرب هاشم بن حرملة ، فوقعت حرب بين معاوية وهاشم وأخيه دريد انتهت بمقتل معاوية (٥) .

نكاح البدل

ويسمى أيضا نكاح الشغار (٦) ، وهو أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق (٧) ، حيث كان الرجل يقول للرجل : " شاغرني " أي زوجني أختك أو بنتك ، أو من تلي أمرها حتى أزوجك أختي أو بنتي ، أو من ألي أمرها ، ولا يكون بينهما مهر (٨) .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٥ .
(٢) سورة النساء ، الآية ٢٥
(٣) ابن منظور ــ لسان ، مادة ضمد .
(٤) الميداني ــ مجمع ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .
(٥) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٥ ، ص ٨٨ .
(٦) مالك ــ الموطأ ، ص ٣٦٤ ، انظر أيضا حول نكاح البدل : جواد علي ــ المفصل ، ج ٥ ، ص ٥٣٧ ، الحوفي ــ المرأة ، ص ٢٠٠ .
(٧) البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ١٩٦٦ .
(٨) ابن الأثير ــ النهاية ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

وقد نهى الرسول عن نكاح الشغار ، فقد قال الرسول : " لا شغار في الإسلام " ([1]) .

نكاح المقت

نشأ هذا الزواج عن فكرة أن المرأة جزء من الميراث ([2]) . ويبدو أن هذا النوع من النكاح كان شائعا في يثرب ، حيث كان الوارث إذا لم يكن للمتوفى أبناء أو إخوة ، يلقي ثوبه على المرأة فتكون في ملكه ، إن شاء تزوجها ، وإن شاء عضلها ، أي منعها من الزواج من غير مهر حتى تموت ، فيرث ميراثها إلا أن تفتدي نفسها منه بفدية ترضيه ([3]) ، وكان الابن الأكبر هو الأحق بذلك فإذا لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض إخوته بمهر جديد ([4]) .

ولم يكن هذا النوع من النكاح مقتصرا على يثرب ، فقد تناوب ثلاثة من بني قيس بن ثعلبة (من شيبان من بكر بن وائل) امرأة أبيهم فعيرهم أوس بن حجر التميمي ([5]) .

ومن الأمثلة على هذا الزواج آمنة بنت أبان التي كانت زوجة لأمية بن عبد شمس ، فلما مات أمية تزوجها ابنه أبو عمرو ([6]) .

وكان نفيل بن عبد العزى متزوجا امرأة من فهم فلما مات تزوجها ابنه عمرو ([7]) .

وتزوج إساف بن زيد زوجة أبيه بعد وفاته ([8]) .

وتزوج صفوان بن أمية زوجة أبيه فاختة بنت الأسود بعد مقتل أبيه ([9]) .

ومن الأمثلة على هذا النوع من النكاح ، أنه " عندما توفي أبو قيس فورث ابنه نكاح زوجته كبيشة بن معن بن عاصم الأوسي ، فأضرها وطول عليها ، فلا هو ينفق عليها ، ولا هو يخلي سبيلها " ([10]) .

([1]) مالك ــ الموطأ ، ص ٢٣٣ ، البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ١٩٦٦ ، مسلم ــ صحيح ، ج ٢ ، ص ١٠٣٥ .
([2]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٢٤ ، انظر أيضا حول نكاح المقت : محمد جمعة ــ النظم ، ص ٦٥ .
([3]) الطبري ــ جامع ، ج ٤ ، ص ٣٠٦ ، القلقشندي ــ صبح ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .
([4]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٢٥ ــ ٣٢٦ .
([5]) الطبري ــ جامع ، ج ٤ ، ص ٣٠٥ ، النويري ــ نهاية ، ج ٣ ، ص ١٢٠ ..
([6]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١ ، ص ١٦ .
([7]) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ١١٣ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ١٢٣ .
([8]) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ١١٣ .
([9]) القرطبي ــ الجامع ، ج ٥ ، ص ١٠٤ .
([10]) الطبري ــ جامع ، ج ٤ ، ص ٣٠٦ ، ابن كثير ــ تفسير ، ج ١ ، ص ٤٦٦ .

وقد نهى الإسلام عن نكاح المقت ([١]) ، قال تعالى : " ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا " . ([٢]) .

كان ابن مقبل قد تزوج زوجة أبيه دهماء ، فلما فرق الإسلام بينهما قال :

هل عاشقٌ نال من دهماءَ حاجته　　　في الجاهلية قبل الدين مرحوم ([٣])

وقد تزوج منصور بن سيار الفزاري امرأة أبيه مُليكة بنت خارجة ، فلما فرق الإسلام بينهما قال :

ألا لا أُبالي اليوم ما صَنَعَ الدَّهْرُ　　　إذا مُنِعَتْ مني مُلَيْكَةُ والخمرُ

وما منهما إلا شديدٌ فِراقُهُ　　　شرابُ النَّدامى والمَخَدَّرَةُ البِكْرَ ([٤])

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي :

فلولا إخوتي وبنيّ منها　　　ملأتُ لها بذي شُطبٍ يميني ([٥])

وكان يسمى من يتزوج زوجة أبيه الضيزن ([٦]) ، وقد نسبت هذه العادة إلى الفرس ، قال أوس بن حجر التميمي :

والفارسِيَّةُ فيكم غَيْرُ مُنْكَرَةٍ　　　فكلكم لأبيه ضَيْزَنٌ سَلَفُ ([٧])

وقد انتقد البعض هذا النوع من الزواج ، قال حجر بن معاوية :

لبئس ما خلفَ الاباء بعدهم　　　في الأمهات عجانُ الكلبِ منظورُ

قد كنت تغمزها والشيخُ حاضرُها　　　والآن أنت بطول الغَمْزِ معذورُ ([٨])

([١]) الطبري ــ جامع ، ج ٤ ، ص ٣١٨ ، ابن كثير ، ج ١ ، ص ٤٦٩ .
([٢]) سورة النساء ، الآية ٢٢
([٣]) ابن مقبل ــ ديوان ، ص ١٩٤ .
([٤]) المرزباني ــ أشعار ، ص ٢٨٠ ــ ٢٨١ .
([٥]) عمرو بن معديكرب ــ ديوان ، ص ١٧٣ .
([٦]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٢٥ .
([٧]) أوس ــ ديوان ، ص ٧٥ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٢٥ .
([٨]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢١ ، ص ١٦٧ .

نكاح السبي

ويتم هذا النوع من النكاح بعد الحروب ، حيث لقبت المرأة المأخوذة من السبي بالأخيذة أو النزيعة (1) ، وكان يتم بلا مهر واعتقد العرب أنه ينتج نسلا قويا نجيبا (2) ، ولم يكن يشترط فيه قبول الزوجة بالزواج .

ومن الأمثلة على هذا النوع من النكاح أن أم دريد بن الصمة وإخوته عبد الله وعبد يغوث وقيس وخالد ريحانة بنت معديكرب الزبيدي أخت عمرو بن معديكرب ، وكان الصمة سباها ، ثم تزوجها فأولدها بنيه (3) .

ومن الأمثلة الأخرى على هذا النوع من النكاح أن أم عمرو بن العاص سلمى بنت حرملة سبيت وبيعت في سوق عكاظ ، فاشتراها الفاكه بن المغيرة ، ثم ابتاعها عبد الله بن جدعان ، ثم صارت إلى العاص بن وائل فتزوجها ، وولدت له عمرا (4) .

ولا يوجد في هذا النوع من الزواج مهر ، قال قحيف العقيلي :

أُخذْنَ اغتصابًا خِطْبةً عَجْرفيّةً   وأُمْهِرْنَ أرماحًا من الخَطِّ ذُبَّلا (5)

وقال الأعشى :

ومنكوحةٍ غيرِ مَمْهورةٍ   وأُخرى يقالُ له فادِها (6)

ومن السبايا سلمى زوجة عروة بن الورد العبسي (7) ، وجمرة زوجة النمر بن تولب (8) .

ويتم الزواج من السبية بعد عتقها ، فقد أعتق عروة بن الورد سلمى ثم تزوجها (9) ،

---

(1) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ٣٨ ، انظر أيضا حول نكاح السبي : محمد جمعة ــ النظم ، ص ٣٣ ــ ٣٩ ، الحوفي ــ المرأة ــ ص ٣٨٢ ــ ٣٩١ .
(2) المصدر نفسه ، ج ١٥ ، ص ٢٢٥ .
(3) المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ٤ .
(4) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٤ ، ص ١١٥ ــ ١١٦ .
(5) الأنصاري ــ النوادر ، ص ٥٣٢ .
(6) الأعشى ــ ديوان ، ص ٧٨ .
(7) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .
(8) المصدر نفسه ، ج ١٩ ، ص ١٥٩ .
(9) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

وأعتق الرسول جويرية بنت الحارث وصفية بنت حيي ثم تزوجهن ([١]) .

كانت النظرة إلى السبية عند قوم زوجها ، كما لو كانت أمة ، كما حدث مع سلمى زوجة عروة ([٢]) .

وقد افتخر البعض بحسن معاملة السبايا ، قال حاتم الطائي :

وما أنكحونا طائعين بناتهم ... ولكن خطبناها بأسيافنا قَسْرا

فما زادها فينا السباءُ مذلةً ... ولا كلّفت خبزا ولا طبخت قِدْرا

ولكن خلطناها بخير نسائنا ... فجاءت بهم بيضًا وجوههم زُهرا ([٣])

ويبدو أنه عند تزويج السبية كان يراعى مكانتها في قومها ، فقد وصفت صفية بنت حيي بأنها سيدة بني قريظة والنضير ولا تصلح إلا للرسول فأخذها من سهم دحية الكلبي ([٤]) .

ولم تكن السبية تخطب ، فالسبية لم يكن يزوجها أحد ([٥]) .

وقد ذكر في الشعر نكاح السبايا ، قال وزر بن نعمة الإيادي :

ألا كررتَ على هندٍ فتمنعها ... إذ هي مائلةٌ والجرحُ منصارُ ([٦])

نكاح الإماء

ويتم هذا النوع من النكاح بين الرجل وأمته ، فكان إذا أنجب العربي من أمته أولادا ، لا يحق لهم أن يلحقوا بنسبه ، بل يظلوا عبيدا له وإماء ([٧]) ، وقد أدى هذا النوع من النكاح

([١]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٩٢ .
([٢]) ابن سعيد ــ نشوة ، ج ٢ ، ص ٥٣٧ .
([٣]) حاتم ــ ديوان ، ص ٢٩٨ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٦ ، ص ١٣٠ ــ ١٣١ .
([٤]) المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ٣٢١ ،
([٥]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٩٥ .
([٦]) الآمدي ــ المؤتلف ، ص ١٥ .
([٧]) ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ٢٥٠ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٨ ، ص ٢٣٧ ، الزوزني ــ شرح ، ص ١٠٤ ، انظر أيضا حول نكاح الإماء : الحوفي ــ المرأة ، ص ٣٨٦ ــ ٣٩٤ .

الذي وقع بين العرب وإمائهم الحبشيات إلى تكوين نسل من الهجناء السود الذين سرى لهم السواد من أمهاتهم ، أطلق عليهم اسم الأغربة (١) .

وإذا أثبت ابن الأمة نوعا من النبوغ والمقدرة عندما يكبر ، فقد يلحقه أبوه بنسبه ، فقد ادعى شداد عنترة بعد الكبر ، وذلك أنه كان لأمة سوداء يقال لها زبيبة ، فأظهر شجاعة فائقة في دفاعه عن قبيلته (٢) .

نكاح صواحب الرايات

وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما ، فمن أرادهن دخل عليهن مقابل أجر لم يكن محددا ، قد يكون نقدا أو متاعا ، ويتوقف على التراضي ، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها القافة (العالمون بالأثر) ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط (التصق) به ، ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك (٣) .

ومن الأمثلة على ذلك أن أبا سفيان كان يذهب إلى صاحبة راية ، فعرضت عليه سمية ، فولدت زيادا على فراش عبيد (٤) .

وقد أقيمت للإماء في المدن المواخير ، ونصبت لهن خيام عليها رايات حمر في الأسواق الموسمية ، كسوق عكاظ ودومة الجندل وذي المجاز (٥) .

ومن البغايا أم عليط جارية صفوان بن أمية ، وحنة القبطية جارية العاص بن وائل ، " وكان لهن أولاد ونسل كثير " (٦) .

وكان لعبد الله بن أبي ست جوار يكرههن على الزنا ، ويضرب عليهن الضرائب فشكت بعضهن إلى الرسول (٧) ، فحرم الإسلام البغاء، قال تعالى : " وليستعفف الذين لا

---

(١) التبريزي ــ شرح ، ج ١ ، ص ١٥٨ .
(٢) ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ٢٥٠ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٨ ، ص ٢٣٧ .
(٣) البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ١٧٠ ــ ١٧١ ، الشهرستاني ــ الملل ، ج ٣ ، ص ٣٢٤ ، انظر أيضا حول نكاح ذوات الرايات : جواد علي ــ المفصل ، ج ٥ ، ص ٥٣٩ ، الحوفي ــ المرأة ، ص ٢٠ .
(٤) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٥ ، ص ٢٦٦ ــ ٢٦٧ ، المسعودي ــ مروج ، ج ٣ ، ص ٧٦ .
(٥) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٦٤ .
(٦) ابن كثير ــ تفسير ، ج ٣ ، ص ٢٨٩ .
(٧) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٨٩ .

يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم . " ([١])

.

نكاح تعدد الأزواج

ويحدث هذا النوع من النكاح بأن يجتمع الرهط ما دون العشرة ، فيدخلون على المرأة ، كلهم يصيبها عن رضى منها ، وتواطؤ بينهم وبينها ، فإذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : " قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان ، تسمي من أحبت باسمه ، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل " ([٢]) .

نكاح تعدد الزوجات

كان نكاح تعدد الزوجات معروفا عند ظهور الإسلام ، ولا يبدو أنه كان هناك حد معين لعدد الزوجات ، فقد ظهر الإسلام وهناك رجال عندهم عشر نسوة مثل مسعود بن معتب ، وعروة بن مسعود ([٣]) ، وصفوان بن أمية الذي كان عنده ست نسوة ([٤]) وأبو سفيان بن حرب كان عنده ست نسوة ([٥]) وسفيان بن عبد الله ، وأبي عقيل مسعود بن عامر ، وغيلان بن سلمة ، فلما أسلم غيلان وسفيان وأبو عقيل نزل كل منهم عن ست وأمسك أربعا

([١]) سورة النور ، الآية ٣٣ .
([٢]) البخاري ــ صحيح ، ص ١٩٧٠ ــ ١٩٧١ ، انظر أيضا حول نكاح تعدد الأزواج : الحوفي ــ المرأة ، ص ١٩٩ ، جواد علي ــ المفصل ، ج ٥ ، ص ٥٤٠ ــ ٥٤١ ، محمد جمعة ــ النظم ، ص ١٦ .
([٣]) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ١٣١ .
([٤]) المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ١٨٨ .
([٥]) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ٤٠٩ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٣٥٨ .

(١) ، وكان لعبد المطلب بن هاشم ست نسوة ، ولدن له عشر رجال وست نساء (٢) ، وكان المغيرة بن شعبة تزوج ثمانين امرأة أو أكثر (٣) .

(١) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٥٧ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٤ ، ص ١٧٢ .
(٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١١٣ ــ ١١٤ .
(٣) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٦ ، ص ٨٦ .

نكاح الذواق

وهو النكاح السريع الذي ينتهي بسرعة ، فقد ورد في المثل " أسرع من نكاح أم خارجة " ، حيث جامعت نيفا وأربعين رجلا من عشرين حيا أو أكثر ، كان يأتيها الخاطب فيقول لها خِطّب ، فتجيبه نِكّح (١) ، ويبدو أن هذا الزواج تقوم به المرأة بنفسها دون استشارة ولي .

نكاح الجمع بين الأختين

عرف العرب قبل الإسلام الجمع بين الأختين في الزواج ، فقد جمع أبو أحيحة سعيد بن العاص بين صفية وهند ابنتي المغيرة بن عبد الله (٢) ، وجمع ثقيف بن منبه بين الأختين ، وجمع هشام بن أسامة العائش بين أختين (٣) ، وجمع أبو فيروز الديلمي بين أختين (٤) ، وقد حرم الإسلام الجمع بين الأختين (٥) ، قال تعالى : " حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما . (٦) والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا حناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما . (٧) " .

---

(١) الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .
(٢) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٢٧ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .
(٤) ابن خياط ــ الطبقات ، ج ٢ ، ص ٢٧١ .
(٥) ابن كثير ــ تفسير ، ج ١ ، ص ٤٧٣ .
(٦) سورة النساء ، الآية ٢٣
(٧) سورة النساء ، الآية ٢٤

الطلاق

عرف العرب قبل الإسلام الطلاق ، وكان للطلاق أسباب كثيرة ، ومن ذلك كان تطاول الزوجة على قوم زوجها من أسباب الطلاق ، مثل تطاول عمرة بنت الصامت الأوسية على زوجها حسان بن ثابت ، لما أجار الأوس مخلد بن الصامت الساعدي ([١]) .

وقد طلق دريد بن الصمة زوجته أم معبد لأنها عاتبته على جزعه على أخيه ، وصغرت شأن أخيه وسبته ، فطلقها ([٢]) .

وطلق الحارث بن سليل الأسدي زوجته الزباء ابنة علقمة بن الطائي عندما ذمته بأنه من الشيوخ وكانت أمها قد أقنعتها بالزواج منه رغم كبر سنه ، وكان مهرها مئة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم ([٣]) .

وطلق عمرو بن عمرو بن عدس زوجته دختنوس عندما تأففت منه ([٤]) .

ويبدو أن الطلاق عند العرب قبل الإسلام كان ثلاث مرات ، فقد كانت العرب تطلق ثلاثا على التفرقة ، والزوج أحق بزوجته إلى أن يستوفي ثلاث طلقات ، فإن استوفاها انقطع سبيله إليها ، فعندما أراد أهل الأعشى إجباره على تطليق زوجته ، قال الأعشى :

أيا جارتي بيني فإنكِ طالقة   كذاك أمورُ الناسِ غادٍ وطارقة

قالوا ثانية ، فقال :

وبيني فإن البينَ خيرٌ من العصا   وإلا تري لي فوق رأسك بارقة

قالوا ثالثة ، فقال :

وبيني حصانَ الفرج غيرَ ذميمةٍ   وموموقةً قد كنت فينا ووامقة ([٥])

([١]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١ ، ص ١٤ .
([٢]) المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ١٠ ــ ١١ .
([٣]) ابن عاصم ــ الفاخر ، ص ١٠٩ ــ ١١٠ .
([٤]) المصدر نفسه ، ص ١١١ .
([٥]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٠٩ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٩ ، ص ١٢٢ ، الشهرستاني ــ الملل ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٤ .

وقد أيد ذلك قول ابن عباس : " كان الرجل يطلق امرأته تطليقة ثم هو أحق بها ، فإن طلقها ثنتين فهو أحق بها أيضا ، فإن طلقها ثلاثا فلا سبيل له إليها " (١) .

وكان هناك أكثر من صيغة للطلاق ، فمن عبارات الطلاق : " حبلك على غاربك (٢) ، اذهبي فلا أنده سربك (٣) ، أو سل ثوبه عن امرأته (٤) " .

قد يكره أهل الزوجة الزوج على طلاق زوجته ، كما فعل أهل زوجة الأعشى معه ، عندما أجبروه على تطليق زوجته (٥) .

وقد أعطيت بعض النساء حق تطليق أنفسهن مثل سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش النجارية ، زوجة هاشم بن عبد مناف وهي أم عبد المطلب (٦) ، وعاتكة بنت مرة بن هلال السلمية زوجة عبد مناف بن قصي ، وهي أم هاشم وعبد شمس والمطلب ، وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية أم الكملة وماوية بنت الجعد العبدية (٧) وأم خارجة عمرة بنت سعد البجلية والسوا بنت الأعيس العنزية ، كانت إذا تزوجت الواحدة منهن رجلا وأصبحت عنده كان أمرها إليها (٨) ، فكانت علامة ارتضاء المرأة للزوج أن تعالج له طعاما إذا أصبح (٩) .

فكانت إذا أرادت امرأة طلاق زوجها وجهت باب خبائها وجهة غير وجهته الأولى (١٠) ، إذا كان الباب إلى المشرق جعلته إلى المغرب وإن كان الباب قبل اليمن جعلته قبل

---

(١) الشهرستاني ــ الملل ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ .
(٢) الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ١٩٦ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة غرب .
(٣) المرتضى ــ تاج ، مادة سرب .
(٤) القرشي ــ جمهرة ، ص ٤١ ، انظر أيضا حول الطلاق : جواد علي ــ المفصل ، ج ٥ ، ص ٥٤٩ ، الحوفي ــ المرأة ، ص ٢٠٩ .
(٥) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٠٩ .
(٦) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٤٥ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٣ ، ص ٦٩٦ .
(٧) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٩٨ ، الشهرستاني ــ الملل ، ج ٣ ، ص ٣٢٢ ــ ٣٢٣ .
(٨) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٩٨ ــ ٣٩٩ .
(٩) الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .
(١٠) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٣٨٧ .

الشام ، فإذا رأى الرجل ذلك عرف أن امرأته طلقته (١) ، كما فعلت ماوية بنت عفزر زوجة حاتم الطائي (٢) .

ويبدو أنه كان يرافق الطلاق تزويد المطلقة بوصيفة ، قال الأضبط بن قريع السعدي التميمي :

ألم ترها بانتْ بغير وصيفةٍ إذا ما الغواني صاحَبَتْها الوصائفُ (٣)

الإيلاء

عرف العرب قبل الإسلام الإيلاء ، وذلك بهجر الرجل زوجته لفترة طويلة ، ولم تكن للإيلاء فترة محددة ، فلما ظهر الإسلام ، حدد فترة الإيلاء بأربعة أشهر ، فإن لم يعد الزوج تطلق زوجته منه قال تعالى : " للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤوا فإن الله غفور رحيم . وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ." (٤) .

الخلع

الخلع هو افتداء المرأة نفسها من زوجها بمال مقابل طلاقها ، ويبدو أن الخلع كان معروفا عند العرب قبل الإسلام ، إذ يرد أن أول خلع كان هو خلع ابنة عامر بن الظرب نفسها من ابن عمها عامر بن الحارث (٥) ، وكذلك كانت أم خارجة تكثر الاختلاع من الرجال ولا تلبث أن تتزوج (٦) .

---

(١) الزبير ــ الأخبار ، ص ٤٣٠ ، القالي ــ الأمالي ، ج ٣ ، ص ١٥٣ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٣٨٧ ، ابن سعيد ــ نشوة ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .
(٢) الزبير ــ الأخبار ، ص ٤٣١ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٣٨٧ .
(٣) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٦ ، ص ١٥٤ .
(٤) سورة البقرة ، الآيات ٢٢٦ ــ ٢٢٧ .
(٥) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٤ ، ص ١٢٠ .
(٦) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٩٨ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٣٣٠ ، انظر أيضا حول الخلع : جواد علي ــ المفصل ، ج ٤ ، ص ٦٣٦ ، الحوفي ــ المرأة ، ص ١٤ .

الظهار

ويتم الظهار بأن يقول الزوج لزوجته : " أنت علي كظهر أمي أو أختي أو كبطنها أو كفخذها " ([١]) ، يبدو أن الاعتقاد السائد أن الظهار يحرم الزوجة على زوجها مؤبدا كما حدث مع خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت ([٢]) ، حتى نزل قوله تعالى : " الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا إن الله لعفو غفور . والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم . " ([٣]) .

العدة

لا يبدو أنه كان هناك عدة معينة للطلاق ، فقد ولدت بعض النساء من أزواجهن الأولين ، وهن في عصمة الآخرين ([٤]) .

أما المرأة المتوفى عنها زوجها ، فقد كانت عدتها لمدة عام ، وهي فترة حدادها على زوجها ([٥]) .

الحمل والولادة

كان لدى العرب عدة اعتقادات فيما يتعلق بالحمل والولادة ، ومن ذلك اعتقادهم أن المرأة إذا وطأت (داست) رئيسا قتل غدرا فإنه يحفظ حملهن وأولادهن ، وتدعى النساء اللواتي يفعلن ذلك المقاليت ، قال بشر بن أبي خازم الأسدي :

([١]) البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ٢٠٢٧ ، الطبري ــ جامع ، ج ٢١ ، ص ١١٨ .
([٢]) الطبري ــ جامع ، ج ٢١ ، ص ١١٨ ، انظر أيضا حول الظهار : الحوفي ــ المرأة ، ص ٢١٢ .
([٣]) سورة المجادلة ، الآيات ١٩ ــ ٤٩ .
([٤]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٣٨ ، انظر أيضا حول العدة : الحوفي ــ المرأة ، ص ٢٢١ .
([٥]) النويري ــ نهاية ، ج ٣ ، ص ١٢٠ ، الأعشى ــ صبح ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .

تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن ألا يلقى على المرء مئزر (١)

وقد يصاحب الزواج عدة شروط تتعلق بالحمل والولادة ، ومن ذلك أنه اشترط عمرو بن زيد بن لبيد النجاري على هاشم بن عبد مناف عندما زوجه ابنته سلمى ألا تلد إلا في يثرب عند أهلها (٢) .

وقد سموا الأولاد المولودين من أب شاب ربعيون ، والأولاد المولودين من أب هرم صيفيون (٣) .

ومن العادات المتعلقة بالرضاعة هو تخصيص مرضعة للطفل خصوصا عند أهل المدن حيث كانوا يفضلون استرضاع أولادهم في البادية ، ومن الأمثلة على ذلك استرضاع النبي في بني سعد (٤) .

أما فيما يتعلق بتسمية الأبناء ، فكان من العدة عند بعضهم تسمية الابن باسم أول حيوان يلقاه ، أو أول ما يسمع من الطير وذلك بسبب التفاؤل (٥) ، إلا أن هذا لم يكن قاعدة عامة ، فالأسماء العربية التي تدل على حيوانات قليلة مع غيرها من الأسماء .

ولم يكن غريبا تسمية الذكور بأسماء مؤنثة مثل أسامة وأسماء وأمية وثعلبة وخزيمة وربيعة وهند وتسمية الإناث بأسماء مذكرة مثل عصام (٦) .

ومن عادات التهنئة عند العرب قبل الإسلام أنه إذا رزق الرجل ابنة يقولون له : " هنيئا لك النافجة (المكثرة مالك) " (٧) ، وهذا يدل على أن الأب كان يستولي على مهر ابنته عند زواجها .

---

(١) بشر ــ ديوان ، ص ٨٨ ، القلقشندي ــ صبح ، ج ١ ، ص ٤٠٦ .
(٢) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٦٤ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٤٧ ــ ٢٤٨ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ١٠ .
(٣) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٣ ، ص ٣٩ ، الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ١٤ .
(٤) الحلبي ــ إنسان ، ج ١ ، ص ٩٧ .
(٥) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ١ ، ص ٣٢٤ .
(٦) الميداني ــ مجمع ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ .
(٧) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ .

وكان من الشائع كراهية البنات إلا أن بعض العرب كان يحب البنات ، قال معن بن أوس المزني :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم وفيهن   لا تُكَذّب نساء صوالح

وفيهن والأيام تعثر بالفتى   نوادب لا يمللنه ونوائح ([١])

الوراثة

من قواعد الوراثة عند العرب قبل الإسلام أنه لا تورث الجواري ولا الصغار من الغلمان ، ولا النساء ، بل كان يرث من أطاق القتال أي يخصون بذلك المقاتلة دون الذرية ([٢]) ، فقد كانوا يورثون كل من حاز الغنيمة وقاتل على ظهور الخيل ([٣]) ، فالرجال أصحاب الحق في الإرث دون النساء والأطفال لأنهم هم الغارمون ([٤]) .

إلا أن هذا لا يعني عدم توريث النساء مطلقا ، فهناك نساء ثريات مثل خديجة بنت خويلد ([٥]) وأسماء بنت مخرمة أم عبد الله بن أبي ربيعة ([٦]) ، ويبدو أنهن ورثن أموالهن عن أزواجهن أو آبائهن .

ويبدو أن فكرة للذكر مثل حظ الأنثيين التي جاء بها الإسلام كانت موجودة عند العرب قبل الإسلام ، فقد أفتى عامر بن جشم بن حبيب ذي المجاسد اليشكري بتوريث البنات على أن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين ([٧]) .

إلا أنه لا يبدو أن هناك قاعدة ثابتة عند العرب قبل الإسلام تتعلق بالميراث ، فقد انتقل ميراث زوج أم كحة إلى أخيه ([٨]) ، بينما ورثت ابنة عم جابر عن أبيها فكان جابر

([١]) معن ــ ديوان ، ص ٨٥ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٢ ، ص ٥٥ ، الثعالبي ــ اللطائف ، ص ٦٧ .
([٢]) ابن الأثير ــ جامع ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ .
([٣]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٢٤ ، ابن الأثير ــ جامع ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ .
([٤]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٣٢٤ ، ابن الأثير ــ جامع ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ .
([٥]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٢٦ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ٣٩ .
([٦]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١ ، ص ٦٤ ــ ٦٥ .
([٧]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٣٦ ، ٣٢٤ ، ابن حزم ــ جمهرة ، ص ٣٠٨ .
([٨]) الطبري ــ جامع ، ج ٤ ، ص ٢٦٢ ، ابن كثير ــ تفسير ، ج ١ ، ص ٤٥٥ .

يرغب عن نكاحها لكونها عمياء دميمة ، ولا ينكحها ([1]) ، وهذا يدل على تباين في قواعد الوراثة عند العرب قبل الإسلام .

الكنية

يكنى الرجل عادة باسم أكبر أبنائه الذكور ، إلا أن البعض كانوا يكنون بأسماء الإناث ، رغم وجود أبناء ذكور لهم ، فكان حاتم الطائي يكنى أبا سفانة إلى جانب كنيته أبي عدي ([2]) . ويبدو أن ذلك يعود لكون سفانة أكبر من عدي مما أدى إلى اشتهاره بذلك قبل مولد ابنه عدي ، وتكنى أبو لبابة الأنصاري باسم ابنته ([3]) .

النسب

ينتسب الشخص عادة إلى أبيه ، إلا أنه قد ينسب إلى أمه مثل المنذر بن ماء السماء (ملك الحيرة) ([4]) ، وعمرو بن هند (ملك الحيرة) ([5]) .

وعرف سهيل بن وهب بأمه فدعي سهل بن بيضاء ([6]) ونسب جعونة بن شعوب باسم أمه شعوب ([7]) وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن بحينة ([8]) وابن أم مكتوم ([9])

ونسب قيس بن الحدادية إلى أمه الحدادية ([10]) ، ونسب الأشهب بن رميلة إلى أمه رميلة ([11]) .

أوضاع المرأة

يتضح من الروايات أن المرأة الحرة قبل الإسلام كانت تتمتع بحق الملكية ، ومن

([1]) الطبري ــ جامع ، ج ٥ ، ص ٣٠٠ ــ ٣٠١ .
([2]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ .
([3]) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٣٢٥ .
([4]) أبو الفداء ــ مختصر ، ج ١ ، ص ٧١ .
([5]) ابن سعيد ــ نشوة ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .
([6]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٤ ، ص ٢١٣ .
([7]) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٦١ .
([8]) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٣٢٥ .
([9]) المصدر نفسه ، ص ٥٩٧ .
([10]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٤ ، ص ١٤٥ .
([11]) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٢٦٩ .

الأمثلة على ذلك الروايات التالية :

يقول حاتم الطائي مخاطبا زوجته :

ذريني ومالي إن مالك وافر   وكل امرئ جار على ما تعودا (١)

حيث يشير إلى وجود مال خاص بزوجته ، أي تمتعها بحق الملكية .

وكانت خديجة بنت خويلد من أكثر قريش مالا (٢) ، فقد أعطت حليمة السعدية أربعين شاة وبعيرا (٣) ، وهذا يدل على امتلاكها الكثير من الغنم والإبل ، وقد أنفقت مالها على المسلمين وهم محاصرون في الشعب (٤) .

وكانت هند بنت صعصعة تملك صرمة (ما بين العشرين إلى الثلاثين) من الإبل (٥) .

وتورد الروايات أن عبد المطلب وابنه عبد الله مرا بامرأة من بني أسد ، وهي رقية أخت ورقة بن نوفل ، فلما نظرت إلى وجه عبد الله ، ورأت فيه من نور النبوة قالت له : " لك مثل الإبل التي نحرت عليك (مئة من الإبل) وقع علي الآن " (٦) ، وتنسب روايات أخرى حكاية مشابهة إلى فاطمة بنت مر الخثعمية التي كانت تملك إبلا كثيرة ، فقد قالت لعبد الله بن عبد المطلب حين مر بها وهي بمكة مع أبيه يريد أن يزوجه آمنة بنت وهب " هل لك أن تقع علي وأعطيك مئة من الإبل " (٧) .

وكانت سفانة بنت حاتم الطائي تملك المال وتجود به (٨) .

---

(١) حاتم ــ ديوان ، ص ٢٣٠ .
(٢) ابن إسحق ، ص ٦٠ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ١٣٠ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ١٣١ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٢ ، ص ١١٣ .
(٣) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٩٥ .
(٤) اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣١ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٣٦ .
(٥) أبو عبيدة ــ النقائض ، ص ١٦٤ ، ٧٠٦ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٢ ، ص ٥٦ .
(٦) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٦٤ .
(٧) الميداني ــ مجمع ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .
(٨) ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ١٦٥ ــ ١٦٦ .

وكانت غنية بنت عفيف أم حاتم الطائي ذات يسار ، وكانت من أسخى الناس ، ولا يسألها أحد شيئا إلا أعطته ، فلما رأى إخوتها ذلك حجروا عليها ومنعوها مالها ، ثم أخرجوها ودفعوا إليها صرمة من مالها [١] .

وكانت بنت مهلهل بن زيد الطائية أخت زيد الخيل الشاعر تملك مئة من الإبل [٢] .

كذلك كانت المرأة الحرة قبل الإسلام تتمتع بحق الوراثة ، إذ يرد أنه كان لضباعة بنت عامر بن قرط مال كثير ورثته عن زوجها هوذة بن علي الحنفي [٣] .

وبما أن المرأة الحرة قبل الإسلام كانت تتمتع بحق الملكية ، فليس من الغريب أن تعمل بالتجارة ، ومن الأمثلة على ذلك [٤] :

تذكر الروايات أن خديجة بنت خويلد كانت امرأة حازمة جلدة [٥] ، وكانت من أسرة تعمل بالتجارة [٦] ، وكانت تستأجر الرجال في مالها ، وتعطيهم مالها مضاربة على جزء من الربح [٧] ، حيث خرج الرسول قبل أن يتزوج بها في تجارة لها إلى الشام واليمن [٨] ، وتاجر لها ابن أخيها حكيم بن حزام إلى سوق عكاظ [٩] ، كما قام ميسرة غلام لخديجة بنت خويلد زوجة الرسول بالخروج في أعمالها التجارية إلى الشام [١٠] .

وتذكر الروايات أيضا أن عير قريش إلى الشام قبل معركة بدر كانت ألف بعير ، وكان فيها أموال عظام ، ولم يبق قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا إلا بعث به في العير ،

---

(١) ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ١٦٥ ــ ١٦٦ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٣٦٥ ــ ٣٦٦ ، القالي ــ الأمالي ، ج ٣ ، ص ٣ .
(٢) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٨ ، ص ١٥٣ .
(٣) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ١٥٣ ، المرزباني ــ أشعار ، ص ١٠٠ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ١٣ ، ص ٢٨ .
(٤) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ٣١١ ــ ٣١٢ .
(٥) ابن إسحق ــ المبتدأ ، ص ٦٠ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ .
(٦) ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ١٥٥ .
(٧) ابن إسحق ــ المبتدأ ، ص ٥٩ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢٠١ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .
(٨) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٩٩ ــ ٢٠١ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ج ٨ ، ص ١٦ ، ١٧ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٩٧ ، الماوردي ــ أدب ، ص ١٢٧ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ٨٠ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ ، ج ١٢ ، ص ٢١٣ ، ٢١٥ ، الحلبي ــ إنسان ، ج ١ ، ص ٢١٦ ــ ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
(٩) الذهبي ــ سير ، ج ٣ ، ص ٤٧ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٨٣ .
(١٠) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٨٧ ــ ١٨٨ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٢ ، ص ٣٩ ، المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ٨ .

حتى أن المرأة لتبعث بالشيء التافه ([1]) ، وهذا يدل على مساهمة المرأة القرشية في تجارة قومها .

وقد قدمت قيلة أم أنمار على الرسول وأخبرته أنها تاجرة تبيع وتشتري ([2]) ، وكانت فاطمة بنت مر الخثعمية تتاجر بالأدم ([3]) ، وكانت ذات النجيين تتاجر بالسمن ([4]) .

وعلى الرغم من أن الروايات السابقة تدل أن النساء كن يتاجرن بأموالهن في الوقت الذي يقوم بالعمل لديهن رجال ، إلا أن بعض الروايات توحي أن المرأة كانت تقوم بالتجارة بنفسها ، سواء أكانت التجارة داخلية أو خارجية ، حيث يرد أنه عندما عاد الرسول بتجارة خديجة من الشام باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا ([5]) ، ويرد أيضا أن أم قيس كانت تسافر للتجارة ومعها ستون ثورا تحمل الجبن والجوز ([6]) ، وكذلك يرد أن هند بنت عتبة خرجت إلى بلاد كلب فاشترت وباعت ([7]) ، وعادت بتجارة إلى المدينة ([8]) .

أما المواد التي تاجرت بها المرأة ، فمنها العطر ، حيث اشتهرت بذلك ، حيث يقول زهير بن أبي سلمى :

تداركتما عبسا وذبيان بعدما   تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم ([9])

ويقول الأعشى :

أراني وعمرا بيننا دق منشم   فلم أبق إلا أن أجن ويكلبا ([10])

ويقول النابغة الجعدي :

([1]) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٢٧ .
([2]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٣١١ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ٢٤٥ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٣٩٣ .
([3]) ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٥٣٣ .
([4]) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٢ ، ص ٤٥٦ .
([5]) ابن إسحق ، ص ٦٠ ، ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ١٥٥ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ٨٠ ، الذهبي ــ سير ، ج ٢ ، ص ١١٣ .
([6]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٤٩٦ .
([7]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٢١ ، ابن عساكر ــ تاريخ ، ص ٤٥٧ .
([8]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٢١ .
([9]) زهير ــ ديوان ، ص ١٥ .
([10]) الأعشى ــ ديوان ، ص ١١٧ ، ١٢٣ .

عفت بعد حي من سليم وعامر　　　تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم ([١])

وهي امرأة عطارة كانت تبيع الحنوط (عطر الموتى) ([٢]) ، حيث قيل في المثل : " أشأم من منشم "([٣]) ، وكانت أسماء بنت مخربة تتاجر بالعطر ، حيث كان ابنها عبد الله بن أبي ربيعة يرسل لها العطر من اليمن ([٤]) ، وكانت الحولاء بنت تويت تبيع العطر بالمدينة ، حتى اشتهرت بذلك ، حتى أن النبي عندما دخل بيته على عائشة ، وكانت الحولاء عندها قال : " إني لأجد ريح الحولاء "([٥]) ، ومليكة والدة السائب بن الأقرع كانت تبيع العطر ([٦]) .

وتاجرت المرأة أيضا بالمواد الغذائية ، حيث تاجرت أم قيس بالجبن والجوز ([٧]) ، وتاجرت أم زوجة عاصم بن عمر باللبن ([٨]) ، وتاجرت امرأة من خطمة بالتمر ، حيث عرفت باسم التمارة ، وكان لها مكان خاص تبيع به التمر ([٩]) .

وقد امتلكت المرأة الحرة قبل الإسلام الأرض الزراعية ومن الأمثلة على ذلك : عندما حاول خالد إعطاء هند الصغرى بنت النعمان بن المنذر مالا وكسوة ، قالت : " أنا في غنى عنه ، لي عبدان يزرعان مزرعة لي ، أتقوت بما يخرج منها "([١٠]) .

وعند قسمة أراضي خيبر خيرت أزواج النبي بين الضيعة أو الثمر ([١١]) (أي خيرن بين امتلاك الأرض أو الحصول على الناتج) ، وهذا يدل على تقبل فكرة امتلاك المرأة للأرض وزراعتها .

([١]) النابغة الجعدي ــ ديوان ، ص ١٣٩ .

([٢]) ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ٦١٣ ، الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ٣٨١ ــ ٣٨٢ ، البغدادي ــ خزانة ، ج ٣ ، ص ٧ ــ ٨ ، ج ١١ ، ص ٢٦ ، ٣٠ ــ ٣١ .

([٣]) الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ٣٨١ .

([٤]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٣٠٠ ــ ٣٠١ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١ ، ص ٦٤ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ١٠٧ ، الذهبي ــ سير ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ١٢ ، ص ١١٨ ــ ١١٩ ، ج ١٣ ، ص ١٣٧ .

([٥]) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٥ ، ص ٤٣٢ ، ج ٧ ، ص ٧٦ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ ، ج ١٢ ، ص ٢٠٧ .

([٦]) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٤١١ .

([٧]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٤٩٦ .

([٨]) ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٥٣٦ ، ٥٣٧ .

([٩]) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥ .

([١٠]) ياقوت ــ معجم ، مادة دير هند الصغرى ، ج ٢ ، ص ٥٤١ ــ ٥٤٢ .

([١١]) البلاذري ــ فتوح ، ص ٣٨ .

وورد أيضا أن الرسول قدم ومعه علي بن أبي طالب على بيت أم المنذر بنت قيس العدوية ، وهي إحدى خالات الرسول ، فأكلا من عنب الدوالي المعلقة في بيتها ([١]) .

وتشير روايات أخرى إلى مساهمة المرأة بصورة فعالة في العمل الزراعي في أرضها أو أرض زوجها ، فقد قالت أسماء بنت أبي بكر : " كنت أنقل النوى من أرض الزبير (زوجها) التي أقطعه رسول الله على رأسي ، وهي على ثلثي فرسخ " ([٢]) .

وورد في الحديث أن النبي دخل على أم مبشر الأنصارية في نخل لها فقال : " لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة " ([٣]) .

وكذلك ورد في الحديث أن جابر ابن عبد الله قال : " طلقت خالتي فأرادت أن تجد (تقطع الثمار) فزجرها رجل أن تخرج ، فأتت النبي ، فقال : " بل فجدي نخلك ، فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفا " ([٤]) .

وقد أوصى أبو الدرداء زوجته أم الدرداء أن تتبع الحصادين وتأخذ ما يسقط منهم فتطحنه وتعجنه وتأكله ([٥]) .

وقد امتلكت المرأة الحرة الماشية وعملت على تربيتها ، فعندما أسلمت هند بنت عتبة بعثت للرسول هدية مع جارية لها جديين واعتذرت الجارية نيابة عن مولاتها عن قلة ولادة الأغنام في تلك الفترة ([٦]) ، وكانت أم معبد عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة تمتلك أغناما ([٧]) ، وقد وزع الرسول على نسائه لقائح (إبل) بالغابة (منطقة مراع قريبة من المدينة)

([١]) ابن سعد ــ الطبقات ٤٢٢ ، ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٦٢ .
([٢]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٢٥٠ .
([٣]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٤٥٨ ، مسلم ــ صحيح ، ج ١ ، ص ٤٥٨ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ٣٩١ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٤٩٥ .
([٤]) مسلم ــ صحيح ، ج ٢ ، ص ١١٢١ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ٢٧٨ .
([٥]) ابن عساكر ــ تاريخ ، ص ٤٢٦ ، المالقي ــ الحدائق ، ج ٣ ، ص ٤٨ ، الذهبي ــ سير ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ .
([٦]) الواقدي ــ المغازي ، ج ٢ ، ص ٨٦٨ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٣٥٧ .
([٧]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٢٣٠ ، ج ٨ ، ص ٢٨٨ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٣٦٢ ، ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ٤ ، ص ١٨٧٦ ، ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، ١٧٩ .

(١) ، وكان للربداء بنت عمرو بن عمارة بن عطية البلوية ، غنم يرعاها لها مولاها أبو الرمداء (٢) ، وكان لزينب بنت الرسول عدد من الأغنام يرعى بها راع لزوجها أبي العاص (٣) ، وأرسلت أم عبد الله بنت أوس الأنصارية أخت شداد بن أوس إلى النبي بقدح لبن عند فطره وكان صائما وذلك في يوم شديد الحرارة وطويل فسألها الرسول عن مصدره فقالت له : " إنها من شاة اشترتها من مالها " (٤) .

أدى امتلاك الماشية عند النساء إلى عمل النساء بتجارة منتجات هذه الماشية مثل التجارة باللبن (٥) .

يلاحظ من الأمثلة السابقة أن المرأة كانت تمتلك الماشية ، وتستأجر لها الرعاة ، إلا أنه قد وجدت نساء كن يقمن برعي الماشية بأنفسهن ، ومن الأمثلة على ذلك سلامة بنت الحر الأسدية التي كانت ترعى غنمها وغنم أهلها (٦) .

ولم تكن النظرة الاجتماعية لعمل النساء في الرعي جيدة ، حيث يأخذ أكثم بن صيفي على بني تميم أن ترعى بناتهم حيث قال لهم : " وأنتم قوم قد شاع في الناس أمركم ، وإنما كان قوامكم : أسيفا وعسيفا (العبد والأجير) ، وصرتم اليوم إنما ترعى لكم بناتكم " (٧) .

ومن مجالات عمل المرأة صناعة الرماح حيث اشتهرت ردينة بصناعة الرماح في خط هجر (في البحرين شرق الجزيرة العربية) (٨) ، فنسبت إليها .

وقد اشتغلت بعض الحرائر بمهنة التزيين والتمشيط ، فقد كانت أم سليم بنت ملحان

وأم

---

(١) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥١٣ .
(٢) ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ٤ ، ص ١٦٥٨ ، ١٨٣٦ .
(٣) ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ١٢٣ .
(٤) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٤٧١ .
(٥) ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ٤ ، ص ١٨٦٠ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ١٤٥ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٣٣٠ .
(٦) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٢٥٠ .
(٧) أبو عبيدة ــ أيام ، ج ١ ، ص ٤٣١ .
(٨) ياقوت ــ معجم ، مادة الخط ، ج ٢ ، ص ٣٧٨ ، مادة هجر ، ج ٥ ، ص ٣٩٣ .

سنان الأسلمية (١) ، وأسماء بنت يزيد بن السكن (٢) يقمن بتزيين العرائس ، وكانت بسرة بنت صفوان بن نوفل القرشية الأسدية ماشطة تقوم بتزيين النساء ومشطهن في مكة (٣) ، وكذلك آمنة بنت عفان أخت عثمان (٤) .

ومن مجالات العمل التزيين بالوشم ، حيث اشتهرت عدة نساء بالعمل بالوشم (٥) .

وعملت بعض الحرائر بالقبالة فقد كانت أم أنمار قابلة بمكة (٦) ، وكانت سوداء بنت مسرج الكندية قابلة لفاطمة بنت الرسول (٧) .

وعملت بعض الحرائر بالختان ، فقد كانت أم عطية الأنصارية خافضة تخفض النساء في المدينة (٨) ، ويلفت الانتباه في هذه الرواية ذكر خفض النساء ، وهذا يوحي أن عملية ختان النساء كانت تتم بعد البلوغ .

ويبدو أن النظرة الاجتماعية للخاتنات لم تكن جيدة ، فقد عاب حمزة بن عبد المطلب سباع بن عبد العزى الغبشاني بأن أمه خاتنة (٩) .

وعملت بعض الحرائر بالغناء فكانت زينب الأنصارية في يثرب تغني في الأعراس (١٠) .

وعملت بعض الحرائر بالخدمة في البيوت ، فقد كانت ميمونة بنت سعد تخدم النبي (١١) ، وكانت أسماء بنت عميس تخدم فاطمة بنت الرسول (١٢) ، وكانت أم حبيبة بنت أبي

---

(١) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٣ ، ص ٣٥٤ ، الذهبي ــ سير ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٣٤٧ ، ٤٦٣ .

(٢) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ١٣ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٤٧ .

(٣) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٥٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ١٢ ، ص ١٠٥ .

(٥) البخاري ــ صحيح ، ج ٧ ، ص ٦٤ .

(٦) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١٧٥ ، ٣٢٢ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٤ ، ص ٣٠٨ .

(٧) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٢١٢ ، ٢٢٧ ، ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ص ٥٤ ، ٨٤ ، ١٨٦٢ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ١٥٦ .

(٨) الجاحظ ــ البيان ، ج ٢ ، ص ٢١ ، الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٧ ، ص ٢٨ ، أبو داود ــ السنن ، ج ٥ ، ص ٤٢١ ، ابن الجوزي ــ أحكام ، ص ٩ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ٣٦٧ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٤٧٧ .

(٩) الواقدي ــ المغازي ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ١٢٨ ، البلاذري ــ فتوح ، ص ٧٠ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥١٦ ــ ٥١٧ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٥ ، ص ١٩٤ .

(١٠) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٣٢٠ .

(١١) ابن خياط ــ الطبقات ، ج ٥ ، ص ٨٦٢ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٧٢ .

(١٢) اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١١٥ ، الصفدي ــ الوافي ، ج ٩ ، ص ٥٣ .

سفيان تخدم عائشة (١) ، وكان لعثمان بن عفان خادمة (٢) وكانت زينب خادمة لأم سيليم امرأة أبي طلحة (٣) .

ومن مجالات عمل المرأة الحرة الإرضاع ، فقد كانت حليمة السعدية مرضعة للرسول (٤) ، وأرضعت أيضا أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم (٥) ، وقد استرضع حمزة بن عبد المطلب (٦) وعبد الله بن عمرو بن وقدان (٧) وعبيد الله بن عدي بن الخيار (٨) أيضا في بني سعد بن بكر ، ويلاحظ أن قبيلة سعد بن بكر كانت مشهورة بالإرضاع ، خصوصا لقريش ، إلا أن قريشا لم تقتصر على الرضاعة في بني سعد بن بكر ، فقد رضع مروان بن الحكم في ثقيف ، حيث أرضعته فاطمة الثقفية (٩) .

وكذلك كانت خديجة بنت خويلد تختار المرضع المناسبة لأولادها قبل أن تضع حملها (١٠) ، واتخذ الرسول عدة مرضعات لابنه إبراهيم (١١) ، فقد أرضعته خولة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن النجار أم بردة زوجة البراء بن أوس (١٢) ، وأم سيف زوجة أبي سيف القين (١٣) .

---

(١) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٨٥ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٣٢٠ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٤٠٦ .
(٤) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ١١١ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٠ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٩٣ ، ابن قتيبة ــ المعارف ، ص ١٢٦ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، المسعودي ــ التنبيه ، ص ١٩٦ ، ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ص ١٨١٣ ، ابن قيم الجوزية ــ أخبار ، ج ١ ، ص ١٩ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ١٢ ، ص ١٧٠ ، ٢٠٠ ، الحلبي ــ إنسان ، ج ١ ، ص ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٤ .
(٥) ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ٤ ، ص ١٦٧٣ .
(٦) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ١٠٩ .
(٧) ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ٣ ، ص ٩٥٩ .
(٨) الذهبي ــ سير ، ج ١ ، ص ١٧٤ .
(٩) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٥ ، ص ٣٧ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٨١ .
(١٠) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٨٢ .
(١١) ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ١١٣ .
(١٢) الطبري ــ تاريخ ، ج ٣ ، ص ٩٥ ، ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ١ ، ص ٥٥ ، ج ٤ ، ص ١٨٣٣ .
(١٣) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ١١٣٤ .

ويبدو أن عادة الإرضاع كانت منتشرة بشكل كبير ([١]) ، ويبدو أن ذلك يعود لوجود فكرة أن الرضاعة في غير القبيلة يكون أنجب للولد ، كما يرون أنه عار على المرأة أن تستقل برضاعة ابنها ([٢]) ، ويطلق على المرضعة اسم الظئر .

إلا أنه يبدو أن النظرة الاجتماعية للمرضع لم تكن جيدة ، كما يوحي بذلك المثل " تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها " ([٣]) .

ومن مجالات عمل المرأة الحرة الحضانة ، فقد كانت حليمة السعدية وابنتها الشيماء حاضنتين للرسول عندما كان في بني سعد ([٤]) ، وبعد وفاة خديجة أصبحت سودة بنت زمعة حاضنة لأولاد الرسول ([٥]) ، وقد تسمى الحاضنة الداية ([٦]) .

ويبدو أن النظرة الاجتماعية للحاضنة كانت غير جيدة فعندما افتخر حاجب بن زرارة بأنهم حضان الملوك عابه الناس وقالوا : " ما رأينا من يفتخر بالمعايب غيره " ([٧]) .

ومن مجالات عمل المرأة الحرة التمريض ، حيث أطلق عليهن في الشعر اسم الأواسي ، قال قيس بن الخطيم :

يهون علي أن ترد جراحه   عيون الأواسي إذا حمدت بلاءها ([٨])

وممن عملن بهذه المهنة حليمة بنت فضالة بن كلدة التي مرضت أوس بن حجر عندما سقط من فوق ناقته ([٩]) ، وأم ربيعة بن مكدم التي مرضت ابنها عندما طعن يوم الكديد ([١٠]) ،

([١]) الذهبي ــ سير ، ج ١ ، ص ٣١٣ .
([٢]) الحلبي ــ إنسان ، ج ١ ، ص ١٤٦ .
([٣]) العسكري ــ أمثال ، ج ١ ، ص ١٨٢ ، الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ١٢٢ .
([٤]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ١١٠ ، ١١١ .
([٥]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٧٠ ، ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٥٩ ، ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٨٠ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٧ ، ابن حزم ــ جمهرة ، ص ١٩٨ ، ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ص ١٨١٠ ، السهيلي ــ الروض ، ج ١ ، ص ٢٤ ، ابن قيم الجوزية ــ أخبار ، ج ١ ، ص ١٩ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ١٣ ، ص ٩ ــ ١٠ .
([٦]) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ١٨ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ .
([٧]) الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ١٨٢ .
([٨]) قيس ــ ديوان ، ص ٤٨ .
([٩]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١١ ، ص ٧٢ .
([١٠]) المصدر نفسه ، ج ١٦ ، ص ٥٧ .

ورفيدة الأسلمية أو الأنصارية ([١]) ، أو كعيبة ([٢]) ، وربيع بنت معوذ ([٣]) .

ويرتبط بمهنة التمريض مهنة الرقية ، فقد عملت بها الشفاء بنت عبد الله العدوية ([٤]) وخالدة بنت أنس الأنصارية ([٥]) .

ومن مجالات العمل الأخرى للمرأة الحرة الكهانة ، حيث اشتهرت هذيم كاهنة بني سعد بمشارف الشام ([٦]) وعرافة الحجاز ([٧]) وطريفة الكاهنة ([٨]) وسجاح بنت الحارث التميمية ([٩]) وزرقاء اليمامة ورقاش الطائية ورقية بنت نوفل وزبراء الكاهنة وسلمى الهمدانية وسودة بنت زهرة والشعثاء والغيطلة وفاطمة بنت مر الخثعمية ومهدد ([١٠]) وسراء بنت نبهان الغنوية وكانت " ربة بيت " ([١١]) ، ويلاحظ أن من عملن بالكهانة كن من الحرائر ، كما أن الكهانة مكنتهن من امتلاك ثروات طائلة مثل رقية بنت نوفل وفاطمة بنت مر ، وتمكنت بعضهن من الوصول إلى سيادة قبائلهن ، مثل سجاح التميمية .

الوأد

يفسر ابن منظور الوأد بأنه دفن البنت في القبر وهي حية ، وتسمى البنت المدفونة وهي حية وئيد أو وئيدة أو موؤودة ([١٢]) .

وهنا يلاحظ أن لفظة الوأد لا تطلق إلا على القتل عن طريق الدفن في حالة الحياة ، ويلاحظ بصورة عامة وقوعها على البنات .

([١]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
([٢]) الواقدي ــ المغازي ، ج ٢ ، ص ٥١١ .
([٣]) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ١٤٢ .
([٤]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٨٤ ، البلاذري ــ فتوح ، ص ٦٦١ ، ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ص ١٨٦٩ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٥ ، ص ٤٨٧ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ١٣ ، ص ٥ ــ ٦ .
([٥]) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٥ ، ص ٤٣٣ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ١٢ ، ص ٢١١ .
([٦]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٥٢ ــ ١٥٣ ، اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .
([٧]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٦٢ ١٦٤ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ ، السهيلي ــ الروض ، ج ١ ، ص ١٧٧ .
([٨]) المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ــ ١٨٨ ، السهيلي ــ الروض ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
([٩]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢١ ، ص ٣٢ ، الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ٣٢٦ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ١٢ ، ص ٣٢٦ .
([١٠]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢١ ، ص ٣٢ ، الميداني ــ مجمع ، ج ١ ، ص ٣٢٦ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ١٢ ، ص ٣٢٦ .
([١١]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٣١٠ .
([١٢]) ابن منظور ــ لسان ، مادة وأد ، المرتضى ــ تاج ، مادة وأد .

إلا أن ابن منظور يورد أن بعض العرب كانوا يئدون البنين عند المجاعة (الوأد لسبب اقتصادي) ، ويذكر أيضا أن بعض القبائل مثل كندة كانت تقتصر في الوأد على البنات مخافة العار (الوأد لسبب اجتماعي) ([١]) .

وهنا يلاحظ أن الوأد لسبب اقتصادي يقع على الذكر والأنثى ، أما الوأد لسبب اجتماعي فيقع على الأنثى فقط .

وفي القرآن الكريم هناك آيات تتحدث عن قتل الأولاد ، قال تعالى : " وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون ([٢]) ، وقال تعالى : " قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا يهتدون " ([٣]) .

وفي هاتين الآيتين القرآنيتين يرد النص القرآني قتل الأولاد دون تحديد جنس معين ، ودون تحديد طريقة القتل ، إلا أن المفسرين فسروا قتل الأولاد هنا بوأد البنات ([٤]) .

ويلاحظ أيضا أن القرآن يعطي تفسيرا لقتل الأولاد ، وهو تزيين شركائهم لهم ذلك ، حيث يفسرها المفسرون بأنها أمر الشياطين التي كانوا يعبدونها ، وهنا يلاحظ أن سبب الوأد ديني .

وقد حصر الطبري الوأد هنا في ربيعة ومضر ، كما أن الطبري يتحدث أنه كان لديهم نظام معين في الوأد (استحياء جارية ووأد أخرى) ، ويذكر أن الذي كان يصدر أمر الوأد هو الأب ، بينما كانت الأم هي التي تقوم بالتنفيذ ، ويذكر أيضا أن الوأد كان يسبق بعملية وداع للموؤودة من قبل النساء ([٥]) .

---

(١) ابن منظور ــ لسان ، مادة وأد ، المرتضى ــ تاج ، مادة وأد .
(٢) سورة الأنعام ، الآية ، ١٣٧ .
(٣) سورة الأنعام ، الاية ، ١٤٠ .
(٤) الطبري ــ جامع ، ج ٨ ، ص ٤٠ ــ ٥١ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص ٤٠ ــ ٥١ .

وفي آية أخرى يتحدث القرآن عن سبب آخر للوأد وهو السبب الاقتصادي (الفقر والإملاق) ، قال تعالى : " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون " ([1]) ، وقال تعالى : " ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا " ([2]) .

وعلى الرغم من أن السبب للوأد هنا اقتصادي ، إلا أن المفسرين يفسرون سبب الوأد هنا أيضا بأنه ناتج عن أمر الشياطين (سبب ديني) ([3]) .

ويلاحظ فيما يتعلق بالسبب الاقتصادي للوأد أن السبب إما أن يكون الفقر الواقع فعلا ([4]) ، أو الفقر المتوقع ([5]) .

وعلى الرغم من أن الآيات السابقة تتحدث عن قتل الأولاد بصورة عامة ، إلا أن آيات أخرى تخصص الحديث عن البنات ، قال تعالى : " ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقهم الله تالله لتسئلن عما كنتم تفترون . ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون . وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون " ([6]) .

وهنا يلاحظ أن القرآن الكريم يحدد طريقة القتل بالدفن (الدس في التراب) ، ويفسر المفسرون سبب الوأد هنا بأنه نسبة البنات إلى الله (إلحاق البنات بالله بدفنهن) ([7]) ، فالسبب هنا ديني ، ويتكرر إيراد هذا السبب في آيات أخرى في القرآن الكريم ([1]) .

([1]) سورة الأنعام ، الاية ١٥١ .
([2]) سرة الإسراء ، الاية ٣١ .
([3]) الطبري ــ جامع ، ج ٨ ، ص ٨١ ــ ٨٤ ، ابن كثير ــ تفسير ، ج ٢ ، ص ١٨٠ ، ١٨٨ .
([4]) الطبري ــ جامع ، ج ٨ ، ص ٨١ ــ ٨٤ .
([5]) المصدر نفسه ، ج ١٥ ، ص ٧٨ ــ ٨٠ .
([6]) سورة النحل ، الايات ٥٦ ــ ٥٩ .
([7]) الطبري ــ جامع ، ج ١٤ ، ص ١٢٢ ــ ١٢٤ .

وجميع الايات السابقة تتحدث عن قتل الأولاد أو الدس في التراب ، إلا أن آية واحدة تستخدم لفظة الوأد ، قال تعالى : " وإذا الموؤودة سئلت . بأي ذنب قتلت " ([٢]) ، إلا أن هذه الاية لا تفسر سبب حدوث الوأد ([٣]) .

ويحاول القرطبي تفسير اشتقاق كلمة الوأد ، حيث يرى أنها مشتقة من الوأد أي الثقل ، حيث يثقل الوائد الموؤودة نتيجة ما يطرحه عليها من التراب ([٤]) .

ويعطي القرطبي ثلاثة أسباب للوأد :

١ ــ اعتقادهم أن الملائكة بنات الله ، فيلحقون البنات به (سبب ديني) ([٥]) ، ويحصر القرطبي القبائل التي كانت تئد لهذا السبب في خزاعة وكنانة ([٦]) .

٢ ــ مخافة الحاجة والإملاق (سبب اقتصادي) .

٣ ــ خوفا من السبي والاسترقاق (سبب اجتماعي) ، ويجعله القرطبي في خزاعة ومضر خصوصا تميم ([٧]) .

ويلاحظ أن الوأد الديني والوأد الاجتماعي كانا يقعان عل الإناث فقط ، بعكس الوأد الاقتصادي الذي كان يقع على الذكور والإناث .

إلا أن القرطبي يورد ملاحظة ، وهي أن ذوي الشرف كانوا يمتنعون من هذا ، ويورد صعصعة بن ناجية التميمي كمثال على ذلك ([٨]) .

([١]) سورة الإسراء ، الايات ٣٩ ــ ٤٠ ، سورة الصافات ، الايات ١٤٩ ــ ١٥٤ ، سورة الزخرف ، الايات ١٥ ــ ١٩ ، سورة الطور ، الاية ٣٩ ، سورة النجم ، الايات ١٩ ــ ٢٧ ، وانظر تفسير هذه الايات في : الطبري ــ جامع ، ج ٥ ، ص ١٩٠ ، ، ج ٢٣ ، ص ١٠٤ ــ ١٠٧ ، ج ٢٥ ، ص ٥٥ ــ ٥٨ ، ج ٢٧ ، ص ٣٤ ، ٥٨ ــ ٦٣ .
([٢]) سورة التكوير ، الايات ٨ ــ ٩ .
([٣]) الطبري ــ جامع ، ج ٣٠ ، ص ٧٠ ــ ٧٢ .
([٤]) القرطبي ــ تفسير ، ج ١٩ ، ص ٢٣٠ .
([٥]) انظر أيضا : القاسمي ــ تفسير ، ص ٣٣٢ .
([٦]) القرطبي ــ تفسير ، ج ١ ، ص ١١٦ .
([٧]) المصدر نفسه ، ج ١٠ ، ص ١١٧ .
([٨]) المصدر نفسه ، ج ١٩ ، ص ٢٣١ .

ويصف القرطبي كيفية حدوث الوأد ، حيث تقوم بالوأد الأم ، ويتم الوأد مباشرة بعد الولادة مباشرة ، حيث يتم حفر حفرة ، وتتمخض المرأة على رأسها ، فإذا كانت أنثى رمي بها في الحفرة ووضع التراب عليها ، أما إذا كان ذكرا فيبقى حيا .

وعلى الرغم من أن هذه الرواية توحي أن الوأد كان يتم مباشرة بعد الولادة ، إلا أن الخازن يورد روايات أن الوأد كان يتم عند البلوغ ([١]) ، حيث يسبق ذلك تطييب المؤودة وتزيينها ، ثم يأخذها أبوها إلى بئر في الصحراء ، حيث يدفعها في البئر من ورائها ويهيل عليها التراب .

إن السبب الأشد احتمالا للوأد في هذه الحالة هو خشية العار ، إذ إذا كان الدافع اقتصاديا ، لماذا يبقيها عنده هذه المدة الطويلة ، وفي هذه الفترة تكون مستهلكة اقتصاديا ليدفنها عند البلوغ .

ويورد الخازن رواية يبدو أنها تنطبق على القبائل البدوية ([٢]) ، حيث يذكر أنهم كانوا إذا لم يئدوا البنت وأبقوها حية ، تلبس جبة صوف أو شعر ، وتترك ترعى الإبل والغنم في البادية (الاستفادة من البنت اقتصاديا) .

إلا أن القرطبي يورد عن النبي رواية أن المرأة التي تقتل ولدها تأتي يوم القيامة متعلقا ولدها بثدييها ملطخا بدمائه ([٣]) ، وهنا يلاحظ أن الحديث عن الولد (ذكر أو أنثى) ، وعن قتل ، وليس عن دفن ، فهو قتل فيه دم ، وليس دفنا خاليا من إراقة الدم ، وهذا يدل أن الوأد (الدفن) لم يكن الطريقة الوحيدة لقتل الأولاد ، وأن القتل كان يشمل الجنسين .

وفي الحديث هناك نهي عن قتل الأولاد بصورة عامة (ليس البنات فقط) ، فقد قال الرسول عندما سئل عن أعظم الذنوب أن منها " أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك " ([٤]) .

([١]) الخازن ــ تفسير ، ج ٤ ، ص ٣٥٦ .
([٢]) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٣٥٦ .
([٣]) القرطبي ــ تفسير ، ج ١٩ ، ص ٢٣١ ــ ٢٣٢ .
([٤]) البخاري ــ صحيح ، ج ٦ ، ص ٦ ــ ٧ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٤٤٨ .

ومن خلال الحديث يمكن ملاحظة أن التسمية التي أطلقها الرسول هي قتل الولد وليس الوأد ، ولا يميز الحديث بين الذكر والأنثى (تقتل ولدك) ، وسبب قتل الولد في هذه الحالة هو الفقر (تخاف أن يطعم معك) ، كما يلاحظ أن القاتل هو الأب .

إلا أن أحاديث أخرى تعطي أهمية كبرى للعناية بالبنت فقط ([١]) ، وهذا يدل على أن البنت لم تكن تنال عناية كبيرة مقارنة بالابن مما يوحي أن الوأد كان يقع عليها أكثر من وقوعه على الابن .

يورد ابن إسحق أن زيد بن عمرو بن نفيل كان ينهى عن قتل الموؤودة ([٢]) ، ويورد ابن سعد أنه كان يحيي الموؤودة ([٣]) .

ومن خلال هذه الرواية يمكن ملاحظة أن زيد بن عمرو بن نفيل من قريش وهذا يدل أن الوأد كان موجودا عند قريش ، كما أنه لم يكن يدين بدين قريش (الوثنية) ولم يكن معتنقا للديانتين السماويتين المنتشرتين في عهده وهما اليهودية والنصرانية ، وكان النهي عن قتل الموؤودة عنده جزءا من طقوس دينية كان يقوم بها وهي (اعتزال الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان والنهي عن قتل الموؤودة) ، ويمكن ملاحظة أن جميع هذه الطقوس قد أقرها الإسلام فيما بعد ، وكان زيد ينهى عن قتل الموؤودة بمعنى أنه كان يدعو إلى عدم قتلها ، كما أن الحديث في الرواية عن الموؤودة (البنت) وليس الابن بمعنى أن قريش كانت تئد البنات فقط ، والدافع لعمل زيد هذا هو دافع ديني ، أما الدافع للوأد هنا فهو الفقر بدليل أن زيدا كان يأخذ الموؤودة ويكفي أباها مؤونتها ، وعندما تكبر الموؤودة المحياة كان زيد يعرض على أبيها ردها إليه أو إبقاء الموؤودة عنده بمعنى أن الموؤودة المحياة تبقى باسم أبيها رغم انتقالها إلى رعاية زيد ، كما أن الذي كان يقوم بالوأد هو الأب .

([١]) مسلم ــ صحيح ، ج ٤، ص ١٧٦ ، وانظر أيضا : القرطبي ــ تفسير ، ج ١٠ ، ص ١١٧ .
([٢]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .
([٣]) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٣ ، ص ٣٨٠ ــ ٣٨١ ، الذهبي ــ سير ، ج ١ ، ص ١٢٨ ، الحلبي ــ إنسان ، ج ١ ، ص ٥٣ ــ ٥٤ .

ويورد ابن حبيب رواية أن زهرة بن كلاب حاول وأد ابنته (١) .

ومن خلال هذه الرواية يمكن ملاحظة أن الوأد هنا في قريش ، وأن سبب الوأد ليس الفقر إنما هو وفاة ثلاثة أولاد ذكور له صغار (فقدان الذرية من الذكور) ، كما يلاحظ استنكار قريش لحادثة الوأد هنا لأن سببها ليس الفقر (العادة في قريش أن يتم الوأد للفقر فقط) ، كما أن الموؤودة تم إحياؤها لكن هذا الإحياء لم يتم لأن شخصا ما كفاه مؤونتها (فالسبب هنا في الوأد ليس الفقر) ، إنما منام رآه الأب يبشره بذرية طيبة لهذه الموؤودة (بشرى مستقبلية) ، كما أن الذي يقوم بالوأد هو الأب ، والموؤودة هنا بنت وسبب وأدها كراهية البنت وحب الذكر ، ومكان الوأد في مكة هو الجحون ، بينما تشير رواية عند الأبشيهي أن هناك مكانا آخر للوأد في مكة هو جبل أبي دلامة (٢) ، وقد فسر ابن سعيد محاولة زهرة وأد ابنته بأنها كانت زرقاء شيماء (فيها صفات جسدية غير مرغوب فيها) .

ورغم الروايات التي يوردها ابن إسحق وابن سعد وابن حبيب عن الوأد في قريش إلا أن الجاحظ ينفي أن قريشا كانت تئد البنات (١) .

ومن خلال رواية الجاحظ يمكن ملاحظة أن سبب عدم وأد قريش للبنات ديني (تنسكها في دينها وتألهها في عبادتها) ، وكان عدم وأد قريش للبنات جزءا من مجموعة طقوس دينية كانت تقوم بها قريش (امتناع قريش عن القاذورات وعن السباء وعن وطء النساء من جهة المغنم ووأد البنات) .

إن التوفيق بين هذه الروايات المتعارضة قد يكون من خلال فهم أن الوأد في قربش كان قليلا ، وإذا وجد فقد كان بسبب الفقر أو حالات خاصة كما حدث مع زهرة بن كلاب .

ويورد ابن سعد رواية عن شخصين من جعفي جاءا إلى الرسول وذكرا أن أمهما مليكة وأدت ابنة لها (٢) .

---

(١) ابن حبيب ــ المنمق ، ص ٣٣٦ ، ابن سعيد ــ نشوة ، ج ١ ، ص ٣٦٧ ، الحلبي ــ إنسان ، ج ١ ، ص ٥٣ ــ ٥٤ .
(٢) الأبشيهي ــ المستطرف ، ج ٢ ، ص ٧٧ .

ومن خلال هذه الرواية يمكن ملاحظة أن الوأد في قبيلة جعفي وهي قبيلة يمانية ، ومن قام بالوأد هي الأم وليس الأب ، وسبب الوأد في هذه الرواية غير واضح ، والموؤودة

(١) الجاحظ ــ رسائل ، ج ٣ ، ص ٤٧ .
(٢) ابن سعد ــ الطبقات ، ج ١ ، ص ٣٢٤ ــ ٣٢٥ ، ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ٣ ، ص ١٠١٥ .

هي البنت .

يورد ابن حبيب رواية أن صعصعة بن ناجية كان يحيي الموؤودات (١) ، وترد أيضا عند المبرد بتفصيل أكثر (٢) والأصفهاني (٣) والمرزباني (٤) .

ومن خلال هذه الروايات يمكن ملاحظة أن الوأد في تميم ، والوائد هو الأب والموؤودة هي البنت وأن الوأد بدأ في تميم ثم انتشر إلى بقية القبائل العربية في أحد الآراء ، بينما رأي آخر يذكر أنه وجد في تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل في وقت واحد ، وسبب الوأد في هذه القبائل جميعها هو تعرضها للقحط والجدب ، رغم أن رأيا آخر يذكر أن سبب الوأد هو الخوف من العار عند السبي (فعلوا ذلك أنفة) ، كما أن فداء الموؤودة كان ناقتين عشراوين وجمل يمنحان إلى أبيهما وسبب الوأد هو الفقر .

ويمكن ملاحظة فرق بين إحياء الموؤودة في قريش وإحيائها في تميم ، إذ في قريش كان يتم إحياء الموؤودة بكفاية أبيها مؤونتها وهي صغيرة ، على أن يترك للأب حق إعادتها إليه إذا شاء عندما تكبر ، بينما في تميم كان إحياء الموؤودة يتم بافتدائها بعدد من الإبل مع بقائها عند أهلها .

ويلاحظ أن افتداء صعصعة بن ناجية للموؤودات كان لسبب ديني (علم أن ربهم لم يأمرهم بذلك فلم يتركهم يئدون وفدى من قدر عليه) ، كما هو الحال عند زيد بن عمرو بن نفيل في قريش .

ويرد عند الزبير بن بكار رواية عن وأد قيس بن عاصم بناته (٥) ، وترد الرواية بتفصيل أكبر عند المبرد (٦) ، والأصفهاني (٧) .

---

(١) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ١٤١ .
(٢) المبرد ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٢٨٦ ــ ٢٨٩ .
(٣) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٢ ــ ٤ .
(٤) المرزباني ــ أشعار ، ص ٣٥٤ ، انظر أيضا : النويري ــ نهاية ، ج ٣ ، ص ١٢٧ .
(٥) الزبير ــ الأخبار ، ص ٦٣٠ .
(٦) المبرد ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٢٨٦ ــ ٢٨٩ .
(٧) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ــ ١٤٤ ، النويري ــ نهاية ، ج ٣ ، ص ١٢٧ ، القلقشندي ــ صبح ، ج ١ ، ص ٤٠٤ .

ويمكن ملاحظة أن الوأد في قبيلة تميم والوائد هو الأب والموؤودة هي البنت وسبب الوأد ليس الفقر ، وهناك إشارة في الرواية أن قيس بن عاصم هو أول من وأد البنات وقد يكون معنى هذا أنه أول من وأد في تميم أو أول من وأد لسبب غير الفقر ، وهناك سببان توردهما الروايات لوأد قيس بناته وهما : خشية عدم زواجهن من أكفائهن ، ووقوع إحدى بنات قيس في الأسر (أسرتها قبيلة بكر بن وائل بتحريض من النعمان ملك المناذرة) وتفضيلها البقاء مع آسرها على العودة إلى أبيها الذي كان يخاف سوء الأحدوثة والفضيحة في البنات .

ويرد عند الطبري رواية عن حدوث الوأد في قبيلة أسد (١) ويلاحظ أن الموؤودة هي البنت التي تم دفنها حية وسبب الوأد هو الفقر (كراهية الأكل من الطعام) .

ترد رواية عند ابن قيم الجوزية تذكر أن امرأ القيس بن حجر كان يقتل بناته (٢) ، وهذا يدل على أن قتل البنات كان موجودا في كندة وتفسر الرواية قتل امرئ القيس بناته بأنه كان غيورا شديد الغيرة (سبب اجتماعي) ، كما تشير الرواية أن قتل البنات كان يتم دون رضى أمهاتهن حيث لجأن إلى تغييب بناتهن في أحياء العرب .

ويذكر الحلبي أن كندة كانت من أكثر القبائل وأدا (٣) .

وهناك حالات تدل على كراهية ولادة البنات رغم أن ذلك كان لا يعني وأد البنت كما حدث لأبي حمزة الضبي (٤) أو أبي الدلفاء (٥) ، ذلك أن أبا حمزة هجر زوجته عند ولادتها أنثى ، وأخذ يبيت عند جيرانه ، إلا أنه عاد إليها عندما سمعها تقول :

ما لأبي حمزة لا يأتينا   وهو في البيت الذي يلينا

يغضب إن لم نلد البنينا   والله ما ذلك في أيدينا

---

(١) الطبري ــ تاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٩٩ ــ ٥٠٠ .
(٢) ابن قيم الجوزية ــ أخبار ، ص ١٠٨ ــ ١١٠ .
(٣) الحلبي ــ إنسان ، ج ١ ، ص ٥٣ ــ ٥٤ .
(٤) الجاحظ ــ البيان ، ج ١ ، ص ١٨٦ .
(٥) الألوسي ــ روح ، ج ١٤ ، ص ١٥٣ .

وإنما نأخذ ما أعطينا   ونحن كالأرض لزارعينا

ننبت ما قد زرعوه فينا (١)

ومن خلال هذه الروايات يمكن ملاحظة أن هناك كراهية لولادة البنت دون وأدها ، وقد حدثت هذه الحادثة في قبيلة ضبة ، والذي كره ولادة البنت هو الأب وليس الأم ، كما أن الأب قد تراجع عن كراهيته لولادة بنت له عندما اقتنع بدوره في ولادتها.

ومن الحوادث المثيرة للانتباه في هذا الموضوع هو حادثة نذر عبد المطلب ذبح أحد أبنائه عند الكعبة تقربا إلى الله إذا بلغوا عشرة (٢) .

ومن خلال هذه الرواية يمكن ملاحظة أن الحادثة وقعت في قريش ، والحادثة هنا حادثة ذبح وليس حادثة دفن ، والحادثة هنا تقع على ذكر وليس أنثى ، وأنها اقترنت بالنذر ، كما أن فيها بعدا دينيا (النحر عند الكعبة تقربا لله) والناذر هو الأب كما يلاحظ استنكار قريش لهذه الحادثة بمعنى أن هذا الأمر لم يكن شائعا في قريش ، وبما أن الأمر تم بطريق النذر فلا بد من أن يتم فداء المنذور ذبحه بطريقة دينية ، وذلك بالذهاب إلى الكاهنة التي حددت طريقة افتدائه .

---
(١) الجاحظ ــ البيان ، ج ١ ، ص ١٨٦ .
(٢) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ، ابن كثير ــ البداية ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

الفصل الخامس

العادات والتقاليد

عرف العرب في شمال ووسط الجزيرة العربية خلال القرن السادس الميلادي والثلث الأول من القرن السابع الميلادي مجموعة من العادات والتقاليد ، وفيما يلي عرض لهذه العادات .

عادات الزينة

تزيين الشعر

عرفت النساء عدة تصفيفات لشعورهن ، ومن ذلك جعل الشعرعلى شكل حبال يطلق عليها اسم الغدائر ([١]) ، وتسمى الغدائر أيضا ذوائب ([٢]) ، أو قرون ([٣]) ، وكانت هذه الغدائر تترك تنسدل على الظهر ([٤])، حيث تسمى غدائر مسبكرات ([٥]) ، حيث يسمى الشعر الشعر المنسدل الشعر الوارد ([٦])أو الشعر المسبكر ([٧]) .

كانت النساء يمشطن شعورهن، حيث يسمى مشط الشعر الترجيل ([٨])، ومن طرق ترجيل الشعر الفرق ، ، حيث يقسم الشعر إلى قسمين ([٩]) ، أما الأداة التي استخدمت في تصفيف الشعر فتسمى المدرى([١٠]) أو الخلال([١١])،ويبدو أنها تتخذ من قرن أحد الحيوانات .([١٢])

([١])أبو دؤاد ــ شعر ، ص ٣٠٦ .
([٢])عمرو بن قميئة ــ ديوان ، ص ١١٤ .
([٣])امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٦٥ ، ، ص ١٧ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص ١٢٦ .
([٣])امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٦٥ .
([٤])امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٢٩٧ .
([٥]) أبو دؤاد ــ شعر ، ص ٢٠٦ .
([٦]) طرفة ــ ديوان ، ص ٥٤ .
([٧])طرفة ــ ديوان ، ص ١٩٦ .
([٨]) جران ــ ديوان ، ص ٣٧ .
([٩]) حسان ــ ديوان ، ص ١٢٠ .
([١٠])امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٧ .
([١١])الأعشى ــ ديوان ، ص ٥ .
([١٢])الجوهري ــ الصحاح ، ص ٢٣٣٥ .

وكانت النساء يعطرن شعورهن بالمسك أثناء تمشيطه([١]) .

وأما الرجال فقد صففوا شعورهم أيضا ، ويبدو أنه كان هناك دلالة دينية لطريقة تصفيف الشعر ، فكان الوثنيون يفرقون شعورهم بقسمتها إلى جزئين من الوسط ، بينما كان اليهود والنصارى يسدلون شعورهم ([٢]) .

وصفف الرجال أيضا شعورهم على شكل ذوائب ([٣]) .

وحلق بعض الرجال شعورهم ، ومن طرق الحلق عندهم القَزْع ، وذلك بحلق بعض أجزاء الرأس وترك أجزاء أخرى دون حلق ([٤]) .

تزيين الحواجب

من أعمال التزيين التي عرفتها النساء وتزجيج الحواجب ، وذلك بتحديدها وحذف الشعر الزائد منها ([٥]) .

تزيين الأسنان

عرفت النساء عملية تحزيز وتحديد أطراف الأسنان كعملية تزيينية للأسنان ، ويطلق على هذه العملية اسم الأشْر أو التفليج ([٦]) ، ويسمى الفم الذي تعرض لهذه العملية الفم الرَتِل ([٧]) ، أو الفم المفلج ([٨]) .

وكذلك كانت الأسنان تنظف بالسواك ([٩]) ، الذي كان يتخذ من عيدان أشجارمختلفة مثل

([١])جران ــ ديوان، ص ٣٧.
([٢]) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٣٧٤ .
([٣]) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٣٧٦ .
([٤]) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٣٧٦
([٥])الأعشى ــ ديوان، ص ٣٥٣ ، السكري ــ شرح ، ص ١٠٦٢ .
([٦]) لقيط ــ ديوان، ص ٥٢
([٧])أبو دؤاد ــ شعر ، ٣٠٦ .
([٨])الأسود ــ ديوان ، ص ٥٤ .
([٩])عمرو بن قميئة ــ ديوان، ص ١١٢ .

الضَرْم (١) ، والإسْحَل (٢) ،والعَتْم (٣) ، والرَنْد (٤) والأراك ، (٥) ، وكذلك يرد ذكر مساويك من ريش الحمام (٦) ، وكذلك استخدمت مادة الإثمِد لدلك الأسنان (٧) .

الحلي

عرفت النساء عدة أنواع من الحلي ، ومن ذلك حلية الرأس التي أطلق عليها اسم الإكليل (٨) .

وكذلك كان هناك أنواع من الحلي للأذنين حيث ، أطلق عليه اسم القُرْط (٩) أو الشَنَف ويبدو أنه يعلق في أعلى الأذن (١٠) ، والرَفْرَف (١١) والحَلَق (١٢) والسَلَس (١٣) والرُعاث ويبدو أنه يعلق في أسفل الأذن (١٤) والخَرْص (١٥) والنُطَف (١٦) .

أما حلية العنق فقد أطلق عليها اسم القلادة (١٧) ، ويطلق عليها أيضا اسم العقد (١٨) ، وكانت العقود والقلائد على عدة أنواع ، فهناك الطوق (١٩) ، والتُكنة (٢٠) ، والتِقصار وهي قلادة قصيرة (٢١) ، والسِمْط وهي قلادة طويلة (٢٢) ، وكانت بعض القلائد والعقود تصنع من ثمار النباتات ، حيث يطلق عليها اسم الحَبْلة (٢٣) ، ومن أنواع القلائد والعقود الكَرْم ، وهي

---

(١) أبو دؤاد ــ شعر ، ص ٣٣٧ .
(٢)امرؤ القيس ــ ديوان، ص ١٧ .
(٣)النابغة الجعدي ــ ديوان، ص ١٥١ .
(٤)النابغة الجعدي ــ ديوان، ص ٢٣١ .
(٥)جران ــ ديوان، ص ٤٨ .
(٦)النابغة الذبياني ــ ديوان ، ص ٩٤ .
(٧)عبيد ــ ديوان ، ص ٥٣ .
(٨)حسان ــ ديوان ، ص ٢٥٥ .
(٩) عبيد ــ ديوان، ص ٨٣ ، ٩١ .
(١٠) طرفة ــ ديوان، ص ١٩٩.
(١١)الأسود ــ ديوان، ص ٤٩ .
(١٢)جران ــ ديوان، ص ١٢ .
(١٣)جران ــ ديوان، ص ٥٦ .
(١٤)النابغة الذبياني ــ ديوان، ص ١٨١ .
(١٥)ابن مقبل ــ ديوان، ص ١٨ .
(١٦) قصائد ، ص ٥٧ .
(١٧)حميد ــ ديوان، ص ٩٨، العسكري ــ شرح ، ص ٣٥١ .
(١٨)النابغة الذبياني ــ ديوان، ص ٩٥ .
(١٩) الفند ــ شعر ، ص ٣٠٩ .
(٢٠) طرفة ــ ديوان، ص ١٩٨ .
(٢١) عدي ــ ديوان، ص ٥٠ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص ٩٥ .
(٢٢) الأعشى ــ ديوان ، ص ٥ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٥١ .
(٢٣) الأعشى ــ ديوان ، ص ٣٥٧ .

قلادة تتميز بكونها من الجواهر ([1]) ، والسِخاب ، وهي قلادة ، يبدو أنها تتميز بخلوها من الجواهر ، وإنما تتكون من أزهار ([2]) ، والمِخْنقة ، ويبدو أنها قلادة ضيقة ([3]) .

وتتكون القلادة من جزئين أساسيين :

١–الحلي ، وهو عدة أنواع منها : المُحال : وهوحلي مفقر (مشابه في شكله لفقرات الظهر) ([4]) ، واللؤلؤ القَلَقي : وهو حلي يضطرب في السلك ([5]) ، والكبيس المُلَوَّب : وهو حلي مجوف محشي بالطيب ([6]) .

٢– الخيط ، ويسمى السنيح ، ([7]) ، أو السلك ([8]) ، أو السَلَس ([9]) أو السِمْط ([10]) ، أو النظام ([11]) .

ومن أنواع الحلي حلي لبست في الأيدي ؛ حيث أطلق على الحلي التي تلبس في الأذرع اسم الدُمْلُج ([12]) ، وهناك السوار ، التي تحلت به النساء في معاصمهن ([13]) ، والجبائر، وقد تحلت بها النساء في أعضادهن ومعاصمهن وسواعدهن ([14]) ، والقَلْب وتحلت به النساء في معاصمهن ، ، ويبدو أنه مشابه للسوار ([15]) ، واليارَق وقد تحلت به النساء في معاصمهن أيضا ([16]) ، والوَقْف وقد تحلت به النساء في أيديهن ([17]) ، والمَسَك ، وقد تحلت به النساء في أيديهن ، والمسك قد يكون من عاج ، أو من ذهب ([18]) .

([1]) ابن مقبل ــ ديوان ، ص ٢٠٦ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٥٢ .
([2]) السكري ــ شرح ، ص ١٠٤٣ .
([3]) الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٤ ، ص ٦٩ – ٧٠ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٥٥ .
([4]) علقمة ــ ديوان ، ص ٨٠ .
([5]) علقمة ــ ديوان، ص ٨٠ .
([6]) علقمة ــ ديوان، ص ٨٠ .
([7]) أبو دؤاد ــ شعر، ص ٣٢٠ .
([8]) النابغة الذبياني ــ ديوان ، ص ٩١ .
([9])طفيل ــ ديوان، ص ٣٥ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٥٥ .
([10])لبيد ــ ديوان ،ص ٢٤٣ .
([11])معن ــ ديوان ، ص ٣٧ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٥٥ .
([12]) امرؤ القيس ــ ديوان، ص ٤٥٨ ، الشماخ ــ ديوان، ص ٧٥ .
([13]) عدي ــ ديوان ، ص ٩٣ .
([14]) امرؤ القيس ، ــ ديوان ص ٢٧٢ .
([15]) جران ــ ديوان، ص ٤٢.
([16])الأعشى ــ ديوان، ص ٩٥ .
([17]) ابن مقبل ــ ديوان، ص ١٧٤ .
([18])ابن سعد ــ الطبقات ، ج ٨ ، ص ٤٦٦، ٤٧٨ ، أبو داود ــ سنن ، ج ٢ ، ص ٢١٢، العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٤٩ .

ومن أنواع الحلي حلي للأصابع ، وهي الخاتم ، ويبدو أن الوظيفة الأساسية للخاتم هي الختم على الكتب وغيرها ، ولهذا استخدم الخاتم من الرجال ، فالرسول كان له خاتم نقش عليه اسمه (١) ، أما النساء فكان الهدف الأساسي من استخدام الخاتم لهن هو التزين ، وهناك أكثر من نمط لتختم المرأة ، فقد تتختم بخاتم واحد (٢)، أو تتختم بخاتمين في الإصبعين الوسطى والبنصر (٣)، وقد تتختم بأصابع رجليها (٤)، أما المادة التي صنعت منها خواتم المرأة ، فقد تكون من الذهب (٥)، أو الفضة (٦)، أو العاج (٧)، ومن حلي الأصابع الفَتَخة ويبدو أنها أبسط من الخاتم ، حيث لا تحتوي على فص (٨)، أما المادة التي تصنع منها فيبدو أنها بشكل أساسي من الفضة (٩).

ومن أنواع الحلي الأخرى حلي تغطي منطقة الخصر ، حيث أطلق عليها اسم الوشاح (١٠) ، ويبدو أنه يتكون من جلد مرصع بالجواهر حيث يسمى الوشاح المفصل ، ويربط أمام كتفي المرأة (١١) ، فهو غير مخيط ، وقد تلبس المرأة وشاحين في وقت واحد ، ومن حلي النساء لمنطقة الوسط الكَشْح ، وهو شبيه بالوشاح (١٢) ، وكذلك هناك البريم وهو من حلي النساء لمنطقة الوسط أيضا (١٣) ، حيث يربط على الصدر (١٤) ، ويبدو أنه يتكون من حبل ذي لونين تربطه المرأة على وسطها(١٥) .

---

(١)البخاري ــ صحيح ، ج ٨ ، ص ١٩٦ .
(٢)ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٧٠ .
(٣)ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٣٤٣ .
(٤)ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٦٩ ، ٤٧٨ .
(٥)ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٧٠ .
(٦)ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٦٩ .
(٧)ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٤٧٨ .
(٨) العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٥٤ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص ٣٥٤ .
(٩) أبو داود ــ شعر ، ج ٢ ، ص ٢١٣ .
(١٠) امرؤ القيس ــ ديوان، ص ١٤ ،٣٩ .
(١١) الجوهري ــ الصحاح ، ص ٤١٥ .
(١٢)السكري ــ شرح ، ص ٢٠٠ .
(١٣) علقمة ــ ديوان، ص ١٠٥ .
(١٤)المفضل ــ المفضليات ، ص ٤٢ .
(١٥) الجوهري ــ الصحاح ، ص ١٨٧٠ .

ومن أنواع الحلي حلي لمنطقة الساق حيث أطلق عليها اسم الخَلْخال (١) ، ويبدو أنه يتكون من حلقة معدنية لها جانب يسمى طَرّة تحيط بالساق(٢) ، ومن حلي الساق أيضا الوَضَح (٣) ، ، ويبدو أنه يتكون من الدراهم الفضية (٤) ، ومن حلي الساق أيضا البُرة (٥) ، ، ويبدو أنه مرادف للخلخال(٦) ، وهناك الحَجْل (٧) ، ، ويبدو أنه مرادف للخلخال أيضا ، وهناك الخَدَمة أيضا (٨)، ويبدو أنها مرادفة للخلخال .

الأصباغ

الصبغة هي مادة تستخدم في إنتاج ألوان تبقى طويلا على سطح المواد ، ويمكن تقسيم الأصباغ إلى نوعين :

١-أصباغ الجسم حيث عرف العرب الأصباغ التالية

الإثمِد : هو حجر يتخذ منه الكحل ، وهو عدة ألوان ، ويبدو من الشعر أن العرب عرفوا الإثمد الأسود (٩) ، وقد استخدمته النساء للاكتحال في العين (١٠) ، وفي تنظيف أسنان مقدم الفم (الثنايا) (١١) ، وكذلك استخدمنه لتسويد لثاتهن بذره عليهن (١٢) .

وأما مصدر الإثمد فيرد في الشعر الإثمد الحاري(١٣) ، وهذا يوحي أن الحيرة هي مصدر الإثمد .

ويبدو أن العرب كانوا يحصلون على الإثمد في شكله الصلب (حجر) ، ثم يقومون

---

(١) امرؤ القيس ــ ديوان، ص٣٥ ، ١٤٣ .
(٢)السكري ــ شرح ، ص ١٠٠٩ .
(٣)عبيد ــ ديوان، ص ٤٠ .
(٤) الجوهري ــ الصحاح ، ص ٤١٦ .
(٥)طرفة ــ ديوان، ص ٣٤ .
(٦)العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٥٠ ، ٦١٢ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص٢٢٨ .
(٧)بشر ــ ديوان، ص ٦٥ .
(٨) بشر ــ ديوان، ص ١١٦ .
(٩)عبيد ــ ديوان، ص ٥٣ .
(١٠) علقمة ــ ديوان، ص ١٠٥ .
(١١)عبيد ــ ديوان، ص ٥٣ .
(١٢)طرفة ــ ديوان، ص ٩ - ١١ .
(١٣)طفيل ــ ديوان، ص ٢٩ .

بسحقه ليتحول إلى حصى باستخدام الصلاء والمداك (١).

الخضاب :وهي مادة ملونة على هيئة مسحوق ناعم ، تنقل لونها لمادة أخرى ، وذلك عند مزجها بها أو وضعها على سطحها ، مشكلة طبقة رقيقة ،حيث استخدمته النساء لصبغ أصابع أيديهن (٢) ، وأكفهن (٣) .

ويبدو أن الخضاب كان يحصل عليه على شكل مادة صلبة ، تسحق باستخدام المداك (٤) ، ويوحي الشعر أن لون الخضاب أحمر (٥) ، وكان الخضاب يوضع على اليد ثم تعصب حتى تكتسب اليد لون الخضاب (٦) .

الحناء : وهي صبغة حمراء وبرتقالية ،تأتي من شجيرة تعيش في الجزيرة العربية، ، وقد استخدمت النساء الحناء لصبغ اليدين (٧) .

العَلام : ويبدو أنها مرادفة للحناء (٨) .

العَنْدَم : وهو صبغ نباتي أحمر ، صبغت به النساء جباههن (٩) .

النؤور :يرد استخدام النؤور في الشعر في الوشم ، وذلك لإكسابه لونا أخضر (١٠) ، حيث استخدمته النساء للوشم في الرواهش ، (وهي الأوعية الدموية في اليد) (١١)، والفم (١٢) ، ويبدو أن النؤور يؤخذ من المادة الناشئة عن احتراق الدهنيات (١٣)، وكان الوشم بالنؤور مهنة تمتهنها بعض النساء ، حيث اشتهرت بذلك نساء اليمن في حضرموت(١٤).

---

(١)حميد ــ ديوان، ص ٣٤ .
(٢)امرؤ القيس ــ ديوان، ص ٤٣٨.
(٣)جران ــ ديوان، ص ١١ .
(٤) عبيد ــ ديوان، ص ٧٠ .
(٥) النابغة الذبياني ــ ديوان، ص ٩٣ .
(٦)الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٠ ، ص ١٩ .
(٧) جران ــ ديوان ، ص ٤٢ .
(٨) جران ــ ديوان، ص ٣٦ .
(٩)حميد ــ ديوان، ص ١٢ .
(١٠)بشر ــ ديوان، ص ٩٥ .
(١١) بشر ــ ديوان، ص ٩٥ .
(١٢)الأعشى ــ ديوان، ص ٩٣ .
(١٣)الجوهري ــ الصحاح ، ص ٨٣٩ .
(١٤)السكري ــ شرح ، ص ١٠٦٢ .

٢- أصباغ الملابس، وقد عرف العرب منها الأصباغ التالية:

الأرجوان :وهو صبغ يؤخذ من نبات الأرجوان أرجواني اللون ، وقد ورد ذكره في الشعر حيث صبغت به القطائف (١) .

وكان العرب يحصلون على الأرجوان بشكله الصلب ، ثم يسحقونه ، ويصبغون به الملابس (٢) ، وكون كلمة أرجوان كلمة فارسية ، (٣) يوحي أن العرب كانوا يحصلون عليه من بلاد فارس .

الزعفران : وهو صبغ يؤخذ من نبات الزعفران أصفر اللون، ويتضح من الشعر أنه يكسب الملابس المصبوغة به لونا أحمر (٤) .

المَغْرة : وهو صبغ طيني أحمر اللون ، وقد صبغت به النساء الثياب (٥) .

الجِساد : وهو صبغ يكسب الملابس أحد درجات اللونين الأحمر والأصفر ، ويبدو أنه مرادف للزعفران ، وورد في الشعر أنه صبغت به الريط (٦) .

العُصْفُر: وهو صبغ نباتي أحمر اللون ،وقد صبغت به الدروع والنقب (٧) .

الوَرْس : وهو صبغ نباتي أصفر اللون ، وقد صبغت به الملاحف(٨) .

العطور

العطر هو مادة تنتج عبيرا فواحا ،وقد ورد ذكر العطر في الشعر ، (٩) ، وقداستعمل العرب لفظة الطيب للدلالة على العطر (١٠) .

---

(١)الأعشى ــ ديوان، ص ٣١٣ .
(٢)علقمة ــ ديوان، ص ٨٨ .
(٣) العسكري ــ التلخيص ، ص ٤٦٦ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص ٢٣٥٣ .
(٤)عمرو بن معديكرب ــ ديوان، ص ١٣٠ .
(٥) أبو داود ــ شعر ، ج ٤ ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .
(٦)امرؤ القيس ــ ديوان، ص ١٩٦ .
(٧)ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٦٨ ، ٧٠، ٢٥٣ ، ٤٦٧ .
(٨) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٧٣، أبو داود ــ سنن ، ص ج٢ ، ص ٤١٢ .
(٩) طرفة ــ ديوان، ص ٥٩ .
(١٠) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٤٣٨ .

وكانت عدن مصدرا لكثير من العطور([١])، حيث كان بعضها من إنتاج اليمن ، وبعضها الآخر مستوردا ، خاصة من السند والهند ([٢]) . وقد أطلقت لفظة اللطيمة على القافلة التي تحمل العطور ، ويبدو أن الحيرة كانت أحد مصادر العطر للجزيرة العربية ، حيث اشتهرت لطائم النعمان بن المنذر ([٣]) ، ويبدو أن العطر التي كانت تحمله كان مستوردا من بلاد الفرس ، وممن اشتهر بتجارة العطر أبو طالب بن عبد المطلب ([٤]) وأسماء بنت مخربة بن جندل أم أبي جهل ([٥]) ، ويبدو أن قريش اشتهرت باستخدامها للعطر ومحبتها له ([٦]) ، بما فيهم الرسول ([٧]) ، وكان العطر جزءا أساسيا من جهاز العروس ([٨]) .

ومن استخدامات العطر استخدامه كرمز للحلف كما حدث في حلف المطيبين بين عدة مجموعات قرشية ([٩]) ، وكذلك استخدم العطر لتشجيع الرجال على الحرب كما حدث في يوم حليمة عندما عطرت حليمة بنت الحارث المقاتلين قبل المعركة ([١٠]) ، وكذلك اشتهرت منشم بتعطيرها المقاتلين قبل الحرب ([١١]) .

ويرتبط بالطيب لفظة المداك ([١٢]) وهو الحجر الذي يسحق عليه الطيب ([١٣]) ،وهذا يوحي أن العرب عرفوا الطيب بشكله الصلب ، وقد اشتهر مداك العروس ، لشدة اهتمام العروس بالطيب وقد عرف العرب الأنواع التالية من العطور:

الريحان : هو نوع من الأعشاب ، وقد استخدمته النساء لتعطير شعورهن عند

([١])ابن حبيب – المحبر ، ص ٢٦٦ ، اليعقوبي – البلدان ج ١ ، ص ٢٧٠ ، اليعقوبي – التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٣٦ ، التوحيدي ــ الإمتاع ، ج ١ ، ص ٨٤ .
([٢]) اليعقوبي – التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٣٦ .
([٣]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٩ ، ص ٧٥ .
([٤]) ابن قتيبة – المعارف ، ص ٢٥٠ .
([٥]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٢٢٠ .
([٦]) ابن قتيبة – عيون ، ج ٤ ، ص ٧٦ .
([٧]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٢ ، ص ١١٢ .
([٨]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ١٣ .
([٩]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٤٢ .
([١٠]) ابن سلام الهروي – الأمثال ، ص ٩٢ .
([١١]) ابن سلام الهروي – الأمثال ، ص ٣٥٥ .
([١٢])امرؤ القيس ــ ديوان، ص ٢١ .
([١٣]) العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٨٨ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص ١٥٨٦.

تمشيطها ([١]) ، وكذلك لتعطير الفراش ([٢]) .

ويبدو أن المقصود بذلك مسحوق الريحان أو محلوله ، وقد استعمل الريحان لتحية القادم ([٣]) ، ويتبادله الأصدقاء كنوع من التحية ([٤]) ، واستعمل الريحان لتعطير القبور ([٥]) ، ولتعطير البيوت ([٦]) .

الكافور : وهو مادة تستخرج من شجر الكافور ، وقد استخدم الكافور لتعطير الموتى ، ([٧]) ، ويرد في الشعر استخدام النساء له كعطر ([٨]) .

الزنجبيل : هو تابل ذو رائحة طيبة ، وقد استخدمه العرب قبل الإسلام لتعطير الشراب ([٩]) ، ويرد في الشعر استخدام النساء له لتعطير جلابيبهن ([١٠]) .

المسك : هو أحد أنواع العطور ، يتكون على هيئة سائل في غدة من غدد غزال المسك الذكر ، الذي يعيش في آسيا . وقد استخدم المسك فب تعطير الشراب عند العرب قبل الإسلام ، فاستخدم لتعطير أواني الخمر ([١١]) .

إن غزال المسك لا يعيش في الجزيرة العربية ، ومن ثم فإن المسك الذي استخدمه العرب كان مستوردا ، ويبدو أنه كان يصل إلى الجزيرة العربية عن طريق البحر ([١٢]) ، حيث كان يصل إلى البحرين ، فقد نسب العرب المسك إلى دارين ، ودارين ميناء في البحرين ([١٣]) .

([١])العباس ـــ ديوان، ص ٦٨ الأصمعي ـــ الأصمعيات ، ص ٢٠٥.
([٢]) ابن مقبل ـــ ديوان، ص ١٨٢ .
([٣]) النابغة الذبياني ـــ ديوان، ص ١٢ .
([٤]) الأعشى ـــ ديوان ، ص ١٤٧ .
([٥]) أوس ـــ ديوان، ص ١٠٥ .
([٦]) المفضل ـــ المفضليات ، ص ١١٠ .
([٧]) المفضل ـــ المفضليات ، ص ٧٨ .
([٨]) النمر ـــ ديوان، ص ٨٠، ٨٢ ، القرشي ـــ جمهرة ، ص ١٩١ .
([٩]) الأعشى ـــ ديوان، ص ٨٥ .
([١٠]) قيس بن الخطيم ـــ ديوان ، ص ١٣٥ .
([١١]) عبيد ـــ ديوان ، ص ١١٠ .
([١٢]) بشر ـــ ديوان، ص ٤٨ .
([١٣])النابغة الجعدي ـــ ديوان، ص ٣٧-٣٨ .

وكون كلمة مسك كلمة فارسية([1]) يوحي بعلاقة للفرس بتجارة المسك مع الجزيرة العربية .

أما استخدام المسك كعطر ، فيلاحظ أنه استخدمه الرجال ([2]) ، والنساء على حد سواء، لتعطير أجسامهم ([3]) ، حيث استخدم المسك لتعطير الشعر خاصة ([4]) ، وكذلك استخدم المسك لتعطير الوجه ([5]) .

ولم يقتصر التعطر به على الجسد ، بل تعدى ذلك إلى تعطير الملابس([6]) ، خصوصا منطقة الردن ([7]) ، وكذلك عطرت به منطقة الجيب ([8]) ، وكذلك استخدم لتعطير الفراش ([9]) ، وكذلك نثر المسك في أنحاء البيت ([10]) .

أما الشكل الذي عرف به العرب المسك ، فيوحي الشعر أن العرب عرفوا المسك بشكله الصلب ([11]) ، حيث يستخدم على شكل مسحوق يرش رشا.

وترد عبارة الحقة الحميرية كوعاء للمسك ([12]) ، وهذا يوحي بعلاقة لليمن بتجارة المسك .

ومن أوعية المسك أيضا وعاء يسمى الفأرة ([13]) ، ويوحي الشعر أن مصدرها بلاد الفرس ، أو دارين ([1]) .

القرنفل : هو نبات له رائحة عطرية ، ويرد في الشعر استخدام النساء له كعطر ، ([2])

([1]) العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٨٤ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص ١٦٠٨ .
([2])ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ١١٣ ، ابن قتيبة – عيون ، ج ١ ، ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .
([3]) امرؤ القيس ــ ديوان، ص ٣٢ ، ١١٠ .
([4]) علقمة ــ ديوان، ص ٥٩ ، المفضل ــ المفضليات ، ص ٣٩٧ .
([5]) عنترة ــ ديوان، ص ٧٢ .
([6])الأصمعي ــ الأصمعيات ، ص ٥٤ .
([7]) جران ــ ديوان، ص ٤ .
([8])الحطيئة ــ ديوان ، ص ١٤٣ .
([9]) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٤٥ .
([10])امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٧ ، ١٧١ .
([11])امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٧ ، ٥٩ .
([12])امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٥٩ .
([13]) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٣٧٩ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٨٥ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص ١٧٧٧.

(١) ابن عبد ربه – العقد ، ج ٥ ، ص ٢٨١ .
(٢) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٥ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٨٩ .

، حيث عطرن به جلابيبهن ([1]) .

الزنبق : تستخدم لفظة الزنبق الآن للدلالة على أحد أنواع الأزهار، إلا أن هذا الاستخدام لا يبدو موافقا لمعنى اللفظة كما استخدمت عند العرب قبل الإسلام ، حيث يرد استخدام النساء له كعطر ([2]) ، وتميز ملوك الفرس باستخدام الزنبق ([3]) ، وهذا يشير أن مصدره بلاد الفرس ، ويبدو أنه استخدم للدلالة على دهن الياسمين([4]).

السنا :هو نوع من أنواع النبات أزهاره صفراء، وقد استخدمته النساء كعطر ، وذلك بخلطه مع المسك ([5]) ، وكذلك بحرقه كبخور ([6]) .

الرَّنْد : وهو نبات استخدمته النساء كعطر عن طريق حرقه كبخور ([7]) .

العود الهندي : استخدمته النساء كعطر وذلك بحرقه كبخور ([8]) .

الغار : وهو نبات استخدم كعطر بحرقه كبخور ([9]) .

الزعفران : هو عطرنباتي ، يكسب الجسم رائحة طيبة ([10]) ، ولونا أحمر وأصفر، حيث شبه بالورد وبالدم في الشعر ([11]) ، وقد استخدمته النساء لتعطير معاصمهن ([12]) ، وكذلك استخدمنه لتعطير وجوههن ([13]) ، وكذلك استخدمنه لتعطير ملابسهن ، خاصة جيوبهن ([14]) ، وبذلك ، فإنه يقوم بوظيفتين ، صبغية ، وتعطيرية .

([1]) قيس بن الخطيم ــ ديوان ، ص ١٣٥ .
([2]) امرؤ القيس ــ ديوان، ص ١٦٨ .
([3]) الأعشى ــ ديوان، ص ١١٦ .
([4])الجوهري ــ الصحاح ، ص ١٤٨٨ .
([5]) امرؤ القيس ــ ديوان، ص ٥٩ .
([6]) عدي ــ ديوان، ص ٩٣ .
([7]) امرؤ القيس ــ ديوان، ص ٦٠ .
([8]) الحارث ــ ديوان، ص ٩ .
([9]) عدي ــ ديوان، ص ٥١ .
([10]) الأعشى ــ ديوان، ص ١١ .
([11])النمر ــ ديوان ، ص ٨٣، القرشي ــ جمهرة ، ص ١٩١ .
([12])الشماخ ــ ديوان ، ص ٢٢٤ .
([13])قصائد ، ص ٦١ .
([14]) بشر ــ ديوان، ص ١٩ .

العنبر : من العطور التي استخدمتها المرأة ([١]) ، وا ستخدمه الرجل أيضا ([٢]) ، وكان مصدر العنبر عدن ([٣]) ، ويبدو أنه أصفر اللون ([٤]) .

القَصَب : وهو نبات استخدمته النساء كعطر بحرقه كبخور ، ويبدو أن نساء الحيرة اشتهرن باستخدام القصب كبخور ([٥]) .

اليَنْجوج : وهو من أنواع العيدان التي تبخرت بها النساء ([٦]) ، ويحصل عليه من أحد أنواع الشجر ورائحته طيبة ([٧]).

العبير: وهو مجموعة من العطور تخلط معا ، ويوحي الشعر أن لونه أحمر حيث شبه بالدماء ([٨]) ، وقد استخدمته النساء بصورة خاصة ([٩]) ، حيث استخدمنه كطلاء لجلودهن ([١٠]) ، كما عطرن به جلابيبهن ([١١]) ، وعطرن به جيوبهن أيضا ([١٢]) ، وعطرن به أرديتهن .

الوَرْس : وهونبات أصفر اللون تعطرت به النساء حيث طلين به أجسامهن ([١٣]) ، ويبدو أنهن فعلن ذلك بهدف إكساب وجوههن اللون الأصفر ، إضافة إلى صبغ ثيابهن به ، وكان يتم الحصول عليه من صنعاء ([١٤]) .

الكِباء : وهو من أنواع العيدان ذات الرائحة الطيبة حيث تبخرت به النساء ([١٥]) .

اللبنى : وهو نوع من العطر النباتي عطرت به النساء ملابسهن ([١٦]) .

([١])عروة ــ ديوان، ص ٧٦ .
([٢]) الأصمعي – تاريخ ، ص ٥٢ ، ٥٥ .
([٣])ابن خرداذبه ــ المسالك ، ص ٦١ ، المقدسي ــ أحسن ، ص ٩٨ ، ١٠١ .
([٤]) المفضل ــ المفضليات ، ص ٩٢ .
([٥]) قصائد ، ص ١٨٢ .
([٦]) أبو دؤاد ــ شعر ، ص ٣٣٧ .
([٧]) ابن دريد ــ جمهرة ، ج ٣ ، ص ٤٢٧ ، ٤٤٢ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٨٤ ، الجوهري ــ الصحاح، ص ٣٣١ .
([٨]) المفضل ــ المفضليات ، ص ١٠٥ .
([٩])علقمة ــ ديوان ، ص ٥١ .
([١٠]) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١١٥ .
([١١]) قيس بن الخطيم ــ ديوان ، ص ١٣٥ .
([١٢]) حميد ــ ديوان ، ص ١٨ .
([١٣])امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٢٤٦ .
([١٤]) الهمداني – صفة ، ص ٣١٤ ، ابن رسته ــ الأعلاق ، ص ١١١ .
([١٥])المرقش الأصغر ــ شعر ، ص ٥٣٩ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٨٢ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص ٢٤٧١ .
([١٦]) عدي ــ ديوان، ص ٧١ .

البان : كان يؤخذ من نبات البان دهن تدهن به النساء أيديهن (١) ، ودهن به شعورهن (٢) ، وكان مصدر البان الشحر (٣) .

الدِهان : وهي مادة دهنية استخدمتها النساء كطلاء للشعر (٤) .

المَلاب : وهو عطر طلت به النساء نحورهن وأجسامهن (٥) .

الرَحْض : وهو نبات استخدمته النساء في تعطير الماء عند غسل الأيدي (٦) .

المردقوش : وهو عطر استخدمته النساء كطلاء لأجسامهن ولتعطير شعورهن عند التمشيط ، ويبدو أن لونه أحمر (٧) .

الجادي : ويبدو أنه أحد أنواع الزعفران ، وقد استعملته النساء لتعطير ملابسهن (٨) .

الخلوق : وهو مجموعة من العطور تخلط معاً ، وقد استخدمته النساء لتعطير جلودهن (٩) ، وتعطير شعورهن (١٠) .

الذريرة : وهو عطر على شكل مسحوق استخدمته النساء لتعطير شعورهن (١١) .

الألوة :وهو من العيدان التي تبخرت بها النساء (١٢) ، حيث كانت توقد في إناء يسمى مقطرة (١٣) ، ويوحي الشعر أن مصدرها الهند (١٤)، رغم أنها كانت تنتج في منطقة الشحر في حضرموت (١٥) .

---

(١) عدي ـــ ديوان، ص ٧٧ .
(٢)أمية ـــ ديوان ، ص ٣٩٠ .
(٣) الأصطخري ـــ المسالك ، ص ٢٧ ، ابن خرداذبه ـــ المسالك ، ص ١٤٧ -١٤٨ .
(٤) جران ـــ ديوان ، ص ١ .
(٥) الأعشى ـــ ديوان ، ص ٢٨٧ .
(٦) خفاف ـــ ديوان ، ص ٥٢ .
(٧) ابن مقبل ـــ ديوان ، ص ١٨٢ .
(٨) حسان ـــ ديوان ، ص ٢٥٥ .
(٩) السكري ـــ التلخيص ، ص ٧١٤ .
(١٠) قصائد ، ص ٦٩ ، أبو الفرج الأصفهاني ـــ الأغاني ، ج ١٤ ، ص ٦٩
(١١) قصائد ، ص ١١٢ .
(١٢) حسان ـــ ديوان، ص ٣٩٦ .
(١٣) حسان ـــ ديوان ، ص ٣٩٦
(١٤)حسان ـــ ديوان، ص ٣٩٦
(١٥)المقدسي ـــ أحسن ، ص ٩٧ .

الختان

عرف العرب عادة الختان للذكور والإناث ، ويطلق على ختان الإناث اسم الخفض ، ويبدو أن النساء هن من كن يقمن بالختان للذكور الأطفال أو الإناث ، وعملت بعض الحرائر بالختان ، فقد كانت أم عطية الأنصارية خافضة تخفض النساء في المدينة (١) ، ويلفت الانتباه في هذه الرواية ذكر خفض النساء ، وهذا يوحي أن عملية ختان النساء كانت تتم بعد البلوغ .

ويبدو أن النظرة الاجتماعية للخاتنات لم تكن جيدة ، فقد عاب حمزة بن عبد المطلب سباع بن عبد العزى الغبشاني بأن أمه خاتنة بقوله له : " يا ابن مقطعة البظور " (٢) .

ويبدو أن ختان النساء كان على عدة درجات حسب المقدار المقطوع ، وقد أوصى الرسول الخافضة بأن يكون المقدار المقطوع قليلاً ، فقال : "إذا خفضت فأشِمّي ولا تَنْهكي فإنه أحسن للوجه وأرضى للزوج " (٣) ، ونظر الإسلام نظرة إيجابية للختان ، فالختان من سنن الفطرة (٤) ، وقد أعيد الختان إلى زمن إبراهيم (٥) .

العادات الخلقية

الكرم

كان الكرم من أهم الفضائل التي اعتز بها العرب وامتدحوا بها ، فقد امتدح الشعراء الكريم ، قال الوليد بن عقبة مادحا لبيد بن ربيعة (المعروف بأبي عقيل) مبينا كرمه :

أرى الجزار يشحذ شفرتيه　　　　إذا هبت رياح أبي عقيل (٦)

وقال ابن ربعي الهذلي مادحا رقيبة ومبينا كرمه :

---

(١) الجاحظ ــ البيان ، ج ٢ ، ص ٢١ ، الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٧ ، ص ٢٨ ، أبو داود ــ السنن ، ج ٥ ، ص ٤٢١ ، ابن الجوزي ــ أحكام ، ص ٩ ، ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ٣٦٧ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٤٧٧ .
(٢) الواقدي ــ المغازي ، ص ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ١٢٨ ، البلاذري ــ فتوح ، ص ٧٠ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥١٦ ــ ٥١٧ ، الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٥ ، ص ١٩٤ . ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .
(٣) الجاحظ ــ البيان ، ج ٢ ، ص ٢١ .
(٤) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٧ ، ص ٢٧ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٣٤٧ .
(٥) ابن كثير ــ البداية ، ج ١ ، ص ١٥٧ .
(٦) ابن سلام الجمحي ــ الشعر، ص ١١٤ ، ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ١٥٠ ، الأصفهاني أبو الفرج ، ج ١٤ ، ص ٩٤ ــ ٩٥ .

أعيني ألا فابكي رقيبة إنه وصول لأرحام ومعطاء سائل

فأقسم لو أدركته لحميته وإن كان لم يترك مقالا لقائل (١)

وقد افتخر العرب بكرمهم ، قال كعب بن زهير :

هم الأصل مني حيث كنت وإنني من المزنيين المصفين بالكرم (٢)

كما ذم الشعراء البخلاء ، قال حسان بن ثابت :

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون من السواد المقبل (٣)

وكذلك فقد خلدت أمثال العرب الكرماء بضرب المثل فيهم ، فمن أمثال العرب التي تمتدح الكرم قولهم " أقرى من مطاعيم الريح " ، وقد قيل في لبيد ووالده ربيعة وفي كنانة بن عبد ياليل (٤) ، أما سبب تسميتهم بمطاعيم الريح ذلك أنهم كانوا يطعمون الناس إذا هبت الصبا ، (والصبا لا تهب إلا في الجدب) ، كذلك كانت قريش من مطاعيم الريح (٥) .

وكان الكرم أحد الأسباب الموصلة إلى السيادة ، كما يتضح من قول حاتم الطائي :

يقولون لي أهلكت مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولون سيدا (٦)

وكان العربي يكرم بأي شيء إلا بسيفه وفرسه ، إلا أن حاتم الطائي وصل به حد الكرم أن يذبح فرسه لجارة شكت له جوع بنيها (٧) .

ومن الأمثلة الأخرى على الكرم الشديد أن كعب بن مامة الإيادي هلك بسبب جوده عطشا ، لأنه أعطى الماء لغيره (٨) .

ومن مظاهر الكرم الأخرى عند العرب الضيافة ، فقد كان للعرب نار تسمى نار القرى ، وهي نار الضيافة توقد لاستدلال الأضياف بها على المنزل ، وكانوا يوقدونها على

---

(١) الجاحظ ــ البيان ، ج ١ ، ص ٢١٣ .
(٢) زهير ــ ديوان، ص ٩ .
(٣) ابن قتيبة ــ الشعر ، ص ٣٠٦ ، الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٥ ، ص ١٥٨ .
(٤) الميداني ــ مجمع ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
(٥) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٤١ .
(٦) حاتم ــ ديوان، ص ٤١ .
(٧) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ــ ٢٤٣ .
(٨) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ١ ، ص ٢٤٦ .

الأماكن المرتفعة ، وكان بعضهم يوقدها بالمندلي الرطب وهو عطر هندي ليهتدي إليها العميان (١) ، قال حاتم الطائي ، طالبا من غلامه إشعال نار القرى :

أوقد فإن الليل ليل قر ... والريح يا غلام ريح صر

عسى يرى نارك من يمر ... إن جلبت ضيفا فأنت حر (٢)

وقال عمرو بن عبد الله البجلي :

إذا أخمدت النيران من حذر القرى ... رأيت سنا ناري يشب اضطرامها (٣)

ومن أسباب اقتناء العرب للكلاب أنها تدل الأضياف على منازلهم بنباحها ، فقد كانوا يتخذون الكلاب ليهتدي إليهم من لم يعرف المنازل ، قال شريح بن الأحوص مشيرا إلى ذلك :

ومُسْتَنْبَح يبغي المبيت ودونه ... من الليل سِجْفَا ظلمة وستورها

رفعت له ناري فلما اهتدى بها ... زجرت كلابي أن يهر عقورها (٤)

وقال الشاعر :

ومستنبح بات الصدى يستتيهه ... فتاه وحَوْز الليل مضطرب الكسر

رفعت له نارا ثقوبا زنادها ... تليح إلى الساري هلم إلى قدري

وكانت تطير الشَوْل عرفان صوته ... ولم تمس إلا وهي خائفة العقر (٥)

وإذا ألم بأحدهم ضيف ظهرت البشاشة على وجهه وتلقاه بالترحيب والتكريم ، وحين يستقر بالضيف المقام يسرع إلى أهله ليجيئهم بطعام يدعى القرى بحيث لا يكاد يشعر به أحد ، قال عروة بن الورد معبرا عن ذلك :

سلي الجائع الغرثان يا أم منذر ... إذا ما أتاني بين ناري ومجزري

---

(١) الألوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ٥٣ .
(٢) حاتم ــ ديوان، ص ٥٩ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .
(٣) المرزباني ــ معجم ، ص ٢٢٣ .
(٤) التبريزي ــ شرح ، ج ٢ ، ص ٣٩٩ .
(٥) القالي ــ الأمالي ، ج ١ ، ص ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

هل أبسط ووجهي إنه أول القرى ... وأبذل معروفي له دون منكري (١)

وقال أيضا :

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ... ولم يلهني عنه غزال مقنع

أحدثه إن الحديث من القرى ... وتعلم نفسي أنه سوف يهجع (٢)

ومن ذلك أيضا قول الشاعر:

إنك يا ابن جعفر خير فتى ... وخيرهم لطارق إذا أتى

ورب نِضْوِ طرق الحي سرى ... صادف زادا وحديثا ما اشتهى

إن الحديث جانب من القرى (٣)

إن شدة اهتمام العرب بإكرام ضيوفهم وصلت ببعضهم أن يعدوا أنفسهم عبيدا لضيوفهم ، قال حاتم الطائي معبرا عن ذلك :

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا ... وما في إلا تلك من شيمة العبد (٤)

ومن مظاهر الكرم إطعام اللحم في الشتاء عندما يقل الطعام ، قالت الخنساء ترثي أخاها صخرا وتمتدحه بالإطعام في الشتاء :

وإن صخرا لوالينا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتو لمنحار (٥)

ومن مظاهر الكرم عند العرب لعب الميسر ، حيث كانوا يتقامرون على جزور (جمل) يجزئونه ثمانية وعشرين جزءا ، فإذا قمر أحدهم جعل أجزاء الجزور لذوي الحاجة وأهل المسكنة ، ويسمى هذا الإيسار، فإذا لم ييسر الشخص يسمى البرم ويعاب بذلك ، قال لبيد بن ربيعة متحدثا عن ذلك :

وجزور أيسار دعوت لحتفها ... بمغالق متشابه أجسامها

---

(١) عروة ــ ديوان، ص ٩٠ ، الجاحظ ــ البيان ، ج ١ ، ص ١٠ ، التبريزي ــ شرح ، ج ٢ ، ص ٢٥٨ .
(٢) عروة ــ ديوان، ص ١٠١ ، الجاحظ ــ البيان ، ج ١ ، ص ١٠ .
(٣) الجاحظ ــ البيان ، ج ١ ، ص ١٠ ، التبريزي ــ شرح، ج ٢ ، ص ٣٥٢ .
(٤) حاتم ــ ديوان ، ص ٤٤ .
(٥) الخنساء ــ ديوان ، ص ٥١ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٥ ، ص ٨١ .

أدعو بهن لعاقر أو مطفل   بدلت لجيران الجميع لحامها

فالضيف والجار الجنيب كأنما   هبطا تبالة مخصبا أهضامها ([١])

وقد فخر العرب بعدم إنزال القدر عن النار ، وبرحب فناء الدار ([٢]) ، وذلك دلالة على الكرم .

الثأر

كان من عادة العرب الأخذ بثأر من قتل منهم ، حيث كانوا يعتقدون أنه إذا قتل قتيل خرجت من رأسه هامة تصيح على قبره إذا لم يدرك بثأره : " اسقوني فإني عطشى " ، فإذا أدرك بثأره سكتت ([٣]) ، قال الشاعر :

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي   أضربك حتى تقول الهامة اسقوني ([٤])

ويبدو أن الثأر كان يقترن ببعض المظاهر التي تدل على أن صاحبها طالب ثأر ، ومن ذلك عدم التزين وعدم إتيان النساء ، فقد حلف أبو سفيان ألا يدهن ولا يقرب النساء حتى يأخذ بثأره لقتلى بدر ([٥]) ، وورد في المثل " لا ينام من أثار " ([٦]) ، وكذلك امتنع بعضهم عن شرب الخمر حتى يأخذوا بثأرهم ، قال امرؤ القيس بعد أن أخذ بثأر أبيه :

حلت لي الخمر وكنت امرأ   عن شربها في شغل شاغل

فاليوم أسقى غير مستحقب   إثما من الله ولا واغل ([٧])

وكان الشعراء يحضون ذوي القتلى على الأخذ بالثأر ، قالت الخنساء حاضة على طلب الثأر :

ولا أسالم قوما كنت حربهم   حتى تعود بياضا جونة القار

([١]) لبيد ــ ديوان ، ص ٣١٨ ، مغالق : قداح ، جنيب : غريب ، أهضام : بطون أودية .
([٢]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٨٨ .
([٣]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ١٠٥ .
([٤]) المبرد ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٣٢٦ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ١٠٥ ، القالي ــ الأمالي ، ج ١ ، ص ١٢٩ .
([٥]) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ١٢١ .
([٦]) الميداني ــ مجمع ، ج ٢ ، ص ٢٢ .
([٧]) امرؤ القيس ــ ديوان، ص ٣٦١ .

ولا نوم حتى تقودوا الخيل عابسة   ينبذن طرحا بمهرات وأمهار

أو تحفروا حفرة فالموت مكتنع   عند البيوت حصينا وابن سيار

أو ترحضوا عنكم عارا تجللكم   رحض العوارك حيضا عند أطهار ([1])

وقال عنترة حاضا على أخذ الثأر :

يا قيس إن صدورنا وقدت   بها نار بأضلعنا تشب وقودها

فانهض لأخذ الثأر غير مقصر   حتى تبيد من العداة عديدها ([2])

وقد افتخر البعض بأن نساءهم لا تنوح على قتلاهم ، لإدراكهن أنهم سيأخذون بالثأر ، قال عمرو بن كلثوم معبرا عن ذلك :

معاذ الإله أن تنوح نساؤنا   على هالك أو أن تضج من القتل ([3])

وأحيانا عندما لا تتمكن القبيلة من الأخذ بالثأر فإنهم يقبلون بالدية ، وكانت دية القبائل مئة من الإبل ، ودية الملوك والأشراف ألف بعير ، ودية الصريح ضعف دية المولى أو المستلحق ([4]) .

وعند قيام الصلح في إحدى المعارك تحدث نوع من التسوية للديات ، فقد قام الصلح في حرب الفجار على أساس حساب القتلى ودفع دية الزيادة ([5]) ، وعندما أصلح هرم بن سنان والحارث بن عوف بين عبس وذبيان تحملا ديات القتلى ([6]) .

ويحدث أحيانا الثأر بين أفراد القبيلة الواحدة نتيجة قيام أحد أفرادها بقتل الآخر ، قال قيس بن زهير العبسي :

شفين النفس من حمل بن بدر   وسيفي من حذيفة قد شفاني

([1]) الخنساء ـــ ديوان ، ص ٦٣ ـــ ٦٤ .
([2]) عنترة ـــ ديوان ، ص ٤٩ .
([3]) التبريزي ـــ شرح ، ج ١ ، ص ١٨٣ .
([4]) أبو الفرج الأصفهاني ـــ الأغاني ، ج ٣ ، ص ٦٥ .
([5]) ابن الأثير ـــ الكامل ، ج ١ ، ص ٥٩٥ .
([6]) ابن قتيبة ـــ الشعر ، ص ٦١ .

فإن أك قد بردت بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بناني (١)

وقال أعرابي قتل أخوه ابنه :

أقول للنفس تأساء وتعزية إحدى يدي أصابتني ولم ترد

كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي (٢)

حفظ الجوار

ومن عادات العرب حفظ الجوار ، قال أعرابي : " يدفع الرجل منا عمن استجار به من غير قومه كدفاعه عن نفسه " (٣) ، وقد قال قيس بن عاصم مفتخرا بحفظ الجوار :

لا يفطنون لعيب جارهم وهم لحفظ جواره فطن (٤)

وقال امرؤ القيس :

ألا إن قوما كنتم أمس دونهم هم منعوا جاراتكم آل غدران

عوير ومن مثل العوير ورهطه وأسعد في ليل البلابل صفوان (٥)

قال الأعشى :

يا هوذ إنك من قوم ذوي حسب لا يفشلون إذا ما آنسوا فزعا

قوم بيوتهم أمن لجارهم يوما إذا ضمت المحذورة الفَزَعا

وهم إذا الحرب أبدت عن نواجذها مثل الليوث وسمٍّ عاتق نقعا

غيث الأرامل والأيتام كلهم لم تطلع الشمس إلا ضرّ أو نَفَعا (٦)

وكان العرب تغضب للجار (٧) ، بل إن بعض أيام العرب كان سببها الاعتداء على الجار مثل أيام البسوس .

---

(١) المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ١٣٢ ــ ١٣٣ .
(٢) التبريزي ــ شرح ، ج ١ ، ص ٦٦ .
(٣) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ١ ، ١٠٥ .
(٤) المرزوقي ــ الأزمنة ، ج ٤ ، ص ١٥٨٤ .
(٥) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٨٣ ، بلابل : أحزان وأفكار .
(٦) الأعشى ــ ديوان ، ص ١٠٧ ، المحذورة : الحرب .
(٧) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ .

الشجاعة

يرى ابن خلدون أن الشجاعة من صفات أهل البادية ([١]) ، وقد تميز العرب بهذه الصفة وامتدحوا بها ، قال السموءل معبرا عن ذلك :

وإنا لقوم ما نرى القتل سبة   إذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا   لنا وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا سيد حتف أنفه   ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظباة نفوسنا   وليست على غير الظباة تسيل ([٢])

وقال الحصين بن الحمام المري مفتخرا بشجاعة قومه :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد   لنفسي حياة مثل أن أتقدما

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا   ولكن على أقدامنا تقطر الدما ([٣])

وقال حارثة بن بدر :

وشيب رأسي واستخف حلومنا   رعود المنايا فوقنا وبروقها

وإنا لتستحلي المنايا نفوسنا   وتترك أخرى مرة ما تذوقها

رأيت المنايا بادئات وعودا إلى   دارنا سهلا إليها طريقها ([٤])

وقال الشاعر :

صبرنا له حتى يبوح وإنما   تفرج أيام الكريهة بالصبر ([٥])

وقال عامر بن الطفيل :

طلقت إن لم تسألي أي فارس   حليلك إذ لاقى صداء وخثعما

([١]) ابن خلدون ــ العبر ، ج ١ ، ص ١٢٥ .
([٢]) السموءل ــ ديوان ، ص ١٢ ــ ١٣ ، التبريزي ــ شرح ، ج ١ ، ص ٢٩ ، الظباة : حد السيف .
([٣]) التبريزي ــ شرح ، ج ١ ، ص ٦٠ ــ ٦١ .
([٤]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٨ ، ص ٤٠١ .
([٥]) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

أكر عليهم دَعْلَجا ولبانه إذا ما ... اشتكى وقع الرماح تحمحما ([1])

وقال عنترة مفتخرا بشجاعته :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني ... أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل ... لا بد أن أسقى بكأس منهل
فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي ... إني امرؤ سأموت إن لم أقتل
إن المنية لو تمثل مثلت ... مثلي إذا نزلوا بضنك المنزل
والخيل ساهمة الوجوه كأنما ... تسقى فوارسها نقيع الحنظل
وإذا حملت على الكريهة لم أقل ... بعد الكريهة ليتني لم أفعل ([2])

وقد وصلت الشجاعة ببعض العرب إلى عدم التقنع في المواسم ، حيث كان من عادة الكثير من الفرسان التقنع في المواسم خوفا من الثأر ، فقد كان أبو سليط طريف بن غنم العنبري يأنف من أن يتقنع في المواسم والجموع ([3]) ، وقد عير درهم بن يزيد بن ضبيعة مالك بن العجلان أنه إذا شهد الحرب غير لباسه وتنكر ، فقال :

إنك لاق غدا غواة بني عمي ... فانظر ما أنت مزدهف
فأبد سيماك يعرفوك ... كما يبدون سيماهم فتعترف ([4])

ومن علامات الشجاعة عند بعض الفرسان التعلم في المعارك بعلامات معينة ، فقد كان حمزة يوم بدر معلما بريشة نعامة حمراء وكان الزبير بن العوام معلما بعمامة صفراء ([5]) .

([1]) عامر ــ ديوان ، ص ١٥٢ ، التبريزي ــ شرح ، ج ١ ، ص ٤٣ .
([2]) عنترة ــ ديوان ، ص ٩٧ ــ ٩٨ .
([3]) الجاحظ ــ البيان ، ج ٣ ، ص ١٠١ ، اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٣١٥ .
([4]) الجاحظ ــ البيان ، ج ٣ ، ص ١٠١ ــ ١٠٢ .
([5]) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٧٦ ، الجاحظ ــ البيان ، ج ٣ ، ص ١٠١ .

وقد لجأت بعض القبائل إلى جعل النساء والذاري يشهدون المعركة تشجيعا لأفرادها على الشجاعة والاستماتة في القتال ، فقد كانت مع مذحج يوم فيف الريح النساء والذراري حتى لا يفروا ([1]) .

وقد امتدح العرب الفرسان الشجعان ، قال خداش بن زهير بن ربيعة :

فأبلغ إن عرضت بنا هشاما ... وعبد الله أبلغ والوليدا
أولئك إن يكن في الناس خير ... فإن لديهم حسبا وجودا
هم خير المعاشر من قريش ... وأوراهم إذا قدحت زنودا
بأنا يوم شمطة قد أقمنا ... عمود المجد إن له عمودا
فجاؤوا عارضا بردا وجئنا ... كما أضرمت في الغاب الوقودا
فعانقنا الكماة وعانقونا ... عراك النمر واجهت الأسودا
فلم أر مثلهم هزموا وقلوا ... ولا كذيادنا عتقا نجودا ([2])

وقال زهير بن أبي سلمى :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم ([3])

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي :

وَقُرِّبَ للنطاح الكبشُ يمشي ... وطاب الموت من شرعٍ وورْدِ ([4])

وكانت الشجاعة من العوامل التي توصل إلى السيادة ، قال عامر بن الطفيل :

وإني وإن كنت ابن سيد عامر ... وفي السر منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

([1]) ابن الأثير ـــ الكامل ، ج ١ ، ص ٦٣٣ .
([2]) ابن سلام الجمحي ـــ طبقات ، ص ٥٣ ـــ ٥٤ .
([3]) الزوزني ـــ شرح ، ص ١٥٨ .
([4]) عمرو ـــ ديوان ، ص ٩٦ ، البحتري ـــ الحماسة ، ص ٣٩ ، الكبش : الرئيس ، شرع : يسير إلى الماء ، ورد : ورود الماء .

ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها   وأرمي من رماها بمِقْنَب (١)

وقد عد البعض الشجاعة معوضة عن كثرة العدد ، فقد كان بنو عبس " يوم الهباءة مئة لم يكثروا فيتواكلوا ولم يقلوا فيذلوا ، وكانوا يقهرون من ناوأهم بالصبر بعد اللقاء هنيهة ، وكانوا يوم الفروق مئة لم يكثروا فيفشلوا ولم يقلوا فيذلوا " (٢) .

العفة والشرف

عدت العرب صفة العفة من الفضائل ، قال عنترة :

ولقد أبيت على الطوى وأظله   حتى أنال به كريم المأكل (٣)

وقال أيضا :

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي   حتى يواري جارتي مأواها (٤)

وقد أقر الإسلام ذلك ، حيث قال الرسول عندما سمع قول عنترة هذا : " ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة " (٥) .

وقد امتدح العرب بصفة العفة ، فقالت الخنساء في رثاء أخيها صخر مشيدة بعفته :

لم تره جارة يمشي بساحتها   لريبة حين يخلي بيته الجار (٦)

وقد مدحت النساء أيضا بصفة العفة ، قال علقمة بن عبدة :

منعمة ما يستطاع كلامها   على بابها من أن تزار رقيب

إذا غاب عنها البعل لم تفش سره   وترضي إياب البعل حين يؤوب (٧)

وافتخر العرب بحفاظهم على أعراضهم ، قال الشاعر :

أصون عرضي بمالي لا أدنسه   لا بارك الله بعد العرض بالمال

---

(١) عامر ــ ديوان ، ص ٧٠ ، المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٥٥ .
(٢) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ١ ، ص ١٢٥ .
(٣) عنترة ــ ديوان ، ص ٥٧ ، الطوى : الجوع .
(٤) عنترة ــ ديوان ، ص ٧٦ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٦ ، ص ٢ .
(٥) الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٨ ، ص ٢٤٣ .
(٦) الخنساء ــ ديوان، ص ٥٢ .
(٧) علقمة ــ ديوان ، ص ٣٣ ، المفضل ــ المفضليات ، ص ٣٩١ .

أحتال للمال إن أودى فأجمعه   ولست للعرض إن أودى بمحتال (١)

وقال لبيد :

أقي العرض بالمال التلاد وأشتري   به الحمد إن الطالب الحمد مشتري

وكم مشتر من ماله حسن صيته   لأيامه في كل مبدى ومحضر

أباهي به الأكفاء في كل موطن   وأقضي فروض الصالحين وأقتري (٢)

وكان الحفاظ على الشرف من صفات العرب قبل الإسلام ، فقد قالوا : " كل شيء مهه ما خلا النساء وذكرهن " (٣) ، ومن الأمثلة على ذلك أن عبد الله بن المضرجي القتال الكلابي يحاول قتل ابن عمه زياد لأنه رآه يتحدث مع أخته التي يحبها (٤) .

الوفاء

كانت صفة الوفاء صفة إيجابية ، بينما كان الغدر صفة سلبية ، حيث كانوا يرفعون للغادر لواء في المواسم ليشهروا بغدره ، قال الحادرة المازني (قطبة بن أوس) :

أسمي ويحك هل سمعت بغدرة   رفع اللواء لنا بها في مجمع (٥)

وقال الشاعر :

وتوقد ناركم شزرا ويرفع   لكم في كل مجمعة لواء (٦)

وقد افتخر العرب بصفة الوفاء ، قال السموءل :

وفيت بذمة الكندي إني   إذا ما ذم أقوام وفيت

وأوصى عاديا يوما بألا   تهدم يا سموءل ما بنيت

بنى لي عاديا حصنا   وماء كلما شئت استقيت (٧)

---

(١) التبريزي ــ شرح ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ ــ ٣٢٠ .
(٢) لبيد ــ ديوان، ص ٤٦ ــ ٤٧ ، أقتري : أتتبع أفعال الصالحين .
(٣) الميداني ــ مجمع ، ج ٢ ، ص ١٣٢ ، مهه : غير مهم .
(٤) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢٤ ، ص ١٧٠ ــ ١٧١ .
(٥) الحادرة ــ ديوان ، ص ٥١ ، المفضل ــ المفضليات ، ص ٥٦ ، البحتري ــ الحماسة ، ص ٢١٦ ، ١٤١ .
(٦) زهير ــ ديوان، ص ٨٥ ، النويري ــ نهاية ، ج ١ ، ص ١١١ .
(٧) السموءل ــ ديوان ، ص ١٧ ــ ١٨ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢٢ ، ص ١١٩ .

حيث ضرب المثل بالسموءل لوفائه فقيل " أوفى من السموءل " ([١]) عندما قبل أن يذبح ابنه ولا يسلم أمانة امرئ القيس ، وقد ذكر الأعشى هذه القصة في شعره فقال :

كن كالسموءل إذ سار الهمام له   في جحفل كسواد الليل جرار

إذ سامه خطتي خسف فقال له   مهما تقله فإني سامع حار

فقال : ثكل وغدر أنت بينهما   فاختر وما فيهما حظ لمختار

فشك غير قليل ، ثم قال له :   اذبح هديك إني مانع جاري

واختار أدراعه أن لا يسب بها   ولم يكن عهده فيها بخَتّار ([٢])

وممن ضرب بهم المثل أيضا في الوفاء عوف بن محلم ، حيث قيل في المثل " أوفى من عوف بن محلم " ([٣]) وذلك عندما حمى عوف بن محلم مروان القرظ من عمرو بن هند وفاء له لأنه رد عليه ابنته خماعة عند أسرها .

العصبية

العصبية هي النصرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة ([٤]) ، وتقوم العصبية على النسب وهي لذلك تختلف باختلاف الالتحام بالأنساب ([٥]) ، وقد ظلت القبائل تحتفظ بتنظيمها القبلي على الرغم من اختلاط أنسابها وتداخل شعوبها بحكم اختلاطها بغير العرب ممن لا يعتبرون المحافظة على النسب في بيوتهم وشعوبهم ([٦]) ، وإذا اختلطت القبائل بمناطق متحضرة فإن خشونتها لا تلبث أن تتلاشى وتزول ([٧]) .

وقال العرب معبرين عن العصبية في المثل " في الجريرة تشترك العشيرة " ([٨]) ، قال الشاعر دريد بن الصمة معبرا عن ذلك :

([١]) الميداني ــ مجمع ، ج ٢ ، ص ٣٧٤ .
([٢]) الأعشى ــ ديوان ، ص ٧٩ ــ ١٨١ ، الجحفل : الجيش ، خسف : ذل ، هدي : أسير ، ختار : غادر .
([٣]) الميداني ــ مجمع ، ج ٢ ، ص ٣٧٥ ــ ٣٧٧ .
([٤]) ابن خلدون ــ العبر ، ج ١ ، ص ١٣٨ .
([٥]) ابن خلدون ــ العبر ، ج ١ ، ص ٤٢٤ .
([٦]) ابن خلدون ــ العبر ، ج ١ ، ص ٤٢٦ .
([٧]) ابن خلدون ــ العبر ، ج ١ ، ص ٤٣٨ .
([٨]) الميداني ــ مجمع ، ج ٢ ، ص ١٤ .

وهل أنا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد (١)

ويترتب على العصبية أن يذود الشخص عن عشيرته كما يتضح من قول حسان بن ثابت :

ولقد علمت بنو النجار أني أذود عن العشيرة بالحسام (٢)

يدل على صفة العصبية عند العرب قبل الإسلام المثل القائل : " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " (٣) ، الذي يحتم على العربي نصرة قريبه بغض النظر عن مدى صحة الفكرة التي يتبناها أو اعتقاده بها .

وقد افتخر العرب بأنسابهم ، قال المثقب العبدي :

إن بيتي من معد في الذرى ولي الهامة والفرع الأشم (٤)

ورأى العرب أهمية القتال عن الأحساب ، قال العباس بن مرداس السلمي :

نقاتل عن أحسابنا برماحنا فنضربهم ضرب المذيد الخوامسا (٥)

ومن الأمثلة على العصبية وقوف بني هاشم يحمون النبي على الرغم من عدم إيمانهم بالإسلام ، فقاطعتهم قريش وحصرتهم في أحد شعاب مكة ثلاث سنوات (٦)

وكانت العصبية تتدرج من عصبية العشيرة فالفخذ فالبطن فالقبيلة فالحلف (٧) .

ومن الأمثلة على افتخارهم بالعصبية قول قريط بن أنيف :

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا (٨)

وقال ابن مستطاع العنبري : " لو غضب مالك لغضب معه مئة ألف سيف ، لا يسألونه في أي

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٠ ، ص ٨ ، التبريزي ــ شرح ، ج ١ ، ص ٣٣٧ .
(٢) حسان ــ ديوان ، ص ٣٣٨ .
(٣) الميداني ــ مجمع ، ج ٢ ، ص ٣٣٤ .
(٤) المثقب ــ ديوان ، ص ٢٢٩ ، المفضل ــ المفضليات ، ص ٢٩٤ .
(٥) العباس ــ ديوان ، ص ٧٠ ، الجاحظ ــ البيان ، ج ٣ ، ص ٧٠ ، المذيد : من يعين على ما تذود ، الخوامس : الإبل .
(٦) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٣٧٥ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٣٦ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ٨٨ .
(٧) ابن خلدون ــ العبر ، ج ١ ، ص ١٢٨ ــ ١٢٩ .
(٨) المرزوقي ــ الحماسة ، ج ١ ، ٢٧ ــ ٢٩ .

شيء غضب " ([١]) .

الاحتفالات والأعياد والمواسم والمناسبات

الحج

كان الحج أحد المواسم التي يقوم بها العرب كل عام ، وفي البداية لا بد من الإشارة أن الحج لم يكن مقصورا على مكة ، فقد كان هناك أماكن أخرى في الجزيرة العربية يحج العرب إليها ، ومن ذلك الحج إلى بيت اللات في الطائف ([٢]) ، إلا أنه لا يبدو أن الحج إلى هذه الأماكن كان يتخذ صفة عموم كافة القبائل العربية كما هو الحال في الحج إلى مكة .

كان الحج إلى مكة أحد المواسم التي يحتفل بها العرب كل عام ، وكان هذا الموسم يقع في شهر ذي الحجة ، وكان موسم الحج يضع على عاتق قريش بعض المسؤوليات ، ومن ذلك السقاية والرفادة ، فالسقاية " حياض من أدم كانت على عهد قصي توضع بفناء الكعبة ويحمل إليها الماء العذب من الآبار على الإبل ويسقاه الحاج " ([٣]) ، وأما الرفادة فإطعام الحاج ، وكان صاحب الرفادة يتحمل جزءا من ماله الخاص ، بينما تتحمل قريش الباقي ، لذلك كان يعهد بها إلى الرجال الأغنياء ([٤]) ، وقد تولى قصي وظيفة الرفادة بنفسه ، وتولاها فيما بعد هاشم بن عبد مناف ، والمطلب بن عبد مناف ، وعبد المطلب والعباس بن عبد المطلب وكلهم من تجار وأثرياء قريش ([٥]) .

كان العرب يعتقدون أن الحج بدأ منذ عهد إبراهيم وإسماعيل ، اللذان قاما ببناء البيت الحرام ([٦]) ، وقد أقر الإسلام الحج بعد تخليصه من آثار الوثنية ، كما اعتقدت قريش بحرمة

([١]) ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ١ ، ص ١٠٥ .
([٢]) الكلبي ــ الأصنام ، ص ١٦ .
([٣]) الأزرقي ــ أخبار ، ص ١١٠ .
([٤]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٤٣ .
([٥]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، الأزرقي ــ أخبار، ص ١١٠ ــ ١١١ .
([٦]) الأزرقي ــ أخبار ، ص ٦٦ .

البيت (١) ، فحرموا ارتكاب أعمال معينة فيه ، فحرموا القتال وسفك الدماء فيه ، أو عضد (قطع) الشجر فيه ، وقد أقر ا‍لسلام هذا المبدأ أيضا (٢) .

كانت الطقوس الدينية للحج تتكون من تعظيم البيت ، والطواف به ، والوقوف على عرفة ومزدلفة وإهداء البدن (٣) ، وقد أرجع العرب الطواف وأعمال الحج إلى إبراهيم (٤) .

وعلى الرغم من اشتراك العرب جميعهم في هذا الموسم ، إلا أن بعض شعائر الحج كانت تقوم بها بعض القبائل ولا تقوم بها قبائل أخرى ، ومن ذلك السعي بين الصفا والمروة ، حيث لم يكن أهل يثرب يطوفون بينهما ، وقد عللوا ذلك لأنه وجد على الصفا والمروة صنمان وهما على صورة رجل وامرأة اعتقد العرب أنهما مسخا حجرين لفجورهما بالكعبة (٥) .

كذلك فإن الأوس والخزرج كانوا بعد الوقوف بعرفة لا يحلقون رؤوسهم في منى ، بل كانوا يأتون إلى صنم مناة ، ويحلقوا رؤوسهم ويقيمون عنده ، لا يرون لحجهم تماما إلا بذلك " (٦) .

ومن الأمور الأخرى التي اختلفت فيها القبائل العربية صيغة التلبية ، فكانت تلبية قريش : " لبيك اللهم ، لبيك ، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك " ، وتلبية كنانة : " لبيك اللهم لبيك ، اليوم يوم التعريف ، يوم الدعاء والوقوف " ، وكانت تلبية أسد : " لبيك اللهم لبيك ، يا رب أقبلت بنو أسد أهل التواني والوفاء والجلد إليك " (٧) ، وكانت تلبية نزار مماثلة لتلبية قريش وهي : " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك " ، وكانت تلبية عك إذا خرجوا حجاجا قدموا أمامهم غلامين أسودين فكانا أمام

---

(١) ابن الأثير ــ جامع ، ج ٤ ، ص ٧ .
(٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٥٨ .
(٣) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ٩ .
(٤) الأزرقي ــ أخبار ، ص ٤٠ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ابن كثير ــ البداية ، ج ١ ، ص ١٥٥ .
(٥) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ٩ ــ ٢٩ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٨٤ ، الأزرقي ــ أخبار ، ص ١١٩ ، ابن كثير ــ البداية ، ج ٢ ، ص ١٨٥ ــ ١٩١ .
(٦) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ١٤ .
(٧) اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٢٩٦ .

ركبهم فيقولان : " نحن غرابا عك " فتقول عك من بعدهما : " عك إليك عانية ، عبادك اليمانية ، كيما نحج الثانية " (١) ، وعندما جاء الإسلام ألغى الصيغ السابقة وأقر صيغة موحدة وهي تلبة الإسلام : " لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك " (٢) .

كذلك فقد اختلفت شعائر الحج حسب الفئة الدينية التي ينتمي لها العرب ، فكان للحمس شعائرهم التي تختلف عن شعائر الحلة ، أو شعائر الطلس ، إلا أن الجميع كانوا يشتركون في هذا الموسم في الوقت نفسه من السنة .

لم تكن إدارة أعمال الحج مقصورة على قريش ، بل كانت تشترك فيها قبائل أخرى ، ومن ذلك أن أمر الإجازة بالحجيج ، وهو الإشراف على انتقال الناس من عرفة إلى منى لرمي الجمار (٣) ، حيث كانت الإجازة لصوفة ، وهم حي من مضر من بني الغوث بن مر ، وبعد انقراضهم انتقلت الإجازة إلى بني سعد بن زيد مناة (من تميم) ، وكانوا يخدمون الكعبة ، وهم الذين يبدأون بالرمي فلا ترمي الناس حتى يرمون (٤) .

لم تكن زيارة مكة مقصورة على موسم الحج ، فقد كان العرب يزورون مكة في أي وقت من السنة لأداء العمرة ، والتي تقتصر أعمالها على الطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة (٥) ، وقد أقر الإسلام العمرة أيضا .

الأعياد

ارتبطت أعياد العرب قبل الإسلام بالعبادات الوثنية ، وقد أدى هذا إلى اختلاف مواسم الأعياد (٦) ، فكان لكل حاضرة صنم كاللات لأهل الطائف والعزى لأهل مكة ومناة لأهل

---

(١) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ٧ .
(٢) البخاري ــ صحيح ، ج ٢ ، ص ٥٦١ .
(٣)ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٢٦ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢٥ ــ ١٢٦ .
(٥) ابن منظور ــ لسان ، مادة عمر .
(٦) ابن كثير ــ تفسير ، ج ٣ ، ص ٢٢٢ ــ ٢٣٤ .

المدينة ، وهناك مواسم للاجتماع في هذه الأماكن يقصدونها ويطوفون بها وينحرون عندها ولها سدنة وحجاب (١) .

وكان لدى قريش أعياد عند أصنام يعظمونها وينحرون لها ويعكفون عندها ويديرون بها (يطوفون جولها) ، وكان العيد في كل سنة يوما (٢) .

ويبدو أن هذا العيد كان يعقد في رجب ، إذ يذكر أن نساء مكة كن يحتفلن في عيد لهن في رجب ، وكن لا يتركن شيئا من إكبار ذلك العيد إلا أتينه كما كن يعتكفن عند الأوثان (٣) .

وكان لأهل يثرب يومان يعيدون فيهما ، يلعبون ويستأنسون ، فلما قدم الرسول للمدينة أبدلهما بيومي الفطر والأضحى (٤) ، ويبدو أنهما يوما النيروز والمهرجان (٥) ، وهما عيدان فارسيان ، ويبدو أن يثرب عرفتهما خلال فترة خضوعها للحيرة ، حيث يذكر الطبري أنه كان يؤدى إلى الحيرة خراج من قريظة والنضير (٦) .

ومن العادات المرافقة للأعياد التزين بأحسن الملابس ولعب الصبيان والغناء والزمر والضرب بالدفوف والمزاهر وقول الأراجيز وإنشاد الشعر ، " فغنى الرجال والنساء واستخدم الحبش للضرب على الدف والغناء ، حيث كان العرب في أعيادهم يتزينون بأحسن الثياب والملابس ويتسابقون على الخيل وييسر الأجواد (يلعبون بالميسر) ، ويلعب الصبيان ، ويزمرون بالدفوف والمزاهر ، ويتغنون بالشعر " (٧) .

يبدو أن الأعياد كانت ترتبط بالحج إلى الأوثان والأصنام ، ويبدو أن هذا يفسر إلغاء الإسلام جميع الأعياد السابقة وعدم اعترافه بها .

---

(١) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ١٣ ، ١٦ ، ٢٧ .
(٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .
(٣) ابن سعد ــ الطبقات، ج ٨ ، ص ١٥ .
(٤) القلقشندي ــ صبح ، ج ٢ ، ص ٤١٦ .
(٥) الألوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ٣٦٤ ، انظر : جواد علي ــ المفصل ، ج ٥ ، ص ١٠١ .
(٦) الطبري ــ تاريخ ، ج ٣ ، ص ٣٦٢ .
(٧) النويري ــ نهاية ، ج ٤ ، ص ١٣٨ ــ ١٤٨ ، الألوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ٣٦٧ ، انظر : جواد علي ــ المفصل : ج ٥ ، ص ١٠٥ .

فقد كان العرب يحجون إلى اللات وهو لأهل الطائف ، واعتقدوا أنه كان رجلا صالحا يلت السويق للحاج ، فلما مات عكفوا على قبره مدة ، ثم اتخذوا تمثاله وبنوا عليه بنية سموها بيت الربة (١) .

وكانوا يحجون إلى العزى وكانت لأهل مكة قرب عرفات ، حيث كان هناك شجرة يذبحون عندها ويدعون (٢) .

وكانوا يحجون إلى مناة وكانت لأهل المدينة يهلون لها شركا بالله ، وكانت حذو قديد الجبل الذي بين مكة والمدينة من ناحية الساحل (٣) .

وكان للات والعزى ومناة مواسم من السنة مخصوصة للاجتماع فيها ، وكانت العرب تقصدها وتعظمها كتعظيم الكعبة ، وكان لها سدنة وحجاب ، وكانوا يهدون إليها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها وينحرون عندها (٤) .

وكان ذو الخلصة بيتا باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب يعبدونها ولهم فيه من السنة موسم وعيد ، وكانوا يلبسونه القلائد ويجعلون عنده بيض النعام ويذبحون عنده (٥) .

وكان لأهل نجران نخلة طويلة لها عيد وموسم في كل سنة ، فإذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وحلي النساء ثم خرجوا إليها وعكفوا عليها يوما (٦).

ومن الأعياد يوم السباسب ، وهو عيد عند الغساسنة ، ويبدو أنه أحد الشعانين (٧).

وهناك مناسبات أسبوعية ، فقد كانت قريش تجتمع إلى كعب بن لؤي يوم الجمعة فيخطب فيه على قريش (٨) ، ولا يبدو أن لهذا اليوم أي دلالة دينية ، كما يرد أن كعب بن لؤي كان من الأحناف ، وهذا يفسر إقرار الإسلام هذه العادة .

---

(١) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ١٦ ، الألوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ٣٤٦ .
(٢) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ١٨ ، الألوسي ــ بلوغ ، ص ٣٤٦ .
(٣) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ١٣ ، الألوسي ــ بلوغ ، ص ٣٤٦ .
(٤) الألوسي ــ بلوغ ، ص ٣٤٦ .
(٥) ابن الكلبي ــ الأصنام ، ص ٣٥ ، الألوسي ــ بلوغ ، ص ٣٤٦ .
(٦) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٣٤ ، الألوسي ــ بلوغ ، ص ٣٤٧ .
(٧) النابغة الذبياني ــ ديوان ، ص ٩٠ ، الألوسي ــ بلوغ ، ص ٣٤٦ .
(٨) الأاوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ٣٧٦ .

وقد عظم اليهود يوم السبت فكانوا لا يعملون يوم السبت (١) ، وعظم النصارى يوم الأحد فكانوا لا يعملون يوم الأحد (٢) .

الأسواق

كانت الأسواق أماكن للبيع والشراء بالدرجة الأولى (٣) ، وكان هناك نوعان من الأسواق : الأسواق الداخلية وتكون في المدن لسد احتياجات المدينة التجارية ، ومن أمثلتها سوق مكة الذي كان يسمى الحزورة (٤) ، وأسواق يثرب (٥) مثل سوق زبالة (٦) ، وسوق الجسر في بني قينقاع (٧) وسوق الصفاصف وسوق مزاحم (٨) وسوق ضراج (٩) وسوق الحرض (١٠) .

أما النوع الثاني من الأسواق فهو الأسواق الموسمية ، وتقام في أماكن معروفة بموقع جغرافي من حيث توفر الماء أو القرب من المدن الهامة أو البحر ، وتقام في شهور معينة من السنة حيث ينتقلون من بعضها إلى بعض ويحضرها سائر العرب بما عندهم من حاجة إلى بيع أو شراء (١١) ، وكانت فرصة لفض المنازعات القبلية من دفع ديات وفك أسر وعقد حلف وجوار أو خلع سفيه أو ثأر من قاتل أو لاتصال بالقبائل وزعمائها ، أو لعثور شخص على قاتل أبيه الفار ، فيتربص حتى تنفض السوق أو يخرج القاتل الهارب منها ، لذا تلثم فرسان

(١) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٣ ، ص ٢٤١ ــ ٢٤٢ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٣ .
(٣) ابن منظور ــ لسان ، مادة سوق ، وانظر حول الأسواق العربية قبل الإسلام : جواد علي ــ المفصل ، ج ٨ ، ص ١٥٩ ، وانظر أيضا :
INQUIS AND GUICHARD - SUQ , EI2 , VOL 9 , P 786 - 789 .
(٤) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة حزورة ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .
(٥) ابن شبه ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .
(٦) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٠٥ ــ ٣٠٦ .
(٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .
(٨) السمهودي ــ وفاء ، ج ٢ ، ص ٧٤٧ .
(٩) ابن شبة ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٣٠٥ ــ ٣٠٦ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٣٠٦ .
(١١) المرزوقي ــ الأزمنة ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

العرب في الأسواق بلثام حتى لا يعرفوا من ذوي الثارات ([1]) ، وأول عربي كشف قناعه ظريف بن غنم العنبري ففعلت العرب مثله ([2]) .

ومن أشهر هذه الأسواق الموسمية سوق عكاظ ، الذي كان موسما تجاريا ولإنشاد الشعر ([3]) ، وتقع عكاظ في ديار قيس عيلان وثقيف وهوازن ([4]) ، وقد وفد إلى سوق عكاظ قريش وسائر العرب إلا أن أكثرمن وفد إليها كان من مضر ([5]) ، وكان يعقد هذا السوق من منتصف ذي القعدة حتى هلال ذي الحجة لمدة عشرين يوما ([6]) .

كان سوق عكاظ موسما لإنشاد الشعر ، فقد أنشد عمرو بن كلثوم معلقته في عكاظ ([7]) ، وكانت تضرب في عكاظ للنابغة الذبياني قبة من أدم ، فيجلس لسماع من يريد أن يفتخر بشعره على غيره ثم يدلي برأيه ، فقد احتكم إليه الأعشى وحسان بن ثابت والخنساء ([8]) .

ولم يقتصر سوق عكاظ على التجارة والشعر ، بل كان يتم فيه افتداء الأسرى ، والقضاء ، فقد سمي المكان الذي يجتمعون فيه في عكاظ الابتداء ، وكان يفد إليه قريش وهوازن وسليم والأحابيش والمصطلق وطوائف من العرب ، فمن كان له أسير سعى في افتدائه ، ومن كانت له حاجة ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة ، حيث كان يقوم بأمر الحكومة في هذه السوق أناس من تميم منهم الأقرع بن حابس ([9]) .

([1]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٣٢ ، الأفغاني ــ أسواق ، ص ٣٠٢ .
([2]) اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٣١٥ .
([3]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١١ ، ص ٦ ، انظر أيضا الأفغاني ــ الأسواق ، ص ٣١٥ ، جواد علي ــ المفصل ، ج ٧ ، ص ٣٨٢ ..
([4]) الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٩٠ .
([5]) اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٣١٥ .
([6]) البيروني ــ الآثار ، ص ٣٢٨ ، المرزوقي ــ الأزمنة ، ج ٢ ، ص ١٦٥ .
([7]) الهمداني ــ صفة ص ٣٢٢ ، الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١١ ، ص ٥٤ .
([8]) الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١١ ، ص ٦ .
([9]) القلقشندي ــ صبح ، ج ١ ، ص ٤١٠ ، انظر : الأفغاني ــ أسواق ، ص ٢٩١ ..

بعد انفضاض سوق عكاظ تقام سوق مجنة (١) قرب مكة في أرض كنانة في الأيام العشر الأخيرة من ذي القعدة (٢) ، ثم سوق ذي المجاز (٣) في الأيام الأولى من ذي الحجة حتى الثامن منه (٤) وهي لهذيل على يمين الموقف من عرفة قريبة من كبكب (٥) .

ويبدو أن حضور هذه الأسواق الثلاثة كان مرتبطا بالحج ، فقد كانت قريش وغيرها من العرب تقول : " لا تحضروا سوق عكاظ ومجنة وذي المجاز إلا محرمين بالحج " ، ويلاحظ أن هذه الأسواق الثلاثة كانت تعقد في الأشهر الحرم ، وهذا يضفي جوا من الأمان في هذه الأسواق ، حيث " كانوا يعظمون أن يأتوا شيئا من المحارم أو يعدو بعضهم على بعض في الأشهر الحرم وفي الحرم " (٦) .

ومن الأسواق الأخرى سوق بدر قرب يثرب (٧) ، وسوق دومة الجندل في أول يوم من ربيع الأول إلى نصف الشهر (٨) ، وسوق هجر (في البحرين) ، في ربيع الآخر ، وسوق عمان إلى أواخر جمادى الأولى ، وسوق المشقر (واختلف في موقعه فذكر أنه جبل لهذيل (٩) أو حصن بالبحرين) (١٠) في أول يوم من جمادى الآخرة إلى آخره (١١) ، وسوق صحار (في عمان) لعشر من رجب لمدة خمسة أيام (١٢) ، وسوق الشحر (في حضرموت) في النصف من شعبان (١٣) ، وسوق عدن أبين (١٤) ، من أول رمضان إلى العاشر منه (١٥) ،

---

(١) الزمخشري ــ الأمكنة ، ص ٥٩ .
(٢) الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٨٨ ــ ١٩٠ .
(٣) الزمخشري ــ الأمكنة ، ص ٩٣ .
(٤) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٦٧ ، الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٨٨ .
(٥) الأزرقي ــ أخبار ، ص ١٩٠ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٩٢ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٨٨ ــ ١٩٠ .
(٨) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٨٣ ، البيروني ــ الآثار ، ص ٣٢٨ .
(٩) الزمخشري ــ الأمكنة ، ص ١٣٢ .
(١٠) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة المشقر ، ج ٥ ، ص ١٣٤ .
(١١) المرزوقي ــ الأزمنة ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .
(١٢) البيروني ــ الآثار ، ص ٣٢٨ .
(١٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢٨ .
(١٤) الزمخشري ــ الأمكنة ، ص ١٦٧ .
(١٥) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٦٦ ، البيروني ــ الآثار ، ص ٣٢٨ .

وسوق صنعاء [١] وتقام في صنعاء [٢] في النصف من رمضان إلى آخره [٣] ، وسوق حضرموت في النصف من ذي القعدة ، وسوق حباشة (في تهامة) [٤] ، وسوق حجر (في اليمامة) يوم عاشوراء إلى آخر المحرم [٥] .

نبوغ شاعر

يبدو أن نبوغ شاعر في قبيلة ما كان أحد المناسبات التي يحتفل بها العرب ، حيث يرد أن " القبائل كانت تهنئ القبيلة التي نبغ فيها شاعر وتصنع الأطعمة ويجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ويتباشر (يفرح) الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذب عن أحسابه وتخليد لمآثرهم وإشادة بذكرهم ، وكانوا يهنئون بغلام يولد وشاعر ينبغ وفرس تنتج " [٦] ، وكان الشاعر يحضر في الأسواق التي تقام في السنة ، والمواسم عند حج البيت حتى تقف وتجتمع القبائل والعشائر فتسمع شعره ، ويفخرون بذلك [٧] .

العودة من السفر

وكانت العودة من السفر من المناسبات التي يحتفل بها العرب ، حيث كانوا عند العودة من السفر ، يقدم المهنئون تهانيهم ويقولون : " سفر رجيع " ، وكان أول ما يفعله المسافر عند عودته هو الطواف بالبيت إذا كان من سكان مكة والصنم الذي يعبد وشكر رب البيت على حمايته له وإغداقه نعمته بالعودة سالما [٨] .

الأتراح

كان الموت سببا في الحزن والأتراح ، وقد ارتبط الموت بعادات ترتبط بالميت نفسه ، وعادات ترتبط بأهل الميت وإظهارهم الحزن عليه .

---

(١) ابن رسته ــ الأعلاق ، ص ١١٠ .
(٢) المصدر نفسه، ص ١١١ .
(٣) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٦٦ ، البيروني ــ الآثار، ص ٣٢٨ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٦٩.
(٥) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٦٧ ، الهمداني ــ صفة ، ص ١١٣ .
(٦) ابن رشيق ــ العمدة ، ج ١ ، ص ٣٧ .
(٧) اليعقوبي ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٣٠٤ .
(٨) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٨٥ ، ابن كثير ــ البداية ، ج ٢ ، ص ١٩١ ــ ١٩٢ .

ففيما يتعلق بالميت عرف العرب قبل الإسلام عادة غسل الميت وتكفينه (١) وتحنيطه (٢) حيث استعملت أنواع العطور المختلفة في تحنيط الميت .

وكان الميت يحمل إلى القبر على سرير من خشب يسمى الظَعْن أو الحَرَج أو الإران (٣) .

ولم تكن القبور جميعها على هيئة واحدة ، فكان أهل مكة يضرحون وأهل المدينة يلحدون (٤) ، والفرق بين الضريح واللحد بأن الضريح يكون دفن الميت في وسط القبر وذلك بشق الأرض نزولا بشكل عمودي ثم يوضع فيها الميت ثم يغطى القبر (٥) ، أما اللحد فيكون دفن الميت في جانب القبر وذلك بحفر الأرض بشكل أفقي مثل النفق ثم يوضع فيها الميت ثم يغلق القبر من الجانب (٦) .

أما كيفية إظهار الحزن على الميت ، فقد كان من عادات العرب قبل الإسلام عند الموت التدام النساء وضرب الوجه عند الموت (٧) ، وأن تنعى الميت النساء ويشققن عليه جيوبهن ، قال طرفة بن العبد

فإن مت فانعيني بما أنا أهله   وشقي علي الجيب يا ابنة معبد (٨)

وكذلك كانت النساء يخمشن وجوههن ويحلقن شعورهن عند وفاة قريب ، قال لبيد :

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما   وهل أنا إلا من ربيعة ومضر

فقوما وقولا بالذي تعلمانه   ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر

وقولا هو المرء الذي لا صديقه أضاع   ولا خان الأمين ولا غدر

---

(١) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .
(٢) مالك ــ الموطأ ، ص ٢٧ .
(٣) العسكري ــ التلخيص ، ص ٤٢٩ .
(٤) مالك ــ الموطأ، ص ١٥٤ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٣١٣ .
(٥) العسكري ــ التلخيص ، ص ٤٢٩ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٤٢٩ .
(٧) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .
(٨) طرفة ــ ديوان ، ص ٤٢ ، التبريزي ــ شرح ، ص ١٩٦ ، الزوزني ــ شرح ، ص ٩٩ .

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر ([1])

كما كانوا يرثون موتاهم بذكر مفاخرهم في الشعر ، فقد قالت بنات عبد المطلب في رثائه :

ألا يا عين جودي واستهلي وبكي ذا الندى والمكرمات

ألا يا عين ويحك أسعفيني بدمع من دموع هاطلات

وبكي خير من ركب المطايا أباك الخير تيار الفرات

طويل الباع شيبة ذا المعالي كريم الخيم محمود الهبات

عقيل بني كنانة والمرجى إذا ما الدهر أقبل بالهنات ([2])

وقال حازم بن أبي طرفة الحارث بن قيس بن يعمر بن الشداخ الكناني موصيا ابنته ما تقول في رثائه :

بنية إن الموت لا بد لاحق بشيخك ماضي الأنام المودع

فإن قمت تبكيني فقولي أبو الندى ومأوى رجال بائسين وجوع ([3])

وقال الشاعر في رثاء قيس بن عاصم المنقري :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما ([4])

وعند مجيء الإسلام نهى عن الصلق (وهو اللطم) والحلق والشق ([5]) .

وأشد ما يكون الرثاء للمقتول ، فكانت النساء يندبن المقتول ويحسرن رؤوسهن ويلطمن وجوههن ، قال الشاعر :

من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوانا بوجه نهار

([1]) لبيد ــ ديوان ، ص ٢١٣ ــ ٢١٤ ، الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٥ ، ص ٣٧٩ .
([2]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٨١ ، السهيلي ــ الروض ، ج ١ ، ص ١٩٧ .
([3]) الآمدي ــ المؤتلف ، ص ١٠٠ .
([4]) التبريزي ــ شرح ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .
([5]) مسلم ــ صحيح ، ج ١ ، ص ٨٢ ــ ١٠٠ .

يجد النساء حواسرا يندبنه   يلطمن حر الوجه بالأسحار (١)

وكانت مدة المناحة على الميت سبعة أيام ، فقد أقام قبيصة بن الأسود المناحة على زيد الخيل سبعة أيام (٢) .

ومن العادات عند العرب صنع الطعام لأهل من مات (٣) ، فقد كان جيران الميت يقومون بتزويد أهل الميت بالطعام عند وفاته .

ومن العادات المرافقة للموت الذبح على قبر الميت وتوزيع اللحم على المحتاجين ، والبقاء عند قبر الميت بعد دفنه ، فقد أوصى عمرو بن العاص أهله بنحر الجزور على قبره وتوزيع لحمها على المحتاجين والإقامة حول قبره حتى يستأنس بهم (٤) ، وقد نهى الإسلام عن ذلك ، حيث قال الرسول : " لا عقر في الإسلام ولا فرع ولا عتيرة " (٥) .

أما عند وفاة الزوج فكانت المرأة " تحلق شعرها وتمزق جيوبها وتلطم خديها وتعفر رأسها بالتراب والطين ، وتغمس قطنة من دمها ، وتضعها على رأسها ، وتخرج طرف قطنتها من خرق في قناعها ليعلم الناس أنها مصابة ، ويسمى ذلك السِقاب ، وترفع صوتها بالنياحة ، وتمسك بنعلين وتصفق بهما وجهها وصدرها لمدة عام ، تمتنع عن الزينة والطيب امتناعا كاملا ولا تمس ماء ولا تقلم ظفرا ولا تزيل شعرا ، ويمتنع الخطاب عن طلب يدها ، وتدخل حِفْشا (بيتا صغيرا) ، وتلبس شر ثيابها ، وتقضي فيه مدة حدادها ، ولم يكن ورثة الزوج يرون أن من واجبهم النفقة عليها طيلة هذه الفترة ، فإذا ما انتهت عدتها تخرج من الحفش ، وتعطى بعرة ترمي بها كلبا ، وتدلك جسمها بدابة حمار أو شاة أو طائر ، ورمي البعرة إشارة إلى انتهاء العدة " (٦) .

---

(١) النويري ــ نهاية ، ج ٣ ، ص ٢٢ ، القلقشندي ــ صبح ، ج ١ ، ص ٤٠٥ .
(٢) الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ٢٤٩ .
(٣) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٢ .
(٤) مسلم ــ صحيح ، ج ١ ، ص ١١٢ ــ ١١٣ .
(٥) البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ٢٠٨٣ .
(٦) النويري ــ نهاية ، ج ٣ ، ص ١٢٠ ، القلقشندي ــ صبح ، ج ١ ، ص ٤٠٣ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ١٦٦ .

وقد فسر رمي البعرة بأنه " رمي للعدة أو أنه من التربص والصبر على البلاء ورميها استحقارا لها وتعظيما لحق زوجها أو للتفاؤل بعدم عودها إلى مثل ذلك أو أن مقامها حولا أهون عليها من بعرة ترمي بها كلبا أو غيره " ([١]) .

ولم يكن من المقبول أن يزور الرجل قبر زوجته ، فكان يعاب الزوج إذا زار قبر زوجته وقد يرثيها شعرا ونثرا ويمتدح خصالها ولا يتقبل التعازي بها إلا إذا كانت أما لولده وتدفن المرأة قرب زوجها ([٢]) .

وسائل الترويح والتسلية

الغناء والموسيقى

عرف العرب قبل الإسلام عدة أنواع من الغناء ، ومنها غناء الحداة في حداء الإبل ([٣]) ، (وهو الغناء الذي يغنيه سائق الإبل لإبله أثناء سوقه لها) ، وهناك أنواع أخرى من الغناء مثل غناء النَصْب وهو غناء الركبان والفتيان ويستعمل في المراثي ، والسِناد الثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات ، والهَزْج الخفيف الذي يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار ([٤]) .

وقد تميز أهل يثرب بحبهم للغناء ، حيث يوصف أهل يثرب بأنهم أهل طرب ويحبون الغناء ([٥]) .

ويبدو أن المغنين والمغنيات اشتهروا في الحيرة ([٦]) ، حيث تميز نوع خاص من الغناء يسمى غناء أهل الحيرة .

وكان الغناء من مهمات الجواري بصورة أساسية ، فقد كان لعبد الله بن جدعان قبنتان

([١]) النويري ــ نهاية ، ج ٣ ، ص ١٢٠ ، القلقشندي ــ صبح ، ج ١ ، ص ٤٠٣ ، الألوسي ــ بلوغ ، ج ٢ ، ص ٥١ .
([٢]) النويري ــ نهاية ، ج ٣ ، ص ١٢٠ ، القلقشندي ــ صبح ، ج ١ ، ص ٤٠٣ .
([٣]) ابن خلدون ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٤٢٧ .
([٤]) ابن رشيق ــ العمدة ، ج ٢ ، ص ٢٤١ .
([٥]) النويري ــ نهاية ، ج ٤ ، ص ١٣٩ .
([٦]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

عرفتا بالجرادتين وهبهما إلى أمية بن أبي الصلت (١) ، وأمر أهل المدينة إحدى القيان أن تغني النابغة بشعر ظهر فيه إقواء (عدم تناسب حركة الحرف الأخير في القصيدة كلها) (٢) ، وكان لعائشة جاريتان تغنيان بغناء يوم بعاث (٣) .

ويبدو أن العرب تعلمت أنواعا من الغناء من الأمم الأخرى ، فقد تعلم العرب من غناء الفرس ، حيث يرد أن النضر بن الحارث بن كلدة تعلم ضرب العود والغناء عليه عندما وفد على كسرى بالحيرة فقدم مكة وعلم أهلها فاتخذوا القينات (المغنيات) (٤) .

وكان يرافق الغناء الضرب على الآلات الموسيقية ، حيث أطلق عليها اسم المعازف (٥) ، فمن الآلات الموسيقية التي رافقت الغناء الدف ، حيث يرد أن هند بنت عتبة ونسوة من قريش كن يضربن على الدفوف في غزوة أحد (٦) ، وكذلك عرف العرب قبل الإسلام المِزْهَر (٧) ، وهو العود (٨) ، وعرفوا أيضا القَصَب (٩) ، وهو المزمار (١٠) ، والطنبور (١١) ، وهو آلة موسيقية وترية (١٢) .

شرب الخمر

ومن وسائل الترويح والتسلية عند العرب قبل الإسلام شرب الخمر (١٣) ، وقد صنعت الخمر من العنب (أو الزبيب) والتمر والعسل والحنطة والشعير والذرة والأرز (١٤) ، حيث أطلق على الخمر المصنوعة من العسل اسم البَتْع ، أو الفُقاع (١٥) ، كما أطلق على الخمر

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٨ ، ص ٣٢٧ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ١١ ، ص ١٠ .
(٣) ابن ماجه ــ سنن ص ٣٢٦ .
(٤) المسعودي ــ مروج ، ج ٤ ، ص ١٣٤ .
(٥) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٥٣ .
(٦) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٣ ، ص ٧٢ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٥١٢ ، ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .
(٧) الأعشى ــ ديوان ، ٣١٥ .
(٨) ابن منظور ــ لسان ، مادة زهر .
(٩) عنترة ــ ديوان ، ص ٢٠٣ .
(١٠) ابن منظور ــ لسان ، مادة قصب .
(١١) الأعشى ــ ديوان ، ص ٣٥٩ .
(١٢) ابن منظور ــ لسان ، مادة طنب .
(١٣) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٣٣ .
(١٤) مالك ــ الموطأ ، ص ٢٠٩ ، ٦٠٩ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٢٨ .
(١٥) مالك ــ الموطأ ، ص ٦٠٩ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٤٤ .

المصنوعة من الشعير اسم المَزْر (١) ، وأطلق على الخمر المصنوعة من العنب (الزبيب) اسم الباذَق أو الطلاء (٢) ، وأطلق على الخمر المصنوعة من التمر اسم النبيذ (٣) ، وأطلق على الخمر المصنوعة من الذرة أو الأرز اسم الغُبَيْراء (٤) .

كان العرب يكثرون من شرب الخمر ، ولا يتورعون عن إنفاق أموالهم على الخمر ، فقد قال عمرو بن كلثوم :

ترى اللحز الشحيح إذا أمرت　　　　عليه لماله فيها مهينا (٥)

وكان يرافق مجالس شرب الخمر غناء القيان ، فقد كان لعبد الله بن جدعان قينتان عرفتا بالجرادتين كانتا تغنيان في مجالس شربه وقد وهبهما لأمية بن أبي الصلت (٦) .

إلا أنه على الرغم من افتخار العرب بشرب الخمر ، فقد كانوا ينظرون نظرة سلبية إلى شرب الخمر الذي يؤدي بصاحبه إلى ارتكاب بعض الأعمال المشينة أثناء سكره ، فقد برئت كنانة من البراض بن قيس إذ كان سكيرا فاسقا (٧) ، كما قد يؤدي شرب الخمر إلى نبذ العشيرة للشارب ، فقد قال طرفة بن العبد :

وما زال تشرابي الخمور ولذتي　　　　وبيعي وإنفاقي طريفي ومُتْلَدي

إلى أن تحامتني العشيرة كلها　　　　وَأُفْرِدْتُ إفراد البعير المُعَبَّدِ (٨)

ومن العرب قبل الإسلام من هجر الخمر وترك شربها ، فقد هجر الخمر العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وأبو بكر وعثمان بن

---

(١) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٤٥ .
(٢) مالك ــ الموطأ ، ص ٦٠٩ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٦٤ .
(٣) مالك ــ الموطأ ، ص ٣٢٤ ، ٦٠٨ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٥٨ .
(٤) مالك ــ الموطأ ، ص ٦٠٩ .
(٥) التبريزي ــ شرح ، ص ١٠٩ .
(٦) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٨ ، ص ٣٢٧ .
(٧) المصدر نفسه ، ج ١٩ ، ص ٧٥ .
(٨) طرفة ــ ديوان ، ص ٣١ ، التبريزي ــ شرح ، ص ٤٢ ، طريف : مال حديث ، متلد : مال قديم .

مظعون ، وقالت عائشة : " ما شرب أبو بكر خمرا في جاهلية ولا إسلام " (١) ، وكذلك فقد حرم عبد الله بن جدعان الخمر على نفسه لفقدانه عقله عند شربها .

وقيل للعباس بن مرداس : " لم لا تشرب الخمر فإنها تزيد في جرأتك " ، فقال : " ما أنا بآخذ جهلي بيدي فأدخله في جوفي ، وأصبح سيد قومي وأمسي سفيههم " (٢) .

كما ورد انه ما مات أحد من كبراء قريش في الجاهلية إلا ترك الخمر استحياء مما بها من الدنس (٣) ، أما نساؤهم " فلم يعرف أن امرأة منهم شربت الخمر في جاهلية ولا إسلام " (٤) .

وقد تعرض البعض للوم بسبب شربهم الخمر ، فقد عذلت إحدى النساء المنخل اليشكري بسبب شربه الخمر فقال :

إن كنت عاذلتي فسيري   نحو العراق ولا تحوري (٥)

وكذلك تعرض طرفة بن العبد لذلك ، قال طرفة بن العبد :

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى   وجدك لم أحفل متى قام عودي

فمنهن سبق العاذلات بشربة   كُمَيْت متى ما تعل بالماء تزبد

وكَرّي إذا نادى المضافُ مُحَنَّبا   كسيْدِ الغضا نَبَّهْتَهُ المتورد

وتقصير يوم الدَجْن والدجن معجب   ببَهْكَنة تحت الطِراف المعمد (٦)

وقد أدى تعلق البعض بالخمر إلى الحيلولة بينهم وبين دخول الإسلام ، فلم يسلم الأعشى لأن الإسلام يحرم الخمر والزنا والقمار (٧) .

---

(١) ابن قتيبة ــ الأشربة ، ص ٢٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥.
(٣) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٨ ، ص ٣٣٨ .
(٤) ابن قتيبة ــ الأشربة ، ص ٣٠ .
(٥) المرزوقي ــ الأزمنة ، ج ٢ ، ص ٥٢٦ ــ ٥٢٩ .
(٦) طرفة ــ ديوان ، ٣٢ ــ ٣٤ ، التبريزي ــ شرح ، ص ٤٣ ، كميت : خمر ، تعل : تضاف إليها ، مضاف : ماجأ مدرك ، محنب : قوس ، سيد : ذئب ، غضا : شجر ، نبهته : هيجته وحركته ، الدجن : الغيم ، بهكنة : تامة حسنة الخلق ، طراف : بيت من أدم .
(٧) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٣٨٦ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٩ ، ص ١٢٦ .

وقد ترك البعض شرب الخمر عند فعله أشياء مشينة مثل عبد الله بن جدعان ، وحاتم الطائي وبشير الثقفي ([١]) .

ولم تكن جميع الخمر مصنوعة محليا ، فهناك خمر مستوردة ، وقد اشتهرت الخمر العانية المنسوب إلى عانة على الفرات ، قال زهير بن مسعود الضبي :

فلرب فتيان صبحتهم من   عاتق صهباء في الخَرْس

عانية تصبي الحليم إذا دارت   أكف القوم بالكأس ([٢])

وقال الأعشى :

واسْفِنْط عانة بعد الرقاد   شَكَّ الرِّصَاف إليها غديرا ([٣])

واشتهرت خمر فلسطين ، قال الأعشى :

متى تسق من أنيابها بعد هجعة   من الليل شِرْبًا حين مالت طَلاتُها

نخله فِلَسْطِيّا إذا ذقت طعمه على   ربَذات النَيِّ حُمْشَ لثاتُها ([٤])

وكذلك اشتهر اليهود بصنع الخمر ، فقد اشتهر بنو قريظة بصناعة الخمر ([٥]) ، قال الأعشى :

وصهباء طاف يهوديها   وأبرزها وعليها خُتُم ([٦])

وقد وصف صانع الخمر بكونه أزرق (أي غير عربي) ، قال الأعشى :

تنخلها من بكار القطاف   أزيرق آمن إكسادها ([٧])

([١]) ابن حبيب ــ المحبر ، ص ٢٣٧ .
([٢]) قصائد ، ص ٨٩ ، صهباء : خمر ، خرس : وعاء الخمر .
([٣]) الأعشى ــ ديوان ، ص ١٠٠ ، اسفنط : خمر ، رصاف : حجارة متراصفة .
([٤]) المصدر نفسه ، ص ١٨٣ ، هجعة : فترة من النوم ، شرب : ندامى ، طلاة : عنق ، ربذات : فترات ، الني : الشحم ، حمش : لطيفة ، لثة : أعلى الحلق .
([٥]) الواقدي ــ المغازي ، ج ٢ ، ص ٧٥ .
([٦]) الأعشى ــ الديوان ، ص ١٥٠ .
([٧]) المصدر نفسه ، ص ١٧٥ ، تنخلها : اختارها ، بكار القطاف : أول العناقيد .

الميسر

من ألعاب العرب الميسر ([1]) وهو القمار ، حيث كانوا يتقامرون بالقداح وهي (عيدان خشبية يعلم كل منها بعلامات معينة ويطلق عليه اسم معين) ، يقومون بإخفائها ثم يقومون بسحبها ، وحسب القدح المسحوب يكون الساحب فائزا أو خاسرا) ، ويكون الرهان على جزور يجزئونها ثمانية وعشرين جزءا ، فإذا قَمَر (فاز) أحدهم جعل أجزاء الجزور لذوي الحاجة وأهل المسكنة ، ويسمى هذا الإيسار ، وكان الإيسار من دواعي الفخر لدى العرب ، جيث كان من لا ييسر يذم ويسمى البرم ([2]) .

سباق الخيل

ومن أنواع التسلية سباق الخيل ، حيث كان يطلق على المكان الذي تجمع فيه الخيل للسباق ويجتمع فيه الناس للرهان الحلبة ، وكان يمد في صدور الخيل عند إرسالها للسباق حبل يسمى المُقَوَّس ، ويطلق على الخيل عند إرسالها اسم المُنَصَّبة ، وكان يطلق على كل فرس اسم معين حسب نتيجته في السباق ([3]) ، ويكون الرهان حسب نتيجة الفرس في السباق ([4]) .

ومن أنواع التسلية التي عرفها العرب قبل الإسلام لعب النرد ([5]) ، وهي لعبة فارسية نهى عنها الإسلام ، وورد أن امرء القيس بن حجر كان يلعب النرد مع نديم له ([6]).

ومن أنواع التسلية السمر ، فكان من عادة أهل مكة الجلوس بعد العشاء بأفنيتهم ([7]) والسمر .

([1]) العسكري ــ التلخيص ، ص ٤٣٠ ــ ٤٣١ .
([2]) الطبري ــ جامع ، ج ٢ ، ص ٢١٠ ، انظر تفصيل ذلك في : الألوسي ــ بلوغ ، ج ٣ ، ص ٥٣ ــ ٦٥ .
([3]) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ١ ، ص ٧٨ .
([4]) انظر تفصيل ذلك في : الألوسي ــ بلوغ ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ــ ١٠٣ .
([5]) مالك ــ الموطأ ، ص ٦٨١ .
([6]) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٣٠٦ .
([7]) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٧٣ .

ألعاب الأطفال

من ألعاب الأطفال عند العرب قبل الإسلام لعب الأطفال بالحجارة حيث ينقلونها بأزرهم ويضعونها على رقابهم ([١]) .

ومن ألعاب الأطفال أيضا البُقَّيرى ، وقد وصفت على النحو التالي : " بأن يجمع الطفل يديه على التراب في الأرض إلى أسفله ، ثم يقول لصاحبه : اشته في نفسك فيصيب ويخطئ " ([٢]) ، أي أنها لعبة قائمة على أساس التحزير .

ومن ألعابهم عُظَيم وضاح ، ووصفها : " بأن يؤخذ بالليل عظم أبيض ثم يرمى به واحد من الفريقين ، فإن وجده واحد من الفريقين ركب أصحابه الفريق الآخر من الموضع الذي يجدونه فيه إلى الموضع الذي رموا به منه " ([٣]) ، أي أنها قائمة على أساس البحث عن شيء مع مكافأة من يجده .

ومن ألعابهم الخَطْرة ، ووصفت "بأن يعملوا مخراقا (خرق مفتولة) ثم يرمى به واحد منهم من خلفه إلى الفريق الآخر ، فإن عجزوا عن أخذه رموا به إليهم ، فإن أخذوهم ركبوهم " ([٤]) ، وهي قائمة على أساس محاولة الإمساك بشيء مع مكافأة من يمسك به .

ومن ألعابهم الشَحْمة ووصفها " بأن يمضي واحد من الفريقين بغلام ، فيتنحون ناحية ، ثم يقبلون ويستقبلهم الآخرون ، فإن منعوا الغلام حتى يصيروا إلى الموضع الآخر ، فقد غلبوهم عليه ، ويدفع الغلام إليهم ، وإن هم لم يمنعوه ركبوهم ، وكان وقت لعبها في ليالي الصيف عن غب (بعد) ربيع مخصب " ([٥]) ، وتقوم هذه اللعبة على أساس قدرة فريق على حماية أحد أفراده مع مكافأة الفريق الأقوى .

([١]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ١٩٤ .
([٢]) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٦ ، ص ١٤٥ .
([٣]) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ١٤٥ .
([٤]) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ١٤٥ .
([٥]) المصدر نفسه ، ج ٦ ، ص ١٤٥ .

ومن ألعابهم أيضا لعبة الضب ، وتوصف " بأن يصوروا الضب في الأرض ، ثم يحول واحد من الفريقين وجهه ، ثم يضع بعضهم يده على شيء من الضب ، فيقول الذي يحول وجهه : أنف الضب أو عين الضب أو ذنب الضب أو أي شيء من الضب ، على الولاء حتى يفرغ ، فإن أخطأ ما وضع على يده ركب وركب أصحابه ، وإن أصاب حول وجهه الذي كان وضع يده على الضب ، ثم يصير هو السائل " (١) ، وتقوم هذه اللعبة على أساس التحزير ، مع مكافأة من يحزر .

ومن ألعاب الأطفال الأرجوحة ، حيث تثبت الأرجوحة بين عذقين (جذعين) (٢) ويتأرجح عليها الأطفال .

ومن ألعاب الأطفال الدمى ، وتصنع من العهن (٣) .

(١) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٦ ، ص ١٤٥ .
(٢) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢١١ .
(٣) البخاري ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ١٤٥ .

الفصل السادس

وسائل المعيشة

في هذا الفصل سيتم بحث وسائل المعيشة لدى العرب في شمال ووسط الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي ، والثلث الأول من القرن السابع الميلادي ، حيث سيتم بحث المساكن والأطعمة وأنواع الأثاث والملابس عندهم .

المساكن

تصنع البيوت في البادية من وبر الإبل ، أو من صوف الأغنام ، أو من شعر المعز (١) ، ويطلق على هذا البيت اسم الفسطاط ، حيث يقوم البيت على مجموعة من الأعمدة الخشبية ، كما تثبت أطراف البيت بمجموعة من الأوتاد الخشبية أو المعدنية (٢) .

أما في المدن فكانت البيوت تبنى بصورة أساسية من اللبن ، حيث توصف بيوت الرسول بأنها كانت بيوتا من اللبن ، أما السقوف فقد كانت من جريد مطرور (مخلوط) بالطين ، أما أبوابها فقد كانت عبارة عن مسوح من الشعر (٣) ، وكانت بيوت النبي منخفضة السقف ، حيث يمكن لمس سقفها باليد (٤) .

ولم تكون البيوت في المدن تقتصر على طابق واحد ، فقد كانت بعض البيوت تتكون من طابقين ، فقد كان بيت أبي أيوب الأنصاري الذي استقبل فيه الرسول بعد الهجرة يتكون من طابقين (٥) ، وكان هناك بيوت فيها علية (غرفة) (٦) يصعد إليها بواسطة درج من حجر وكلس (٧) ، فقد كان يوجد في بيوت الرسول علية يرتقى إليها لها مفتاح ، يخزن فيها

---

(١) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٢٩٦ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٢ ، ص ٤٥٥ ، ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .
(٢) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ١ ، ص ٦ .
(٣) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ١٦٦ ــ ١٦٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٠١ .
(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ .
(٦) العسكري ــ التلخيص ، ص ١٧٠ .
(٧) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ٢ ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

الطعام (١) ، فالعلية غرفة فوق مسجد وغرف الرسول كان يخلو بها أحيانا ، ويعتزل بها أحيانا (٢) ، وكان يحفظ فيها الطعام (٣) ، ويطلق على العلية أيضا اسم المشربة (٤) ، ويبدو أن بعض البيوت في المدن كانت تحتوي على علالي ، حيث يرد ذكر العلية إضافة إلى يثرب في الطائف (٥) وفي خيبر (٦) .

وكان على بعض البيوت حجارة ، يبدو أنها كانت للتظليل أو للاستتار ، فقد كان على بيت خديجة بنت خويلد حجر على يسار الداخل كان الرسول يستتر به من الرمي إذا جاءه من دار أبي لهب ، أو دار عدي الثقفي (٧) .

وكان بعض البيوت يتميز بارتفاعه ، فقد كان بيت نوار بنت مالك أم زيد بن ثابت مرتفعا ، وكان بلال يؤذن فوقه إلى أن بنى الرسول مسجده (٨) ، بينما كانت بعض البيوت قصيرة الأسقف مثل بيوت الرسول (٩) .

وكان في أعلى بعض البيوت شرفات ، فقد بنى سعد ابن أبي وقاص داره بالعقيق ، فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات ، كما أن بعض البيوت كان مجصصا (مطليا بالجص) ، فقد بنى المقداد داره بالجرف وجعل أعلاها شرفات وجعلها مجصصة الظاهر والباطن (١٠) .

---

(١) أبو داود ــ سنن ، ج ٤ ، ص ١٠٦ .
(٢) البخاري ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ١٠٦ ، ١٧٤ .
(٣) ابن حنبل ــ مسند ، ج ٤ ، ص ١٧٤ .
(٤) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٣١٥ .
(٥) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ١٨٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٨٨ .
(٧) الذهبي ــ سير ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ .
(٨) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٤١٩ .
(٩) المصدر نفسه ، ج ٨ ، ص ٤٨٦
(١٠) المسعودي ــ مروج ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ .

ولا يبدو أن الحصول على بيت كان أمرا سهلا في المدن ، فقد جمع الرسول مجموعة من الفقراء في جزء من المسجد فيما أطلق عليه اسم الصفة ([١]) ، وهذا يوحي أن عملية الحصول على بيت لم تكن أمرا سهلا لكل واحد منهم .

وقد تأثر البناء بالبيئة المحلية ، ففي يثرب حيث يتوفر النخل بكثرة استخدم جريد النخل في سقوف المنازل ([٢]) ، واستخدمت سيقان النخل أعمدة للبيوت وحمالات السقوف في يثرب ([٣]) .

ولا يبدو أن بناء السقوف وصل إلى درجة عالية من الإتقان في يثرب ، حيث يذكر أن المسجد كان على عريش يكف (يقطر الماء من سقفه) عند المطر ([٤]) .

وفي مكة تركت الكعبة بداية دون سقف ، ثم استعمل خشب سفينة ألقاها البحر في سقفها ([٥]) .

ويعطي تطور بناء الكعبة تصورا عن تطور البناء في المدن ، فقد كانت الكعبة في البداية تتكون من حجارة منضودة فوق بعضها من غير ملاط ودون سقف ، ثم رفعت وسقفت عندما بنتها قريش في أواخر القرن السادس الميلادي ([٦]) ، ويبدو أن الشيد قد استعمل كملاط في عملية بناء الكعبة الأخيرة ، حيث يرد أن النساء كن ينقلن الشيد ، وكان الرجال ينقلون الحجارة ([٧]) .

أما سقف الكعبة فقد كان من خشب سفينة ألقاها البحر ([٨]) .

([١]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٢٥٥ ــ ٢٥٦ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٢٧٢ .
([٢]) الخزاعي ــ تخريج ، ص ٦٣٨ .
([٣]) البخاري ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ٦٩ .
([٤]) المصدر نفسه ، ص ٢١٥ .
([٥]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .
([٦]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .
([٧]) ابن إسحق ــ السيرة ، ص ٥٩ .
([٨]) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٠٥ .

ويبدو أن النساء كانت تشارك أحيانا في أعمال البناء للبيوت ، حيث يرد أنه قد اشتركت النساء في بناء الكعبة ، حيث كانت النساء ينقلن الشيد ، وكان الرجال ينقلون الحجارة (١) .

ومن الأبنية أيضا الجدر ، وهي عبارة عن أسوار صغيرة تحيط بالمناطق المزروعة التي تعرف بالحيطان ، حيث يذكر أن الحيطان كانت تحاط بجدر في المدينة (٢) .

وفي المناطق المزروعة كانت تبنى أبنية من مواد خشبية يطلق عليها اسم العريش (٣) ، حيث كانت تستخدم للراحة أثناء العمل .

وقد أطلق على البناء الذي استخدم لجمع الأسرى في المدينة اسم الحظيرة (٤) ، وهذا يوحي بوضاعة هذا المكان وتشبيهه بحظائر الحيوانات .

ومن أنواع البيوت الأطم وهو الحصن (٥) أو الصيصة (٦) ، وهي قصور مسطحة السقوف وموشاة (مزينة) (٧) ، وأكثر ما ترد عبارة الآطام في المدينة (٨) ، ويبدو أنها كانت تتميز بالحصانة ، فقد جمعت النساء يحرسهن عدد من الصحابة في غزوة الخندق في أطم حسان (٩) ، حيث كان عبد الله بن الزبير وعمر بن أبي سلمة يوم الخندق مع النسوة في أطم حسان (١٠) .

ويلاحظ أن ذكر الحصون يرتبط بالمناطق التي سكنها اليهود في الجزيرة العربية ، حيث يرد ذكر حصون يثرب وخيبر ، والأبلق حصن السموءل بن عادياء اليهودي في تيماء

---

(١) ابن إسحق ــ السيرة ، ص ٥٩ .
(٢) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٦٣ .
(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٣١ .
(٥) العسكري ــ التلخيص ، ص ١٧٠ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ١٧٠ .
(٧) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١ ، ص ١٤ .
(٨) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٨٨ .
(٩) مسلم ــ صحيح ، ج ٢ ، ص ١٨٧٩ .
(١٠) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٨٧٩ .

اليهودي (١) ، ويذكر أن العرب في يثرب اقتبسوا بناء الآطام من اليهود يتحصنون بها (٢) ، حيث يذكر أن الأوس والخزرج اتخذوا الديار والأموال والآطام (٣) .

ويبدو أن الهدف من بناء الحصون هو الحماية ، حيث يذكر أنه بنيت الحصون في يثرب للحماية من الأعراب (٤) ، كما كانت الحصون تضم ذراري المسلمين في الخندق (٥) .

وقد اشتهر من هذه الحصون حصن الأبلق في تيماء ، وهو حصن عاديا اليهودي ، وقد نسب بناؤه إلى سليمان ، قال الأعشى :

ولا عاديا لم يمنع الموتَ مالُه ووِرْدٌ بتيماء اليهودي أبلق

بناه سليمان بن داود حقبة له أزَجٌ عالٍ وطيٌّ مُوَثَّق (٦)

أما في دول الأطراف فقد وصل مستوى البناء درجة عالية من الإتقان ، حيث يرد ذكر قصور الحيرة (٧) ، ومنها قصر الخورنق وقصر السدير (٨) ، وقصر الزوراء والقصر الأبيض وقصر مقاتل ودار المقطع في الحيرة (٩) ، وقصر العدسيين في الحيرة (١٠) ، وقصر بني بقيلة وقصر بني مازن وقصر الطين وقصر الفرس (١١) ، وكثرة ذكر القصور في الحيرة يشير إلى ازدهار كبير لفن البناء في هذه المنطقة .

ويرد ذكر القصور أيضا عند الغساسنة ، قال حسان بن ثابت :

لمن الدار أقفرت بمعان بين أعلى اليرموك فالخَمَّان

---

(١) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة الأبلق ، ج ١ ، ص ٧٥ .
(٢) ابن رسته ــ الأعلاق ، ص ٦٢ .
(٣) ابن الأثير ــ الكامل ، ج ١ ، ص ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ابن خلدون ــ العبر ، ج ٢ ، ص ٨٤ ، السمهودي ــ وفاء ، ج ١ ، ص ١٧٩ ــ ١٨٠ .
(٤) الواقدي ــ المغازي ، ص ٢١٠ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٦٣ .
(٥) الواقدي ــ المغازي ، ج ٢ ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٢٨ .
(٦) الأعشى ــ ديوان ، ص ١٠٠ ، أزج : بناء عال ، طي : بئر مرصوفة بالحجارة والآجر .
(٧) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢ ، ص ٥٤ .
(٨) البلاذري ــ فتوح ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ .
(٩) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ .
(١٠) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٥٠ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة قصر ، ج ٤ ، ص ٣٦٠ .
(١١) البلاذري ــ فتوح ، ج ٢ ، ص ٣٥٢ ، ياقوت ــ معجم مادة قصر ، ج٤ ، ص ٣٥٤ .

فالقُرَيَّاتِ من بلاس فداريَّا   فسَكَّاء فالقصور الدواني

فقفَا جاسم فأودية الصُفْر   مَغْنى قبائلٍ وهِجانِ ([١])

وتوحي عبارة تشييد القصور التي ترد عادة عند ذكر بناء القصور أن الشيد وهو الجص ([٢]) هو المادة الأساسية في بناء القصور ، فالقصر المشيد هو المجصص ([٣]) .

ومن المواد التي استخدمت في بناء القصور القرميد والسَكّب (وهو النحاس أو الرصاص) ، حيث يذكر أن البناء الرومي سنمار بنى الخورنق بالقرميد والسكب ([٤]) .

وكذلك عرفت الحيرة بعض المباني العامة ذات الصبغة الدينية ، حيث يرد ذكر البيع والكنائس والأديرة مثل بيعة بني مازن في الحيرة ([٥]) ، وبيعة بني عدي في الحيرة ([٦]) ، وكنيسة الباغوتة في الحيرة ([٧]) ، ودير اللج ([٨]) ودير مارت مريم ([٩]) ودير هند الكبرى ([١٠]) ودير هند الصغرى ([١١]) ودير بني مرينا ([١٢]) ودير الجماجم ([١٣]) ودير عبد المسيح ([١٤]) في الحيرة .

وقد عرفت المدن نوعا من التنظيم السكني ، حيث قسمت مكة إلى أرباع اختص كل ربع منها بسكنى بطون معينة من قريش ([١٥]) ، وقد نسبت عملية تقسيم مكة إلى أرباع إلى قصي بن كلاب ، وهذا يوحي بوجود عملية تنظيمية ترتبط بسيد مكة ، كما أن الناحية القبلية واضحة في هذه العملية ، فكل ربع اختص ببطون تربط بينها روابط معينة .

([١]) حسان ــ ديوان ، ص ١١٠ ، مغنى : منزل ، قبائل رؤساء ، هجان : بيض كرماء .
([٢]) العسكري ــ التلخيص ، ص ١٧١ .
([٣]) المصدر نفسه ، ص ١٧٠ .
([٤]) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ١ ، ص ٢٣ .
([٥]) البلاذري ــ فتوح ، ج ٢ ، ص ٣٤٥ .
([٦]) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة بيعة ، ج ١ ، ص ٥٣٢ .
([٧]) الهمداني ــ صفة ، ص ١٢٧ .
([٨]) البكري ــ معجم ، ج ٢ ، ص ٥٩٦ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة دير ، ج ٢ ، ص ٥٣٠ .
([٩]) البكري ــ معجم ، ج ٢ ، ص ٥٩٧ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة دير ، ج ٢ ، ص ٥٣١ .
([١٠]) البكري ــ معجم ، ج ٢ ، ص ٦٠٧ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة دير ، ج ٢ ، ص ٥٤٢ .
([١١]) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة دير ، ج ٢ ، ص ٥٤١ ، ٥٤٢ .
([١٢]) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٥٠١ .
([١٣]) البلاذري ــ فتوح ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ ، ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة دير ، ج ٢ ، ص ٥٠٤ .
([١٤]) ياقوت ــ معجم البلدان ، مادة دير ، ج ٢ ، ص ٥٢١ .
([١٥]) الأزرقي ــ أخبار ، ص ٢٣٣ ، ٢٦٥ .

وتظهر عملية التنظيم السكني أيضا في الطائف ، فقد كان حولها سور ، وللسور أبواب (1) ، وهذا يوحي بوجود عمل جماعي لسكان الطائف هدفه الحماية .

ومن المباني العامة في يثرب السقيفة ، وهي حجرة مغلقة مسقوفة (2) ، وتوحي تسميتها بالسقيفة بتميزها عن بيوت أهل يثرب ، وقد استعملت كمكان عام للاحتماع .

الأطعمة

بما أن النخيل هو أهم نباتات الجزيرة العربية ، لذلك فقد شكل التمر الغذاء الأساسي فيها (3) ، فقد كان النخل يزرع في الحجاز خاصة في خيبر والمدينة (4) ، وفي اليمامة (5) ، وفي عمان (6) ، وكان التمر الغذاء الأساسي لأهل المدينة (7) ، قال الرسول : " بيت لا تمر فيه جياع أهله " (8) ، فالطعام الأساسي هو الماء والتمر ، قال الشاعر :

الأسودان أبرءا عظامي الماء والتمر دوا سقامي (9)

وكان من المعتاد إطعام الرطب أو التمر الحديث للوالدات (10) .

وعرفت الجزيرة العربية زراعة بعض أنواع النباتات ، حيث شكلت هذه النباتات المواد الأساسية للأغذية النباتية ، فزرع الشعير في يثرب (11) ، وزرع فيها أيضا القمح والعنب والفاكهة مثل الرمان والموز والليمون والخضار والفواكه والبقول (12) .

وصنع الخبز من الحبوب وأشهرها القمح والشعير ، وكانت اليمامة حيث بنو حنيفة

---

(1) الطبري ــ تاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٣١ .
(2) مالك ــ الموطأ ، ص ٢١٥ .
(3) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ ــ ٢١٣ .
(4) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٤٠٧ ، المقدسي ــ أحسن ، ص ٨٠ .
(5) المقدسي ــ أحسن ، ص ٩٤ .
(6) المصدر نفسه ، ص ٩٣ .
(7) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٤٣١ .
(8) مسلم ــ صحيح ، ج ٦ ، ص ١٢٣ .
(9) الأبشيهي ــ المستطرف ، ج ١ ، ص ١٤١ .
(10) العسكري ــ التلخيص ، ص ١٨٩ .
(11) المقريزي ــ إمتاع ، ج ١ ، ص ١٨٢ ، ٣٢٨ .
(12) البخاري ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ٩٠ ، الخزاعي ــ تخريج ، ص ٦٥٦ .

مصدرا لطعام مكة حيث تزودهم بالحبوب (١) ، كذلك عرفت قبيلة إياد بعملها بزراعة الحبوب

، قال الأعشى :

لسنا كمن جعلت إياد دارها تكريت تنظر حبها أن يحصدا (٢)

وقال لقيط عن قبيلته إياد :

وأنتم تحرثون الأرض عن سفه في كل معتمل تبغون مزدرعا (٣)

فصنعوا الخبز من الشعير (٤) أو الحنطة ، وذلك بطحن الحنطة أو الشعير وعجنها وخبزها (٥) .

والخبز على عدة أنواع فهناك الخبز اليابس (٦) ، والخبز اللين (٧) والسبائك وهو الحواري من الخبز (الخبز الأبيض) (٨) ، قال النمر بن تولب :

لها ما تشتهي عسلا مصفى وإن شاءت فحواري بسمن (٩)

وتدعى القطعة من الخبز الرغيف أو القرص (١٠) ، وقد عرف العرب من طرق المحافظة على الخبز بلفه في خمار (١١) .

ومن أنواع الخبز المليل ، وهو الخبز الذي يخبز في الملة ، وذلك بأن توقد النار في حفرة ويجعل العجين فيها (١٢) .

---

(١) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٨٨ .
(٢) الأعشى ــ ديوان، ص ٢٣١ .
(٣) لقيط ــ ديوان، ص ٤٢١ .
(٤) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٤٠ ، ابن قتيبة ــ عيون ، ج ١ ، ص ٣٧٨ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٣ ، ص ١٨٤ ، الذهبي ــ سير ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .
(٥) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ١٦٧ ، ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٣ ، ص ٢٦٤ .
(٦) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ١ ، ص ٦ .
(٧) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٦ .
(٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٦ .
(٩) النمر ــ ديوان ، ص ١١٦ ، الجاحظ ــ البخلاء ، ص ٢٢٩ .
(١٠) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٣٧ .
(١١) مالك ــ الموطأ ، ص ٦٦٣ .
(١٢) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٣٧ .

ومن المأكولات المعروفة لدى العرب قبل الإسلام القرع ([1]) ، ويسمى أيضا الدباء ،

---

(١) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٢٢٩ .

وقد يؤكل وحده أو مضافا إلى أطعمة أخرى .

من المأكولات لدى العرب قبل الإسلام السلق ([١]) ، وقد يؤكل وحده أو مضافا إلى أطعمة أخرى .

ومن أنواع الطعام لدى العرب قبل الإسلام زيت الزيتون ([٢]) ، حيث كان زيت الزيتون يجلب من بلاد الشام ([٣]) .

ومن أنواع الأطعمة التي أكلها العرب الفواكه ومنها العنب ، حيث كان العنب يزرع في الطائف ([٤]) ، وكان يصنع منه الزبيب في الطائف ([٥]) .

ومنها أيضا التين ، قال أمية بن أبي الصلت الثقفي :

فأتينا خضارم فاخرات ... يكون نتاجها عنبا وتينا ([٦])

وكذلك التفاح ، حيث كان التفاح يزرع في الطائف ([٧]) ، قال عدي بن زيد العبادي :

عذبا كما ذقتُ الجَنِيَّ ... من التفاح مسقيا ببرد الطل ([٨])

والرمان حيث كان يزرع في الطائف ([٩]) ، قال أوس بن حجر التميمي :

أو من مشعشعة كالمسك يشربها ... أو من أنابيب رمان وتفاح ([١٠])

وقال عمرو بن معديكرب الزبيدي :

كأن على عوارضهن راحا ... يفض عليه رمان ينيع ([١١])

والأترج ، قال عبيد بن الأبرص :

([١]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٤٢٢ .
([٢]) مالك ــ الموطأ ، ص ٦٦٨ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٢٧ .
([٣]) البخاري ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ١١١ .
([٤]) الواقدي ــ المغازي ، ج ١ ، ص ٣٥٧ ، ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٤٢٢ ، المقدسي ــ أحسن ، ص ٧٩ ، ابن عبد البر ــ الاستيعاب ، ج ٤ ، ص ١٩١١ .
([٥]) المقدسي ــ أحسن ، ص ٧٩ .
([٦]) أمية ــ ديوان ، ص ١٧٣ ، الخضرم : الحديقة .
([٧]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٣ ، ص ٥٨٦ .
([٨]) عدي ــ ديوان ، ص ٢٩٨ .
([٩]) المقدسي ــ أحسن ، ص ٧٩ .
([١٠]) أوس ــ ديوان ، ص ١٤ .
([١١]) عمرو بن معديكرب ــ ديوان ، ص ١٤٢ ، الأصمعي ــ الأصمعيات ، ص ١٩٩ ، عارض : ما يبدو من الفم عند الضحك ، ينيع : ناضج .

تخال ريق ثناياها إذا ابتسمت   كمزج شهد بأترج وتفاح ([١])

وقال علقمة الفحل:

يحملن أترجة نضح العبير بها   كأن تطيابها في الأنف مشموم ([٢])

وأكل العرب السفرجل ، حيث كان يزرع في الطائف ، والزنجبيل ، قال امرؤ القيس :

وطعم السفرجل والزنجبيل   عل به وبصافي العسل ([٣])

وفيما يتعلق بالأغذية الحيوانية ، فقد كان أهمها اللحم ، وبما أن الإبل والبقر والضأن والمعز هي الحيوانات الأساسية في الجزيرة العربية ، فقد كانوا يأكلون لحم الإبل والغنم ([٤]) والبقر ([٥]) .

ويطبخ اللحم بعدة طرق ، فقد يشوى شيا ([٦]) ، وذلك بوضع اللحم في شفرة وتعريضه للنار ، ويطلق على اللحم المشوي اسم اللحم الحنيذ ([٧]) ، ويطلق على اللحم المشوي على الرماد اسم المُغَرَّض ، فإذا غيب في الجمر فهو مملول ([٨]) ، ويسمى اللحم المشوي على جمر اللحم المُصَنَّب ، واللحم المشوي بسرعة بحيث يبقى فيه بعض مائه يسمى اللحم المُلَهْوَج ([٩]) ، وقد يطبخ اللحم في قدر ، حيث يسمى اللحم المطبوخ في القدر اللحم القدير ([١٠]) .

([١]) عبيد ــ ديوان، ص ٤٠ .
([٢]) علقمة ــ ديوان ، ص ٥١ ، المفضل ــ المفضليات ، ص ٣٩٧ .
([٣]) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٢٩٨ ، عل به : جعل فيه .
([٤]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٢٢٩ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٥ .
([٥]) مالك ــ الموطأ ، ص ٢٧٢ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٧ .
([٦]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢١٨ .
([٧]) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٤١ .
([٨]) المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ .
([٩]) المصدر نفسه ، ص ٢٤٣ .
([١٠]) المقدسي ــ أحسن ، ص ٩٤ .

وقد يحفظ اللحم عن طريق تجفيفه ، ويسمى ذلك اللحم القديد ([١]) ، وكان القديد يؤكل في حالة عدم توافر اللحم الطازج ، لذلك كان يأكله الفقراء ، وقد وصف الرسول نفسه بأنه ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد ([٢]) .

وقد امتنع بعض العرب عن أكل بعض أنواع اللحوم ، فقبيلة جعفي لم تكن تأكل لحم القلب ، ويبدو أن ذلك يعود لأسباب دينية إذ أصر الرسول على إطعام وفد جعغي لحم القلب ([٣]) .

ومن اللحوم التي أكلها العرب لحم الدجاج ، حيث يرد ذكر أكل لحم الدجاج في خيبر ([٤]) ، وقد أكل الرسول دجاجا ([٥]) ، إلا أن البعض لم يكن يأكله فقد رفض رجل من تيم الله أكل طعام قدم به دجاج ([٦]) ، وكان البعض يفضل لحم الضب على الدجاج ([٧]).

وأكل العرب لحم الحمر الأهلية ([٨]) ، إلا أن أكلها لم يكن شائعا إلا في حالة عدم توافر مصادر أخرى للحم ، فقد أكل المسلمون لحم الحمر الأهلية في خيبر بسبب الجوع ([٩]) ، ثم حرم أكلها .

وأكل العرب لحم الضب ، حيث كانت تؤكل محنوذة (مشوية) ولم تكن تأكلها قريش ([١٠]) ، إلا أنه يبدو أنهم لم يكونوا يلجأون إلى أكله إلاعند الجوع ([١١]) ، على الرغم من أن بعضهم كان يفضل لحم الضب على الدجاج ([١٢]) .

([١]) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ١ ، ص ٣٧٧ .
([٢]) ابن ماجه ــ سنن ، ج ٤ ، ص ٤٨ .
([٣]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .
([٤]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .
([٥]) الدارمي ــ سنن ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .
([٦]) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .
([٧]) البخاري ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ .
([٨]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٣٤٥ .
([٩]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٣٣١ ، البخاري ــ صحيح ، ج ٥ ، ص ١٠٩ ، الحلبي ــ إنسان ، ج ٣ ، ص ٥٤ .
([١٠]) مالك ــ الموطأ ، ص ٦٨٧ .
([١١]) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٣ ، ص ٢٤٩ .
([١٢]) البخاري ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ٢٩٣ .

ومن أنواع اللحوم التي عرفها العرب أيضا السمك ، وهو على عدة أنواع ، فقد اشترت عمرة بنت الطبيخ ومعها جاريتها جِرّيثة (نوع من السمك) ([١]) ، واشتهى ابن عمر سمكا فأحضرت له زوجته سمكا وصنعته له ([٢]) .

وأكل العرب لحم الحيوانات البحرية ، حيث يرد ذكر أكل لحم وودك دابة البحر ([٣]) .

وصاد العرب من الحيوانات البرية النعامة والحمار الوحشي والبقرة الوحشية والأيل والأروى (الوعول) والغزال والأرنب والضب والحرباء واليربوع والجرادة والطيور ([٤]) ، فقد صاد أبو قتادة حمار وحش في خيبر ([٥]) ، وكان أكيدر صاحب دومة الجندل يصيد البقر (الوحشي) ([٦]) .

وأكل العرب الأرانب ([٧]) ، كما أكلوا الجراد ([٨]) .

ولم تكن اليهود تأكل لحم الجمل ، ويبدو أن ذلك يعود لأسباب دينية ، لذلك أصر الرسول على من يريد أن يسلم من اليهود أن يأكل لحم الجمل ([٩]) .

وأكل النصارى لحم الخنازير ([١٠]) .

وأكل العرب في حالات المجاعة العِلْهز ([١١]) وهو طعام من وبر الإبل ودمها يؤكل إذا اشتد المحل ونزل الجدب ([١٢]) ، ويصنع العلهز من الوبر بعجنه بالدم كما أكلوا الجيف والقراد في المجاعة ([١٣]) ، فعندما أجدبت بلاد مضر سبع سنين متوالية حتى هلكوا وأكلوا

---

(١) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٤٨٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٦٥ .
(٣) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٨١ .
(٤) الطبري ــ جامع ، ج ٧ ، ص ٢٩ ــ ٣٠ .
(٥) البخاري ــ صحيح ، ج ٨ ، ص ٣٩ .
(٦) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٥٢٦ .
(٧) الدارمي ــ سنن ، ج ٢ ، ص ٩٣ .
(٨) البخاري ــ صحيح ، ج ٢ ، ص ٢٩ .
(٩) الواقدي ــ المغازي ، ج ٢ ، ص ٥١٥ .
(١٠) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ٤ ، ص ٤١ .
(١١) ابن قتيبة ــ الأشربة ، ص ٣٢ .
(١٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .
(١٣) الطبري ــ جامع ، ج ١٤ ، ص ١٢٥ .

الوبر بالدم فسموه العلهز وبسببه وفد حاجب بن زرارة الدارمي التميمي على كسرى واستأذنه أن يسمح لقومه بدخول السواد (١) .

ومن الأطعمة اللبن ، وكان اللبن يشرب شربا (٢) ، حيث كان أكثر عيش زوجات الرسول من لبن لقائحه (٣) ، وكان يصنع من الألبان السمن والأقط (٤) .

وقد ميزوا بين عدة أنواع من اللبن ، فهناك اللبن العريق ، وهو اللبن ساعة يحلب ، واللبن الصريح وهو اللبن الذي سكبت رغوته ، واللبن المحض ، وهو اللبن الذي لم يخالطه ماء (٥) .

وهناك اللبن الحازر وهو لبن حامض شديد الحموضة ، واللبن الضريب وهو لبن يحلب بعضه على بعض ، واللبن الضرب وهو لبن يحلب على لبن حتى يخثر ، ولبن ربيئة وهو حليب يصب على حامض (٦) .

وصنع العرب من اللبن السمن (٧) والزبد (٨) ، وتسمى عملية صنع الزبد سلأ الزبد (٩) ، كما صنعوا منه الإقط (١٠) ، وهو لبن يجمد ويؤكل (١١) .

وصنع العرب من اللبن الجبن (١٢) ، ويبدو أنهم أخذوا صناعته عن الفرس ، إذ عندما أتى شخص في تبوك إلى الرسول بجبنة قال أنه طعام تصنعه فارس (١٣) .

ومن أنواع الطعام الثريدة ، وهي لحم وحساء وخبز ، وقد يضاف إليها بعض

---

(١) الحلي ــ المناقب ، ص ٦٠ ــ ٦٢ .
(٢) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٣٣ .
(٣) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥١٣ ، الطبري ــ تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٧٥ .
(٤) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .
(٥) العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٧٦ .
(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٧٦ .
(٧) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٢، ص ٩٠ .
(٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .
(٩) العسكري ــ التلخيص ، ص ٣٧٧ .
(١٠) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٢ ، ص ٩٠ .
(١١) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٤٠ .
(١٢) ابن ماجه ــ سنن ، ج ٢ ، ص ١١١٧ ، أبو داود ــ سنن ، ج ٣ ، ص ٣٥٩ .
(١٣) الواقدي ــ المغازي ، ج ٣ ، ص ١٠١٩ .

الخضراوات ، فقد صنع أنس بن مالك للرسول ثريدة بلحم وقرع ([١]) ، ويبدو أن الثريد كان من أنواع الطعام المميزة ، فقد قال الرسول : " فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام " ، وقد اشتهر هاشم بن عبد مناف بإطعامه الثريد ومدح بذلك ([٢]) ، بل إن الروايات تجعله أول من ثرد الثريد ، وكان الثريد الذي صنعه يتكون من لحم إبل وخبز من طحين ([٣]) ، قال مطرود بن كعب الخزاعي :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف ([٤])

قال شاعر آخر :

آب الحجيج طاعمين دسما

أشبعهم زيد قصي لحما

ولحما محضا وخبزا هشما ([٥])

ومن أنواع الطعام العصيدة ، حيث كانت العصيدة تتكون من الشعير المطبوخ مع الشحم أو من الدقيق الذي يلت بالسمن ويطبخ ([٦]) ، وقد يوضع مع العصيدة صنف من السلق والشعير ([٧]) .

ومن الأطعمة الحريرة وهي حساء من الدقيق والدسم ، وقد يطبخ الدقيق باللبن ([٨]) ، فقد دخل الرسول على خولة بنت قيس بن مهند الأنصارية فصنعت له حريرة ([٩]) .

ومن أنواع الطعام التلبينة وهي حساء من دقيق أو نخالة يطبخ ويوضع فيه عسل وقد تصب التلبينة مع الثريد وتخلطان وتقدمان معا ، وكانت التلبينة تؤكل في الأحزان وتستعمل

([١]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٢٢٩ .
([٢]) البخاري ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ٢٩٧ ، مسلم ــ صحيح ، ج ٢ ، ص ١٨٨٧ .
([٣]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٣٦ .
([٤]) المرزباني ــ معجم ، ص ٩ .
([٥]) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٥١ .
([٦]) الذهبي ــ سير ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .
([٧]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٤٢٢ .
([٨]) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .
([٩]) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ٢٩٣ .

للمريض قال الرسول : " التلبينة مجمة لفؤاد المريض تذهب بعض الحزن " ([١]) .

ومن أنو اع الأطعمة الهريسة ، وهي حب يدق دقا شديدا ([٢]) ويهرس جيدا ويطبخ على النار ([٣]) .

ومن أنواع الأطعمة الحيس ([٤]) ، وهو تمر يخلط بسمن ([٥]) ، وقد يخلط بالإقط ([٦]) حيث يدق التمر والإقط ويعجنان بالسمن ثم يسوى كالثريد ([٧]) ، ويقدم الحيس في الولائم (الأعراس) ([٨]) .

ومن الأطعمة الخذيفة ، وهو طعام (قمح) يهرس (يدق) ([٩]) .

ومن الأطعمة العصيدة ، وهو طعام يجعل فيه إقط ، وسمي بذلك لأنه يعصد أي يلوى ([١٠]) .

ومن الأطعمة السخينة ، وتصنع من الطحين ([١١]) ، وكانت تعاب قريش بها لأنها تأكلها وتطعمها الأضياف ([١٢]) .

ومن الأطعمة الخزيرة وهو شيء يطبخ من النخالة ([١٣]) .

ومن الأطعمة الجشيشة ([١٤]) ، وهي طعام يصنع من الجشيش وهو البر الذي يطحن غليظا يأكله اليهود ([١٥]) .

---

(١) مسلم صحيح ، ج ٢ ، ص ١٧٣٦ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٥٣ .
(٢) العسكري ــ التلخيص ، ص ١٩١ .
(٣) أبو حيان التوحيدي ــ الإمتاع ، ج ٣ ، ص ٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤٦ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .
(٦) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٨١ ، ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٤٠٧ .
(٧) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ٣ ، ص ٢٤ .
(٨) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ١٢٢ .
(٩) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٤٠ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .
(١١) الطبري ــ جامع ، ج ٢ ، ص ٩٧ .
(١٢) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٤٢ .
(١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ .
(١٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢ .
(١٥) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ .

ومن المأكولات السويق وهو طعام (قمح) يثرى (يبل بالماء) ([١]) أو هو من طحين الحنطة والشعير بعد تحميصه ثم يبل باللبن والعسل والسمن والماء ([٢]) ، ووصف بأنه طعام المسافر والمريض والنفساء ومن لا يشتهي الطعام ([٣]) .

ومن الأطعمة البسيسة ، وهو سويق يحثى بالسمن (يصب عليه) حتى يجتمع ([٤]) .

ومن الأطعمة النميرة وهو ماء وطحين ([٥]) .

وعرف العرب شرب المرق الذي يصنع من طبخ اللحم أو الخضار بالماء ([٦]) ، ويسمى أيضا الحساء ، وكان الرسول يستكثر من المرق ([٧]) .

ومن المأكولات الكمأة ([٨]) ، حيث تجمع وتؤكل بالسمن ([٩]) وكان أكل الكمأة بالسمن من الأطعمة المذمومة عند بعض العرب ([١٠]) .

ومن المأكولات الصناب وهو طعام يؤخذ من الزبيب والخردل (في لونه حمرة) ([١١]) .

وقد أكل بعض العرب الجلد ، حيث أكل الجلد في اليمامة ، قال المزرد بن ضرار الذبياني :

فقالت نعم هذا الطوي وماؤه ومحترق من حائل الجلد قاحل ([١٢])

ومن المأكولات العسل ، وكان العسل يشرب شربا ([١٣]) ، ويصنع منه طعام يسمى

---

(١) مالك ــ الموطأ ، ص ٢٨ .
(٢) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ .
(٣) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٣ ، ص ٤٨ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٨ ، ص ٥ .
(٤) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٤٣ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ .
(٦) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٨٦ .
(٧) الراغب الأصفهاني ــ محاضرات ، ج ١ ، ص ٦١١ .
(٨) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ١٧٢ .
(٩) الجاحظ ــ الحيوان ، ج ١ ، ص ٢٤ .
(١٠) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٤ .
(١١) ابن قتيبة ــ عيون ، ج ١ ، ص ٦ .
(١٢) الطوي : البئر ، المفضل ــ المفضليات ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .
(١٣) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٧٣ .

الحلواء (١) ، وتطلق على عملية جمع العسل اسم أشر العسل (٢) ، وتستخدم في عملية جمع العسل عيدان تسمى الأخارص ، ويسمى جامع العسل مشتار العسل (٣) ، ومن أنواع العسل العسل الضَرْب وهو عسل أبيض غليظ (٤) .

وقد اشتهرت الطائف بإنتاج العسل ، ويبدو أن ذلك يعود لكثرة الفواكه فيها ، فقد كان لأم سلمة زوج الرسول نسيب بالطائف يهديها عسلا (٥) ، وكان أصحاب النحل في الطائف يؤدون إلى الرسول عن كل عشر قرب عسل قربة (٦) ، وقد قدم العسل مع الحليب في الرفادة (٧) .

وقد عرف العرب عدة أنواع من الدعوات على الطعام ، ومن ذلك الوليمة وهو طعام الإيلام (٨) وهو طعام العرس ، والخَرْس وهو طعام الولادة (٩) ، والوكيرة وهو طعام بناء الدور (١٠) ، والإعذار وهو طعام الختان (١١) ، والنقيعة وهو طعام القادم من السفر (١٢) ، والوضيمة وهو طعام المأتم (١٣) .

وتسمى الدعوة إلى الطعام المأدبة (١٤) ، والدعوة الجفلى هي دعوة القوم كلهم (١٥) والدعوة النقرى هي دعوة خاصة (١٦) ، والخبيرة هي دعوة على عقيقة (١٧) وهو الطعام الذي يصنع للمولود عند ولادته .

---

(١) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٨١ .
(٢) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٤٦ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤٧ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٤٦ .
(٥) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٢٧ .
(٦) أبو يوسف ــ الخراج ، ص ٧٦ .
(٧) الأزرقي ــ أخبار ، ص ٧٠ .
(٨) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٣٩ .
(٩) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ .
(١١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ .
(١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ .
(١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .
(١٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٩ .
(١٥) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .
(١٦) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .
(١٧) المصدر نفسه ، ص ٢٤٠ .

ولا يشترط في الوليمة أن تكون بلحم ، فقد تكون الوليمة وليمة سويق وتمر لا شحم فيها ولا لحم ([١]) .

وقد انتقد الإيلام بالكرش وهي الإِنْفَحَة ، قال الشماخ بن ضرار الذبياني :

وإني لمن قوم على أن ذممتهم ... إذا أولموا لم يولموا بالأنافح

وإنك من قوم تحن نساؤهم ... إلى الجانب الأقصى حنين المنائح ([٢])

الأثاث

من استعراض الإشارات الواردة من فترة ما قبل الإسلام إلى الأثاث ، يلاحظ أن هناك تمايزا في أنواع الأثاث حسب المستوى الاقتصادي للمجتمعات أو الأفراد ، ففي الوقت الذي اتسم أثاث الطبقات الفقيرة والمجتمعات البدوية ببساطته ، يلاحظ وجود الأثاث الفاخر لدى الطبقات الغنية والمجتمعات المتحضرة ، فقد استخدم الأغنياء أنية الذهب والفضة في طعامهم وشرابهم ([٣]) ، فقد كان عبد الله بن جدعان (وهو أحد أثرياء مكة) يتناول طعامه بآنية من ذهب ([٤]) ، كما استعمل أهل الحيرة الأواني الفضية والذهبية للأكل ([٥]) ، ووجد أثاث ورياش نفيسة في الحيرة ([٦]) ، واستخدم ملوك الغساسنة صحافا من فضة ([٧]) .

وفي المناطق البدوية وعند الطبقات الفقيرة وقع عبء صناعة كثير من الأثاث على عاتق المرأة ، فقد كانت المرأة تغزل وتنسج وتخيط وتعمل بالإبرة ، وتعالج الخوص وألياف النخل والجلود ([٨]) .

ومن أنواع الأثاث التي عرفها العرب قبل الإسلام الفرش ، وقد تنوعت الفرش حسب

([١]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٤ ، ص ٢٨٨ .
([٢]) الشماخ ــ ديوان ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، الجانب الأقصى : الغريب البعيد ، المنيحة : الناقة أو الشاة المعارة .
([٣]) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٩٧ .
([٤]) الألوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ٨٧ .
([٥]) المصدر نفسه ، ج ٩ ، ص ٣٤٧ .
([٦]) أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢ ، ص ٥٤ .
([٧]) الأعشى ــ ديوان ، ص ١٦٧ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٧ ، ص ١٦٦ .
([٨]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٢٩٦ ، ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٤٩٤ ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ، الذهبي ــ سير ، ج ٢ ، ص ٢١٧ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٣٣٠ .

المادة التي صنعت منها ، فهناك البسط وتصنع من الشعر ، فقد كان الرسول يصلي على بساط في بيت أبي طلحة (١) وفرشت أم حبيبة عندما تزوجها الرسول بساطا من شعر ، وفرشت فوق البساط فراشا آخر (٢) .

وهناك فرش مصنوعة من سعف النخيل ، ويطلق عليها اسم الحصير (جمعها حصر) (٣) ، وقد يطلق عليها تسميات مختلفة حسب حجمها ، فالحصير الصغير يسمى الخَمْرة (٤) ، والخَصَفة وهي مثل الحصير إلا أنها أدق من ناحية العرض (٥) ، والطَنْفَسة نوع من البسط والحصر تكون من سعف النخل وطولها ذراع تقريبا (٦) ، ويطلق على الطنفسة اسم الزرْبيّة (٧) .

وهناك فرش مصنوعة من الجلد المدبوغ (الأديم) ، ومنها النَطْع ، فالنطع بساط من الأديم (٨) ، ويطلق عليه أيضا اسم الإهاب (٩) .

وقد تحشى بعض الفرش بالصوف ، فقد كان فراش الرسول عند قدومه إلى المدينة عباءة مثنية ، فبعثت إليه امرأة من الأنصار بفراش حشوه صوف (١٠) ، كما أن بعض الفرش تحشى بالليف ، فقد كان للنبي فراش من أدم (جلد مدبوغ) حشوه ليف (١١) .

ويطلق على بعض الفرش أسماء تتناسب وطبيعة استخدامها ، فالنَمَط هو الفراش الذي يطرح على الهودج للجلوس عليه (١٢) ، ويطلق عليه أيضا اسم الزوج (١٣) .

---

(١) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٤٦٤ .
(٢) ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ١ ، ص ٨٧ .
(٣) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٤٦٤ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ١٦١ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٣١٥ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ١٦١ .
(٥) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٤٦٦ .
(٦) الفيروز أبادي ــ القاموس ، مادة حصر .
(٧) العسكري ــ التلخيص ، ص ١٥٩ .
(٨) الفيروز آبادي ــ القاموس ، مادة نطع .
(٩) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٢١ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٠٢ .
(١٠) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٤٦٥ .
(١١) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٤٦٤ .
(١٢) العسكري ــ التلخيص ، ص ١٦١ .
(١٣) المصدر نفسه ، ص ١٦١ .

واستخدمت الوسائد للنوم ، وللفصل بين الجالسين (الاتكاء) ، وتكون عادة من أدم (جلد مدبوغ) محشو بمادة أخرى ، مثل الليف (١) ، أو الإذْخَر (٢) (والإذخر نبات ينمو في مكة) ، ويطلق على الوسادة اسم المرفقة (٣) .

ويطلق على الوسائد التي تحتوي على تصاوير اسم النمارق (٤) ، وقد حرم استخدام النمارق التي تحتوي على تصاوير في الإسلام (٥) .

وكان يوضع على الجدران الستائر ، ويطلق على الستر اسم القِرام (٦) ، ويذكر أن عائشة زوجة الرسول سترت جدار بيتها بنمط فيه صورة ، فكره الرسول ذلك ، فأخذت النمط وجعلته وسادتين كان الرسول يتكئ عليهما (٧) ، وعندما تزوج سالم بن عبد الله سترت النساء البيت بقماش أخضر (٨) .

ومن أنواع الستور الخِدْر ، وهو الستر الذي يفصل المنطقة التي توجد فيها النساء عن الرجال (٩) ، لذلك أطلق على النساء اسم ربات الخدور .

واستخدم العرب قبل الإسلام الأسرة للنوم (١٠) ، أو للجلوس عليها (١١) ، ويطلق عليها اسم الأرائك (١٢) ، كما عرفوا الكراسي للجلوس عليها ، حيث يرد ذكر صناعة كراسي من الخشب والحديد في المدينة (١٣) .

---

(١) البخاري ــ صحيح ، ج ٧ ، ص ١٢٩ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٣١٥ .
(٢) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٠٢ .
(٣) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٣١٥ .
(٤) العسكري ــ التلخيص ، ص ١٦٠ .
(٥) البخاري ــ صحيح ، ج ٧ ، ص ٦٧ .
(٦) البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٠٢ .
(٧) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٤٦٩ .
(٨) الذهبي ــ سير ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ .
(٩) العسكري ــ التلخيص ، ص ١٦٠ .
(١٠) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٤٦٦ ، ج ٨ ، ص ١٢٦ ، البخاري ــ صحيح ، ج ٧ ، ص ١٣٩ ، ج ٨ ، ص ١٣٧ .
(١١) البخاري ــ صحيح ، ج ٨ ، ص ١٣٧ .
(١٢) العسكري ــ التلخيص ، ص ١٦٠ .
(١٣) الخزاعي ــ تخريج ، ص ١١٥ ــ ١١٦ .

وتنوعت الأدوات في البيوت ، فكان منها المصابيح أو السرج لإنارة البيوت ، حيث تملأ بالزيت أو الدهن ([١]) ، وقد أمر الرسول المسلمين بإطفاء المصابيح ليلا عند الرقاد حفاظا على السلامة العامة ([٢]) .

ويبدو أن المصابيح في المدينة كانت قليلة ، حيث كانت النساء يرسلن إلى جاراتهن للحصول على المصابيح ([٣]) .

ومن الأدوات الأخرى القدور للطبخ ([٤]) ، وكانت تصنع من المعدن أو من الحجر ([٥]) ، حيث أطلق على القدور الحجرية اسم البُرْمة ([٦]) .

وكان يتم الحصول على النار باستخدام عودين يقدحان ببعضهما يسميان الزندين ([٧]) ، حيث تشعل النار في قطعة قماشية تسمى الفتيلة أو الذُبال ، وذلك بعد غمسها بالسليط وهو الزيت ([٨]) .

أما الآنية التي يقدم فيها الطعام ، فكانت متنوعة الأحجام ، فأكبرها تسمى الجفنة ([٩]) ، (وتستخدم للعجن أيضا) ([١٠]) ، وقد اشتهرت جفنة عبدالله بن جدعان (أحد أغنياء مكة) ، حيث بولغ في ضخامتها ، فذكر أنه كان يأكل منها القائم والراكب على البعير ، وكان يستظل بها ([١١]) ، ويقدم الطعام في الولائم في الجفنة ، قالت الخرنق بنت بدر :

ألا ذهب الحُلالُ في القَفَراتِ   ومن يملأ الجِفان في الحُجُراتِ ([١٢])

وهناك آنية أخرى للطعام ، إلا أنها أصغرحجما ، فالقصعة أصغر من الجفنة ،

---

(١) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٤٠٥ .
(٢) البخاري ــ صحيح ، ج ٧ ، ص ١٤٣ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٩١ .
(٣) مالك ــ الموطأ ، ص ٨٦ .
(٤) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ١٢٨ .
(٥) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٩١ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٨٧ .
(٦) العسكري ــ التلخيص ، ص ٨٧ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ١٦٣ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢٢ .
(٨) المصدر نفسه ص ٢٢٣ .
(٩) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ١٨٧ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٣ ، ص ١٨٤ ، الذهبي ــ سير ، ج ١ ، ص ٢٣ .
(١٠) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٢٩٠ .
(١١) الألوسي ــ بلوغ ، ج ١ ، ص ٨٧ .
(١٢) الخرنق ــ ديوان ، ص ٤٨ .

والصحفة أصغر من القصعة (١) .

وأما ما يقدم عليه الطعام فيطلق عليه اسم الخوان ، وقد ميز العرب بين الخوان والمائدة ، فإذا كان عليه طعام فهو مائدة (٢) ، وإذا لم يكن عليه طعام يسمى الخوان (٣) .

وأما الإناء الذي يستخدم للشرب ، فقد أطلق عليه اسم القدح (٤) ، وقد ميز العرب بين القدح والكأس ، فالقدح هو الفارغ ، أما الكأس فهو المملوء بالشراب (٥) .

ويصنع القدح من الخشب (٦) ، وإذا كان القدح صغيرا يسمى القِعْب (٧) .

وقد استخدم البدو آنية من جلد البعير للشرب ، حيث أطلق عليها اسم العلبة (٨) .

ومن آنية الشرب الإبريق ، ويتميز بأن له عروة ، فإذا لم يكن له عروة يسمى الكوب (٩) ، فالكوب هو إناء مدور لا عروة له (١٠) .

ومن آنية الشرب الكوز ، وهو أصغر من الكوب ، والجرة وهي أكبر من الكوب (١١) .

وتصنع الجرار من مواد طينية (المدر) (١٢)، وقد يستخدم القار أو الزفت في صنعها ، حيث أطلق عليها اسم المقير أو المزفت (١٣) ، وقد أطلق على الجرار التي تتميز بلونها الأخضر اسم الحنتم (١٤) ، ولم يقتصر استخدام الجرار على حفظ السوائل ، فقد استخدمت أيضا لحفظ الحبوب مثل القمح والشعير (١٥) .

---

(١) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ١٨٧ ، ابن عبد ربه ــ العقد ، ج ٣ ، ص ١٨٤ ، الذهبي ــ سير ، ج ١ ، ص ٢٣ .
(٢) العسكري ــ التلخيص ، ص ١٩٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ص ١٩٨ .
(٤) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٣٣ .
(٥) المصدر نفسه ، ص ١٩٨ .
(٦) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٤ ، ص ١٥٥ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ١٠١ .
(٧) العسكري ــ التلخيص ، ص ١٩٨ .
(٨) المصدر نفسه ، ص ١٩٨ .
(٩) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ .
(١١) المصدر نفسه ، ص ١٩٠ .
(١٢) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٦٤ .
(١٣) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٤٨ .
(١٤) العسكري ــ التلخيص ، ص ١٩٣ ، ابن حجر ــ فتح ، ص ٧٤ .
(١٥) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٩١ ، ٩٤ ، الذهبي ــ سير ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ .

ومن أدوات حفظ السوائل أيضا القلة ، وهي إناء يجعل فيه الماء ([١]) .

وتحفظ السوائل أيضا في وعاء يسمى القربة ، وتصنع من جلد مدبوغ ([٢]) ، ويطلق عليها أيضا اسم السقاء ([٣]) ، والشَنّ ([٤]) ، والمزادة ([٥]) ، والعَكّة ([٦]) ، والنَجِي ([٧]) ، والوطاب ([٨]) ، والشَكْوة ([٩]) ، والراوية ([١٠]) .

ويطلق على الخيط الذي يشد به رأس القربة اسم الوكاء ([١١]) ، كما يطلق على الخرز (الخياطة) وسط القربة اسم العِرْق ([١٢]) .

ومن أدوات حفظ السوائل أوعية صنعت من مواد نباتية ، ومنها الدباء وهي وعاء مصنوع من ثمرة القرع بعد تجويفها ([١٣]) ، والنقير وهي وعاء مصنوع من أصل النخلة بعد تجويفها ([١٤]) .

وصنعت بعض أدوات حفظ السوائل من الحجارة أو المعادن (النحاس والحديد) ، حيث أطلق عليها اسم التَوْر ([١٥]) .

أما حفظ المأكولات كالتمر والعنب والحبوب ، فقد استخدمت لها آنية أطلق عليها اسم الزبيل والقناع والمِكْتَل والعَرَق ([١٦]) ، ويبدو أنها تصنع من الخوص أو الجلود .

([١]) ابن سعد ــ طبقات ، ص ١٩٣ .
([٢]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٤٢٨ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ٤٠٢ ، ابن عساكر ــ تاريخ ، ج ٤ ، ص ٤٨ ، الذهبي ــ سير ، ج ١٣ ، ص ٣٤١ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٩١ .
([٣]) ابن الأثير ــ أسد ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٣٧٩ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٩١ .
([٤]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٤١٢ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٩٠ .
([٥]) ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٢٢٧ .
([٦]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٥ .
([٧]) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢١٣ .
([٨]) المصدر نفسه ، ص ٢١٣ .
([٩]) المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .
([١٠]) المصدر نفسه ، ص ٢١٥ .
([١١]) المصدر نفسه ، ص ٢١٥ .
([١٢]) المصدر نفسه ، ص ٢١٦ .
([١٣]) مالك ــ الموطأ ص ٦٠٨ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٤٨ .
([١٤]) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٤٨ .
([١٥]) ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٥٨ .
([١٦]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٢٩٩ ، ٤٨٨ ، البلاذري ــ أنساب ، ج ١ ، ص ١٤٧ ، ابن حجر ــ فتح ، ج ١٠ ، ص ٥١٩ .

واستخدم العرب أدوات أخرى في البيوت ، حيث استخدمت الرحى لطحن الحبوب ([١]) ، واستخدم المنخل لنخل وتنقية الحبوب بعد طحنها ([٢]) .

واستخدم في البيوت أيضا المقص الذي يسمى الجلمان ([٣]) ، ويسمى أيضا المقراضان ([٤]) ، ويستعمل لقص الشعر ([٥]) ، ولقص الصوف ([٦]) .

واستخدمت في البيوت المرآة ، وتسمى السَجَنْجَل ، قال امرؤ القيس :

مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غير مُفاضةٍ   ترائبُها مصقولةٌ كالسجنجل ([٧])

ويبدو أن مصدر المرايا الصين ، حيث شبه وجه كعب بن أسد القرظي بمرآة صينية ([٨]) .

أما الأوعية التي تستخدم لحفظ الملابس ، فهناك العِيبة وهي مستودع الثياب ([٩]) ، والدَرْجة وهي وعاء صغير تضع فيه المرأة الخفيف من متاعها ([١٠]) .

الملابس

وجد لدى العرب في شمال ووسط الجزيرة العربية خلال القرن السادس والثلث الأول من القرن السابع الميلاديين عدة أنواع من الملابس ، وفيما يلي عرض لهذه الأنواع.

ملابس الرأس

ملابس الرأس للنساء

عرف العرب قبل الإسلام عدة أنواع من ملابس الرأس للنساء ، حيث عرفوا الأنواع التالية :

([١]) مالك ــ الموطأ ، ص ٢٠٩ ، ابن حجر ــ الإصابة ، ج ٤ ، ص ٣٧٩ .
([٢]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٢٤ .
([٣]) العسكري ــ التلخيص ، ص ٤٢٧ .
([٤]) المصدر نفسه ، ص ٢٠٠ .
([٥]) مالك ــ الموطأ ، ص ٢٦٦ .
([٦]) المصدر نفسه ، ص ٢٧٤ .
([٧]) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٠٠ ، مهفهفة : خفيفة اللحم ، مفاضة : ضخمة البطن ، ترىبة : موضع القلادة .
([٨]) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ ، الواقدي ــ المغازي ، ج ٢ ، ص ٥١٩ .
([٩]) مالك ــ الموطأ ، ص ٦٥٤ .
([١٠]) مالك ــ الموطأ ، ص ٥٠ .

الخمار : وهو غطاء رأس المرأة ، ورد ذكر الخمار في القرآن الكريم، كغطاء لرأس المرأة الحرة ، قال تعالى(١) : (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) ، ويلاحظ أن القرآن لم يطلب من المرأة الحرة تغطية رأسها بالخمار ، بل طلب منها تغطية جيبها (وهو فتحة أعلى الصدر والعنق)(٢) ، وهذا يوحي أن تغطية المرأة الحرة رأسها بالخمار كان أمرا مفروغا منه كجزء من التراث العربي قبل الإسلام ، وأن الأمر الذي رأى القرآن أهمية التنبيه إليه هو ظاهرة ترك المرأة أعلى صدرها وعنقها مكشوفا.

ويبدو أن المرأة الحرة لم تكن تضع خمارها حتى في المجلس الذي يحتوي على أبيها وأخيها وخالها وزوجها فقط ، فقد أثارت هند بنت صعصعة استغراب أبيها وأخيها وخالها وزوجها عندما وضعت خمارها في مجلس احتواهم وحدهم ، مما أدى أن يطلق عليها اسم ذات الخمار (٣) .

عرف العرب عدة ألوان للخمار ، فعرفوا الخمار الأبيض ، وهناك ذكر للخمار الأسودأيضا(٤)، وللخمار الأصفر(نتيجة صبغه بالزعفران)(٥) ، وللخمار الأخضر(٦).

---

(١) سورة النور ، الآية ٣١ .
(٢) الطبري–جامع ، ج ١٨ ، ص ١١٨ .
(٣) أبو عبيدة ــ نقائض ، ص ٢٦٤، ٧٠٥–٧٠٦ ، ابن عبد ربه–العقد ، ج ٢ ، ص ٥٦ .
(٤) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ،ص٤٩٤ .
(٥) ابن ماجه ــ سنن ، ج١ ،ص ٦٣٤ .
(٦) البخاري ــ صحيح ، ج٧ ، ص ٤٢ ، انظر أيضا حول الخمار : دوزي ــ المعجم ، ص ١٣٩ ، صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٥٦ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٦٢ ــ ٦٤ .

وقد وردت أسماء أخرى لغطاء رأس المرأة ، فأطلق عليه اسم المِعْجَر (١) ، والنصيف (٢) ، والنوفلية (٣) ، ويبدو أنها تتكون من الصوف ، حيث تلبس تحت الخمار ، ويبدو أنه لباس للنساء البدويات (٤) ، والجُنّة (٥) ، ويبدو أنها نوع من الأغطية ذات تصميم معين ، فهي تغطي الجزء الأمامي من الرأس والجزء الخلفي منه والوجه وأعلى الصدر إلا أنها تترك الجزء الأوسط من الرأس مكشوفا ، كما تحتوي فتحتين للعينين (٦) ، والبُخْنُق (٧) ، ويبدو أنها نوع من الأغطية ذات تصميم معين ، فهي تتكون من قطعة من القماش خيط طرفاها ، فيصبح شكلها دائريا ، وتلبس حول الرأس ، ثم يخاط إلى جزئها العلوي قطعة أخرى لتغطي الجبهة ، ويبدو أنه يلبس فوقها الخمار (٨) ، ولا يبدو أن البخنق كان يشكل الغطاء الخارجي لرأس المرأة ، ، بل يلبس فوقه الخمار ، ويبدو أن الهدف من لبسه تكوين طبقة عازلة بين دهن الرأس وكل من الخمار والغبار ، وكذلك أطلق على غطاء رأس المرأة اسم القناع (٩) ، والسَب (١٠) والإكليل (١١) ، والمِكْوَر (١٢) .

ملابس الرأس للرجال

عرف العرب قبل الإسلام الملابس التالية للرأس للرجال

العِمامة : وهي غطاء الرأس للرجل (١٣) ، وتسمى أيضا العصابة (١٤) ، وكانت النظرة إلى العمامة كشيء مميز للعرب ، فهي بالنسبة إلى العرب كالتاج(١٥) ، وكانت عمامة

---

(١) تأبط شرا ــ ديوان ، ص ٩٥ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٠٢ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص٢٠٢ .
(٢) عبيد ــ ديوان ، ص ١٢٨.
(٣) جران ــ ديوان ، ص ١ .
(٤) الأزهري ــ تهذيب ، ج ١٥ ،ص ٣٥٧-٣٥٨ .
(٥) طفيل ــ ديوان ، ص ٣٨ .
(٦) ابن السكيت ــ تهذيب ، ص ٦٦٤ .
(٧) عنترة ــ ديوان ، ص ٦٤ ، انظر أيضا حول البخنق : دوزي ، ص ٥٣ .
(٨) ابن السكيت ــ تهذيب ، ص ٦٦٤ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٢١٩ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص ١٤٤٨ .
(٩) عنترة ــ ديوان ، ص ٢٠٥ ، المفضل ــ المفضليات ، ص٦١ ، ١٠٩ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٢١٩ .
(١٠) الشماخ ــ ديوان ، ص ٧٥ .
(١١)حسان ــ ديوان ، ص ٢٥٥ .
(١٢) معن ــ ديوان، ص ١٠٥ ، انظر تفصيلات أكثر حول هذه الأنواع من أغطية الرأس في : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٦٥ ــ ٦٨ .
(١٣) عمرو بن معديكرب ــ ديوان ، ص ١١٥ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة عمم .
(١٤) ابن منظور ــ لسان ، مادة عصب .
(١٥) الجاحظ -البيان ، ج ٢ ،ص ٨٨ ،١٠٤-١٠٥ ،العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٠١ .

سيد القوم تتخذ لواء في الحروب([1]) ، وهناك فكرة أن بقاء العرب مرهون بمحافظتهم على لبس العمائم ([2]) ، ومن أغطية الرأس للرجال الحَوْتكية ، وترد في الحديث كلباس للرأس للرجال تميز به أهل الصفة (وهم من فقراء المسلمين) زمن الرسول([3]) ، وهناك القلنسوة حيث استخدمها المسلمون كغطاء للرأس تحت العمامة للتميز عن المشركين ([4]) .

ملابس الوجه

عرف العرب قبل الإسلام عدة أنواع من ملابس الوجه حيث عرفوا الأنواع التالية :

النِقاب: وقد ورد ذكره في الشعر كغطاء تغطي به المرأة وجهها ([5]) ، وكذلك ورد كغطاء يغطي به الرجل أنفه ، ([6]) ، ويبدو أنه غطاء للرأس (قناع) يغطي الجزء السفلي من الوجه (من وسط الأنف حتى أسفل الوجه) ([7]) .

ومن ملابس الوجه أيضا الوصواص ، وقد ورد ذكره في الشعر كغطاء تغطي به المرأة وجهها ، ([8]) ، ويبدو أنه يتميز بصغر فتحتي العينين ([9]) ،فهو عبارة عن قطعة قماش فيها ثقبان صغيران للعينين .

ومن ملابس الوجه أيضا البُرْقع ، وقد ورد ذكره في الشعر كغطاء تغطي به المرأة وجهها ([10]) ، ويبدو أنه عبارة عن قطعة قماش تغطي الوجه ، ولها ثقبان للعينين ، ويبدو أنه كان خاصا بالنساء البدويات([11]) .

([1]) الجاحظ–البيان، ج ٣ ، ص ١٠٥ .
([2]) الجاحظ–البيان ، ج ٢، ص ٨٨ ، انظر أيضا حول العمامة : دوزي ، ص ٢٥٠ ــ ٢٥٣ ، صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٤٢٢ ــ ٤٢٤ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٦٩ ــ ٧٠ .
([3]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٤ ص٢٧٦ ، ابن حنبل ــ مسند ، ج ٤ ، ص ١٢٨ ، انظر أيضا حول الحوتكية : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٧٠ .
([4]) أبو داود ــ سنن ، ج ٤ ، ص ٥٤ ، انظر أيضا حول القلنسوة : دوزي ــ المعجم ، ص ٢٩٥ ــ ٢٩٩ ، صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٤٢٤ ــ ٤٢٥ .
([5])، امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٤٨ .
([6]) سلامة ــ ديوان ، ص ٢١٨ .
([7]) ابن منظور ــ لسان ، مادة نقب ، الفيروز أبادي ــ القاموس ، مادة نقب ، انظر أيضا حول النقاب : دوزي ــ الملابس ، ص ٣٠٣ ــ ٣٠٥ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٧٣ ــ ٧٤ .
([8]) المفضل ــ المفضليات ، ص ٢٨٩ .
([9]) ابن منظور ــ لسان ، مادة وصوص ، انظر أيضا حول الوصواص : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٧٤.
([10]) سحيم ــ ديوان ، ص ١٦ .
([11]) ابن منظور ــ لسان ، مادة برقع ، انظر أيضا حول البرقع : دوزي ــ المعجم ، ص ٥٩ ــ ٦١ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٧٥ ــ ٧٦ .

ومن ملابس الوجه أيضا اللفام ، وقد ورد ذكره في الشعر كغطاء تغطي به المرأة وجهها (١) ، ويبدو أنه عبارة عن قطعة قماش تغطي الجزء السفلي من الوجه (من أسفل الأنف حتى أسفل الوجه)(٢) .

وهناك أيضا اللثام ، وقد ورد ذكره في الشعر كغطاء تغطي به المرأة وجهها (٣) ، ويبدو أنه عبارة عن قطعة قماش تغطي الجزء السفلي من الوجه(من الفم حتىأسفل الوجه)(٤) .

ملابس البدن

ملابس البدن المشتركة للرجال والنساء

يمكن ملاحظة أنه وجد لدى العرب الأصناف التالية من ملابس البدن المشتركة للرجال والنساء :

الثوب:وقد ورد ذكره في القرآن الكريم ، قال تعالى(٥) : (اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا) ، وقال تعالى(٦) : (هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم) ، وقال تعالى(٧) : (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم) ، وقال تعالى (٨) : (وثيابك فطهر) ، وقال تعالى (٩) : (عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا

---

(١) السكري ــ شرح ، ص ٨٨٨ .
(٢) ابن السكيت ــ تهذيب ، ص ٦٦٥ ،العسكري ــ التلخيص ، ص ٢١٩ ، انظر أيضا حول اللفام : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٧٦ .
(٣) الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ١٤ ،ص ١٥٨ .
(٤) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢١٩ ، انظر أيضا حول اللثام : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٧٦ .
(٥) سورة الكهف ، الآية ٣١ .
(٦) سورة الحج ، الاية ١٩ .
(٧) سورة النور ، الاية ٦٠ .
(٨) سورة المدثر ، الاية ٤ .
(٩) سورة الإنسان ، الاية ٢١ .

أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا) ، ويبدو أنه اسم عام لكل لباس غير مخيط ، كما أن لفظة الثياب تطلق على الملابس بصورة عامة (١) .

القميص: ومن أنواع الملابس القميص ، وقد ورد ذكر القميص في القرآن الكريم، قال تعالى (٢): (وجاؤوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) ، وقال تعالى (٣) : (واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أوعذاب أليم) ، وقال تعالى (٤) : (اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأتي بصيرا وائتوني بأهلكم أجمعين) ، ويرد القميص كلباس للرجال ،حيث يكون للقميص طوق يحيط بالعنق (٥) ، وللقميص بنيقة (٦) ، ويبدو أنها قطعة من القماش توجد في أعلى الصدر يتم التحكم من خلالها بسعة القميص عن طريق الأزرار، وعندما يتعرض القميص للبلى فإنه يتم رقعه برقع تسمى الدخارص (٧) ، وقد لبست النساء القميص ، حيث لبسن القميص الأصفر ، وقميص الحرير السيراء (٨) .

أما المادة التي يصنع منها القميص فمتنوعة ، وقد تكون من الديباج (٩) ، أو القطن (١٠) أو حرير السيراء (١١) ، أما طول القميص فقد يكون قصيرا أو طويلا (١٢)، وللقميص

---

(١) امرؤ القيس ــ ديوان، ص ١٣ ، انظر أيضا حول الثوب : دوزي ــ المعجم ــ ص ٩٠ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٧٦ ــ ٧٨ .
(٢) سورة يوسف ، الاية ١٨ .
(٣) سورة يوسف، الاية ٢٥ .
(٤) سورة يوسف ، الآية ٩٣ .
(٥) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٨ .
(٦) طرفة ــ ديوان ، ص ٢١ .
(٧) الأعشى ــ ديوان ، ص ١٥١ .
(٨) البخاري ــ صحيح ، ج ٨ ، ص٨ ، ابن ماجه ــ سنن ، ج ٢ ، ص ١١٩ .
(٩) ابن مقبل ــ ديوان ، ص ١٠ .
(١٠) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ص ١٥٣ ، ٤٥٨ .
(١١) ابن ماجه ــ سنن ، ج ٢ ص ١١٩ .
(١٢) ابن سعد ــ طبقات ، ج١ ، ص ١٥٣ ، ٤٥٨ .

كمان ([1]) ، قد لا يتعدى طولهما الرسغ ([2])، وكان القميص من الملابس المحببة للرسول ([3])

---

(١) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٥٣ .
(٢) المصدر نفسه ، ج١ ص ١٥٣ .
(٣) الترمذي ــ سنن ، ج ٤ ، ص ٢٣٧ .

، حيث كان قميص الرسول من قطن ، قصير الطول ، قصير الكمين (1) .

ولم يكن من المعتاد أن يلبس القميص وحده ، إذ لا بد من أن يكون فوقه إزار ورداء .

السربال:وقد ورد ذكره في القرآن الكريم ، للإشارة إلى ملابس أهل النار ، قال تعالى : (سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار) (2) ، وكذلك للملابس بصورة عامة سواء الملابس في حالة السلم ،أو الملابس في حالة الحرب (3) ، قال تعالى : (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) ،وورد في الشعر كلباس للرجال (4) ، ويبدو أنه مرادف للقميص أو الدرع (5)،وكذلك ورد كلباس للنساء (6) .

ومن أنواع الملابس الإزار، وقد ورد ذكره في الشعر ،كلباس للرجال للجزء السفلي من الجسم ، حيث تميز الرجال المترفون بإرخاء الإزار (7)، وكذلك ورد كاسم للباس الخارجي للجزء السفلي من الجسد للنساء (8) .

وكان الإزار متعدد الطول ، فقد يصل إلى نصف الساق(9)، وقد يصل أسفل الكعبين(10) ، حيث كان جر الإزار دلالة على التكبر ، مما أدى إلى اتخاذ الإسلام موقفا منه بتحريمه على الرجال (11) ، حيث حدد الإسلام الحد السفلي للإزار للرجل بانحصاره بين

---

(1) ابن سعد ــ طبقات ، ج ١ ، ص ٤٥٨ ، انظر أيضا حول القميص : دوزي ــ المعجم ، ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣ ، صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٤٩ ــ ٥١ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٧٨ ــ ٨٠ .
(2) سورة إبراهيم ، الاية ٥٠ .
(3) سورة النحل ، الاية ٨١ .
(4) عدي ــ ديوان ، ص ١٠٢ .
(5) ابن منظور ــ لسان ، مادة سربل .
(6) الأعشى ــ ديوان ، ص ١٣٩ ، انظر أيضا حول السربال : دوزي ــ المعجم ، ص ١٦٧ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٠ .
(7) الأعشى ــ ديوان ، ص ٤٥ .
(8) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٢٩٤ .
(9)ابن حنبل ــ مسند ، ج ٣ ص ٤٨٢ ، البخاري ــ صحيح ، ص ج ٥ ، ٢١٨ ، أبو داود ــ سنن ، ج ٤ ص ٥٩ .
(10)ابن حنبل ــ مسند ، ج ٣ ، ص ٤٨٢ .
(11) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٤٨٢.

الكعبين ومنتصف الساق (١) ، ويبدو أن لفظة إزار اسم عام علىاللباس الجارجي للجزء السفلي من الجسم .

ومن أنواع الملابس الرداء، وهواللباس الخارجي للجزء الأعلى من الجسم للرجال والنساء (٢) ، ويبدو أنه اسم عام للباس الخارجي للجزء العلوي من الجسم (٣) .

وقد تميزت أنواع معينة من الملابس بأسماء معينة ، فهناك الرَفْرَف وهو لباس طويل بحيث يغطي النعل لبسته النساء (٤) والرجال (٥) ، ويبدو أنه من الملابس الناعمة (٦) .

ومن أنواع الملابس أيضا البُرْد ، الذي يرد في الشعر كلباس للنساء المترفات (٧) ، وللرجال المترفين (٨) .

ومن أنواع الملابس أيضا النَّمِرَة حيث وردت في الشعر كملابس للرجال (٩) ، وكذلك كملابس للنساء البدويات (١٠) ، ويبدو أنها بردة مخططة بالسواد (١١) ، ويبدو أنها من الصوف ومن ملابس البدو(١٢) .

ومن أنواع الملابس الجبة ، ويبدو أنها تلبس فوق الثياب ، كما أن لها أكمام(١٣) ، وقد لبستها الإماء (١٤) ، وكذلك الرجال (١٥) . ويبدو أن الجبب ليست من إنتاج الجزيرة

---

(١)ابن حنبل ــ مسند ، ج ٣ ، ص ٤٨٢ ، أبو داود ــ سنن ، ج ٤ ، ص ٥٩ ، انظر أيضا حول الإزار : دوزي ــ المعجم ، ص ص ٣١ ــ ٣٩ ، صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٤٧ ــ ٤٩ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨١ ــ ٨٣ .
(٢) سحيم ــ ديوان ، ص ٢٧ .
(٣) ابن قتيبة – المعارف ، ص ٣٢٢ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة ردأ ، انظر أيضا حول الرداء : صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٤٦ ــ ٤٧ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٥ ــ ٨٦ .
(٤) جران ــ ديوان، ص ١٨ .
(٥) ابن مقبل ــ ديوان ، ص ١٩٨ .
(٦) ابن منظور ــ لسان ، مادة رفرف ، انظر أيضا حول الرفرف : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٣ .
(٧) جران ــ ديوان ، ص ٣٦ .
(٨) قيس بن الخطيم ــ ديوان ، ص ٨٢ ، انظر أيضا حول البرد : دوزي ــ المعجم ، ص ٥٥ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٣ ــ ٨٤ .
(٩) طرفة ــ ديوان ، ص ٥٢ .
(١٠) جران ــ ديوان ، ص ١٢ .
(١١) ابن منظور ــ لسان ، مادة نمر .
(١٢) الجوهري ــ الصحاح ، ص ٨٣٨ ، انظر أيضا حول النمرة : دوزي ــ الملابس ، ص ٣٤٤ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٤ .
(١٣)أبو داود ــ سنن ، ج ١ ، ص ٣٨ .
(١٤) أوس ــ ديوان ، ص ١ .
(١٥)البخاري ــ صحيح ، ج ١ ، ص ١٤٢ –١٤٣ ، أبو داود ــ سنن ، ج ١ ، ص ٣٨ .

العربية ، حيث يرد ذكر الجبة الشامية([١]) ، ومصدرها الشام ، والجبة الرومية ([٢]) ، ومصدرها البيزنطيون ، ويبدو أنها تصنع من الصوف ، وتتميز بضيق كميها .

ومن أنواع الملابس أيضا الملحفة ، وهو ثوب يلبس فوق الثياب، للرجال والنساء ([٣])

.

وهناك المِطْرَف وهو مشابه للرداء ، إلا أنه يتميز بكونه من خز ووجود أعلام له (أي مزين ببعض النقوش على جانبيه ([٤]) ، ويلبسه النساء والرجال ([٥]) .

ومن أنواع الملابس الحُلَّة ([٦]) ، وتطلق على الإزار والرداء عندما يلبسان معا([٧])، وأحيانا يضاف إليها القميص ([٨]) ، وتستعمل للنساء والرجال ، وكانت الحلل من الهدايا بين الزعماء السياسيين ، حيث أهدى الرسول الملك اليمني ذا يزن ، والملك الحبشي النجاشي ، حلة لكل منهما ([٩]) ، وكذلك أهدى الملك اليمني ذو يزن للرسول حلة مبالغ في قيمتها ، حيث يذكر أن قيمتها ثلاثة وثلاثون بعيرا وناقة ،([١٠]) ، وهذا يدل على ارتفاع قيمة الحلل .

وهناك الكساء ، ويبدو أنه اسم عام على كل لباس غير مخيط، ([١١]) ، وقد يصنع الكساء من عدة مواد مثل الخز ([١٢]) .

([١])البخاري ــ صحيح ، ج ١ ، ص ١٤٢-١٤٣ .
([٢]) أبو داود ــ سنن ، ج ١ ، ص ٣٨ ، انظر أيضا حول الجبة : دوزي ــ المعجم ، ص ١٠٥ ، صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٥٨ ــ ٦٠ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٥ .
([٣])ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٧١، ٧٣ ، ابن حنبل ــ مسند ، ج ٣ ، ص ٩٨ ، البخاري ــ صحيح ، ج ١ ، ص ٣١٤ ، أبو داود ــ سنن ، ج ١ ص ٢٥٨ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص ١٤٢٦ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٥ .
([٤])جران ــ ديوان ، ص ١٧ ، ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٧٢ .
([٥]) مالك ــ الموطأ ، ج ٢ ، ص ٩١٢ ، انظر أيضا حول المطرف : صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٦٢ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٦ .
([٦]) عدي ــ ديوان ، ص ٩٨ .
([٧]) الأزهري ــ تهذيب ، ج ٣ ، ص ٤٤١-٤٤٢ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .
([٨]) ابن منظور ــ لسان ، مادة حلل ، الفيروز أبادي ــ القاموس ، مادة حلل .
([٩]) ابن حنبل ــ مسند ، ج ٦ ، ص ٤٠٤ ، أبو داود ــ سنن ، ج ٤ ، ص ٤٥ .
([١٠]) أبو داود ــ سنن ، ج ٤ ، ص٤٤ ، انظر أيضا حول الحلة : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٦ ــ ٨٧ .
([١١])أوس ــ ديوان ، ص ٤٠ .
([١٢]) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٦٩ ، انظر أيضا حول الكساء : دوزي ــ المعجم ، ص ص ٣٠٩ ــ ٣١١ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٧ ــ ٨٨ .

ومن الملابس أيضا المِرْط ، وورد في الشعر كلباس للنساء للجزء السفلي من الجسم وله ذيل ([١]) ، ويبدو أنه يتكون من صوف أو خز ، ويستعمل لتغطية الجزء السفلي من الجسم ([٢]) ، وورد استخدامه للرجال أيضا ([٣]) .

ومن الملابس أيضا البُرْجُد ، ويبدو أنه ثوب مخطط ([٤]) .

وهناك البِجاد ، وهو من ملابس الرجال والنساء ([٥]) ، ويبدو أنه من ملابس البدو والفقراء ([٦]) ، ويبدو أنه يتكون من صوف ، ويكون مخططا ([٧]) .

ويرد أيضا السراويل ، ويلاحظ قلة وروده في الشعر ، بل يلاحظ عند وروده في الشعر أنه جاء في وصف شخص فارسي ([٨]) ، كما أنه جاء في الحديث في مجال توضيح حكم شرعي (وهو حكم لباسه في الإحرام)([٩]) وهذا يوحي أنه لم يكن شائعا استخدامه عند العرب .

وهناك الوثر وهو مشابه للسراويل إلا أنه دون ساقين ([١٠]) .

ملابس البدن للنساء

وهناك ملابس وردت خاصة للنساء ومنها المِجْول، حيث ورد ذكره في الشعر كلباس للمرأة صغيرة السن ، ([١١]) ، وهو قميص تلبسه المرأة في البيت([١٢]) .

([١]) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٤ .
([٢]) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٠٠ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة مرط .
([٣])مسلم ــ صحيح ، ج ٣ ، ص ١٦٤٩ ، أبو داود ــ سنن ، ج ٤ ، ص ٤٤ ، انظر أيضا حول المرط : دوزي ــ المعجم ، ص ٣٢٦ ، صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٥٥ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٨ .
([٤]) طرفة ــ ديوان ، ص ١٢ ، انظر أيضا حول البرجد : دوزي ــ المعجم ، ص ٥٥ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٩ .
([٥]) حاتم ــ ديوان ، ص ٢٨٢، ابن قتيبة – المعارف ، ص ٣٢٢ .
([٦])الأصمعي ــ الأصمعيات ، ص ٢٦٥ .
([٧]) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٢٠ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص ٤٤٣ ، انظر أيضا حول البجاد : دوزي ــ المعجم ، ص ٥٣ ، صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٤٢٢ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٩ .
([٨])ابن مقبل ــ ديوان ، ص ٤١ .
([٩])البخاري ــ صحيح ، ج ١ ، ص ١٤٣ ، أبو داود ــ سنن ، ج ٢ ، ص ١٦٥، ٤١٢ ، انظر أيضا حول السراويل : دوزي ــ المعجم ، ص ١٦٨ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٨٩ .
([١٠])أبو دؤاد ــ شعر ، ص ٣٢٠ ، انظر أيضا حول الوثر : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٩٠ .
([١١]) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٨ .
([١٢]) ابن السكيت ــ تهذيب ، ص ٦٦١ ، ابن دريد–جمهرة ، ص ٤٩٣ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٠٦ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة جول ، انظر أيضا حول المجول : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٩٠ .

وهناك الدِّرْع ، وقد ورد ذكره في الشعر ، كلباس للنساء البالغات (١) ، ويبدو أنه يصنع بأن يؤخذ ثوب فيعمل فيه فتحة للعنق ،ثم يعمل له فتحتان للكمين ، ويضاف له كمان ، ويخاط الجانبان(٢) ، ويتضح أن الدرع قد يكون طويلا،حيث يسمى الدرع إذا غطى ظهورالقدمين الدرع السابغ (٣)، وقد يكون الدرع موردا(٤) ، ولم يكن من المعتاد أن تظهر المرأة خارج البيت وهي تلبس الدرع وحده ، فالدرع يلبس داخل البيت .

وكذلك من ملابس النساء الخَيْعَل ، وقد ورد ذكره في الشعر كلباس للمرأة في وضع الافتضال (داخل البيت) (٥) ، وهودرع يصنع بأن يعمل لثوب فتحة للعنق ، ثم يخاط أحد جانبيه ويترك الجانب الآخر مفتوحا ، وليس له كمان(٦) ، ولأنه يؤدي إلى ظهور جسم المرأة من خلاله كانت المرأة تلبسه داخل البيت فقط .

ومن ملابس النساء أيضا السُبجة ، وورد في الشعر كلباس نسائي (٧) ، ويبدو أنه قميص واسع ، وكمه قصير ، تلبسه المرأة داخل البيت(٨) .

وهناك الصِّدار ، ورد ذكره في الشعر كلباس نسائي (٩) ، ويبدو أنه قميص يلبس ملامسا للصدر (١)

وهناك البقيرة ، وورد ذكرها في الشعر كنوع من الملابس للنساء (٢) ، وهي من ملابس النساء والصبيان ، ، ويبدو أنها قميص ، وتفصل بإحضار ثوب ، ثم تعمل فتحة له في

---

(١) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٨ .
(٢) الجوهري ــ الصحاح ، ص ١٢٠٦ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة درع .
(٣) مالك – الموطأ ، ج١ ، ص ١٤٢ .
(٤) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٤٨٧-٤٩٤ ، انظر أيضا حول الدرع : دوزي ــ المعجم ، ص ١٤٤ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٩٠ ــ ٩١ .
(٥)تأبط شرا ــ ديوان ، ص ١٦٤ .
(٦) ابن منظور ــ لسان ، مادة خعل .
(٧) حميد ــ ديوان ، ص ٦٣ .
(٨) ابن السكيت ــ تهذيب ، ص ٦٦٠ -٦٦١ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٠٥-٢٠٦ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة سبج ، الفيروز أبادي ــ القاموس ، مادة سبج ، انظر أيضا حول السبجة : دوزي ــ المعجم ، ص ١٦٤ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٩٢ .
(٩) عروة ــ ديوان ، ص ٨٩ .

(١) ابن منظور ــ لسان ، مادة صدر ، انظر أيضا حول الصدار : دوزي ــ المعجم ، ص ٢٠٤ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٩٢ .

(٢) الأعشى ــ ديوان ، ص ١٥٣ .

الوسط ، بحيث تشكل جيبا ، ولا يضاف له كمان ([1]) .

ومن ملابس النساء أيضا القِدْعة ، ورد ذكره في الشعر كلباس لطفلة ([2]) .

ومن ملابس النساء أيضا الجلباب ، وورد ذكر الجلباب في القرآن الكريم ([3]) كغطاء لملابس المرأة الحرة بما فيها الرأس ، حيث طلب القرآن الكريم من النساء أن يغطيين رؤوسهن ووجوههن بالجلباب عند خروجهن من البيت تمييزا لهن عن الإماء([4])، قال تعالى : (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) ، وهذا يوحي أن النساء الحرائر كن يلبسن الجلباب عند خروجهن من البيت قبل الإسلام ،إلاأن هناك تساهلا من قبل بعض الحرائر كان يحدث أحيانا أدى بالقرآن إلى جعله نوعا من الواجب الديني إلى جانب مظهره الاجتماعي السابق ، وقد ورد ذكر الجلباب كلباس للنساء الحرائر قبل الإسلام في الشعر ([5]) .

ومن ملابس النساء أيضا المِجْسَد ، ويرد في الشعر في وصف ملابس القيان ([6]) ، ويبدو أنه ثوب ملامس للجسد ([7]) ، يتميز بكونه مصبوغا ، ويرد في وصف النساء المترفات وقد يكون مصنوعا من الكتان .

ومن أنواع الملابس أيضا الشعار ([8]) ، ويبدو أنه يكون ملامسا للجسد ([9]) .

ومن أنواع الملابس أيضا الغلالة ، وتطلق على اللباس الداخلي الذي يلبس تحت

([1]) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٠٩ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص ٥٩٥ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة بقر ، الفيوز أبادي ــ القاموس ، مادة بقر ، انظر أيضا حول البقيرة : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٩٢ .

([2]) السكري ــ شرح ، ص ١٠٤٣ ، انظر أيضا حول القدعة : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٩٢ .

([3]) سورة الأحزاب ، الاية ٥٩ .

([4]) الطبري–جامع ، ج ٢٢ ، ص ٤٧ .

([5])، امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٤٣٩ ، الأعشى ــ ديوان ، ص ٤١١ ، المفضل ــ المفضليات ، ص ٩٢ ، أبو الفرج الأصفهاني ــ الأغاني ، ج ٢٢ ،ص ٣٥٣ ، ابن السكيت ــ تهذيب ، ص ٦٦٥ ، الجوهري ــ الصحاح ، ١٠١ ، انظر أيضا حول الجلباب : دوزي ــ المعجم ، ص ١٠٢ ــ ١٠٣ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٩٢ ــ ٩٤.

([6]) عمرو بن الأهتم ــ شعر ، ص ٨٥ .

([7]) ابن منظور ــ لسان ، مادة جسد ، انظر أيضا حول المجسد : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٩٤ ــ ٩٥ .

([8]) قيس بن زهير ــ ديوان ، ص ٤٢ .

([9]) ابن منظور ــ لسان ، مادة شعر ، انظر أيضا حول الشعار : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٩٥ .

الملابس الخارجية([١])، حيث تلبس حتى لا تؤدي إلى توضيح معالم الجسد ([٢]) .

وهناك ملابس تميزت بألوانها ، فالجماد ورد في الشعر كلباس للنساء ، ويبدو من الشعرأن لونه أحمر ([٣]) ، وكذلك هناك العَقْل ويبدو من الشعر أنها ملابس حمراء أيضا ([٤]) ، وكذلك وردت الوصيلة في الشعر في وصف أردية النساء المترفات ([٥]) ، ويبدو أنها تتميز أيضا بلونها الأحمر ([٦])، وبكونها مخططة ([٧]) ، وكذلك يرد في الشعر العَقْم كملابس نسائية ([٨]) ، ويبدو أنها أيضا ملابس حمراء موشاة ([٩]) ، وكذلك فإن الفِدْم يبدو من الشعر أنه نوع من الملابس التي تتميز بأن لها طرة (حاشية) ، وبلونها الأحمر ([١٠]) .

وهناك ملابس تميزت بوجود صور عليها ، فالمُرحَّل الذي يرد في الشعر في وصف المروط التي تلبسها النساء ([١١]) ، يبدو أنه يتميز باحتوائه على صور الرحال ([١٢])، وكذلك يرد المُرَجَّل في الشعر في وصف العصب التي تلبسها القيان ([١٣]) ، ويبدو أنه يتميز باحتوائه على صور الرجال ([١٤]) ، ويرد المُسَهَّم في الشعر في وصف البرود التي تلبسها القيان ([١٥]) ، ويبدو أنه يتميز باحتوائه على صور السهام ([١٦]) ، ويرد الآخني في الشعر كلباس نسائي مزين بصورة الشمس ([١٧]) ، ويبدو أنه يتميز بكونه مخططا أيضا ([١٨]) ، وهناك السِجِلّاط وقد

([١])ابن حنبل ــ مسند ، ج ٥ ، ص ٢٠٥ ، الأزهري ــ تهذيب ، ج ٥ ،ص٩٦ العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٠٨ .
([٢]) ابن حنبل ــ مسند ، ج ٥ ، ص ٢٠٥ ، انظر أيضا حول الغلالة : دوزي ــ المعجم ، ص ٢٥٩ ، صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٥٥ ــ ٥٦ ، محمود عدوي ــ الملابس ــ ص ٩٥ .
([٣]) أبو دؤاد ــ سنن ، ص ٣١١ .
([٤]) علقمة ــ ديوان ، ص ٥٢ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة عقل .
([٥])النابغة الذبياني ــ ديوان ، ص ٥٨ .
([٦]) ابن منظور ــ لسان ، مادة وصل ، الفيروز أبادي ــ القاموس ، مادة وصل .
([٧]) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٢١ – ٢٢٢ .
([٨]) القرشي ــ جمهرة ، ج١ ، ص ٥٤٨ .
([٩]) ابن منظور ــ لسان ، مادة رجل .
([١٠]) عنترة ــ ديوان ، ص ٢٧٧ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة فدم ، انظر تفصيلات أكثر حول هذه الأنواع من الملابس في : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ٩٥ ــ ٩٦ .
([١١])امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٤ .
([١٢]) ابن حنبل ــ مسند ، ج ٦ ، ص ٩٩ ، ١٩٩ ، ابن منظور ــ لسان ، مادة رحل .
([١٣]) الأعشى ــ ديوان ، ص ٣٣٩ .
([١٤]) ابن منظور ــ لسان ، مادة رجل .
([١٥]) أوس ــ ديوان ، ص ١٢١ .
([١٦]) ابن منظور ــ لسان ، مادة سهم .
([١٧]) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٢٧٥ .
([١٨]) ابن منظور ــ لسان ، مادة شمس ، الفيروز أبادي ــ القاموس ، مادة شمس .

ورد ذكره في الشعر كلباس نسائي ،ويبدو أن مصدره العراق ، ([١])، ويبدو أنه يتميز بكونه من الكتان وبكونه موشى ([٢]) ، ويرد المريَّش في الشعر في وصف العصب التي تلبسها القيان ([٣]) ، ويبدو أنه يتميز باحتوائه على صور الريش ، وكذلك يرد الرَقْم في الشعر كملابس نسائية ، ويبدو أنه برد مخطط ([٤]) ، ويرد المضرَّس في الشعر في وصف الريط ([٥]) ، ويبدو أنه يتميز باحتوائه على صور الأضراس .

وقد أطلق على الملابس التي تلبسها المرأة داخل البيت عند النوم وغيره اسم الفضلة ([٦]) ، وأما الملابس التي تلبسها عند العمل فقد أطلق عليها اسم المبذل ([٧]) .

ومن الملابس النسائية أيضا الإتْب ، ويبدو أنه رقيق ([٨]) ويغطي أعلى الصدر ([٩]) ، وأما كيفية تفصيله فيحضر ثوب، ويجعل في وسطه فتحة صغيرة ، يدخل من خلالها إلى العنق ، ولا يكون له كم ولا جيب([١٠]) وهناك أيضا الشَّف ، ويبدو أنها كانت عادة تستعمل للملابس الداخلية للنساء ([١١]) ، وتتميز برقتها([١٢]) ، وهناك أيضا السِّب ، حيث ينسب إلى اليمن ([١٣]) ، ويبدو أنه من الملابس الرقيقة ([١٤]) .

([١]) حميد ـ ديوان ، ص ٣١ .
([٢]) ابن منظور ـ لسان ،مادة سجلط ، الفيروز أبادي ـ القاموس ، مادة سجلط .
([٣]) الأعشى ـ ديوان ، ص ٣٣٩ .
([٤]) ابن منظور ـ لسان ، مادة رقم .
([٥]) السكري ـ شرح ، ص ٧١٤ ، انظر تفصيلات أكثر حول هذه الأنواع من الملابس في : محمود عدوي ـ الملابس ، ص ٩٦ ـ ٩٨ ، ٩٩ ـ ١٠٠ .
([٦]) امرؤ القيس ـ ديوان ، ص ١٤ ، انظر أيضا حول الفضلة : محمود عدوي ـ الملابس ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .
([٧])الخنساء ـ ديوان ، ص ٥٧ ، انظر أيضا حول المبذل : محمود عدوي ـ الملابس ، ص ٩٩ .
([٨]) امرؤ القيس ـ ديوان ، ص ٦٨.
([٩]) الجوهري ـ الصحاح ، ص ٥٢٦ .
([١٠]) ابن دريد-جمهرة ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، العسكري ـ التلخيص ، ج ١ ، ص ٢٠٧، الجوهري ـ الصحاح ، ص ٨٦، ابن منظور ـ لسان ، مادة أتب ، الفيروز أبادي ـ القاموس ، مادة أتب ، انظر أيضا حول الإتب : دوزي ـ المعجم ، ص ٢٨ ـ ٢٩ ، محمود عدوي ـ الملابس ، ص ١٠٠ .
([١١]) عدي ـ ديوان ، ص ٨٤ .
([١٢]) ابن منظور ـ لسان ، مادة شف ، انظر أيضا حول الشف : محمود عدوي ـ الملابس ، ص ١٠١ .
([١٣]) سحيم ـ ديوان ، ص ٧ .
([١٤]) ابن منظور ـ لسان ، مادة سب ، انظر أيضا حول السب : محمود عدوي ـ الملابس ، ص ١٠١ .

وهناك أسماء أطلقت على الملابس البالية ، مثل السِحْق [١] ، والهِدْمِل [٢] ، والطِّمْر[٣] ، والهِدْم [٤] ، الدَّريس [٥] ، والمِعْوَز [٦] ، والأسمال [٧] ، والرديم [٨] والطّميل [٩] والقِشْع [١٠] .

ملابس البدن للرجال

وهناك ملابس خاصة للرجال ، ومنها العباءة [١١] ، ويبدو أنها تتميز بالسعة واحتوائها على خطوط سود [١٢] ، وقد لبسها الرسول أثناء عمله بهنأ (طلي) بعير له[١٣] ،وكان كثير من سكان المدينة الفقراء يلبسون العباء في صلاة الجمعة[١٤] ، ويبدو أنها تتميز بسعتها ، وخطوطها السود[١٥] ، واستعملت كستارة [١٦] .

ومن ملابس الرجال أيضا البردة [١٧] ، ويبدو أنها من الملابس البسيطة ، حيث كانت النساء تنتجها ، ويبدو أنها من ملابس البدو [١٨] .

وكذلك هناك البَت ، وهومن الملابس التي يلبسها الرجال ، ويصنع من الخز ،[١٩] ، إلا أنه قد يصنع من غيره ، حيث صلى الرسول على بت في يوم ممطر[٢٠] ، وكذلك وردت

---

(١)امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٣٦٧ .
(٢) تأبط شرا ــ ديوان ، ص ٤١ .
(٣) النابغة الذبياني ــ ديوان ، ص ١٥٢ .
(٤) أوس ــ ديوان ، ص ٥٥ ، المفضل ــ المفضليات ، ص ٧٢٠ ، الجوهري ــ الصحاح ، ص ٢٠٥٦ .
(٥) كعب ــ ديوان ، ص ٥١ .
(٦) الشماخ ــ ديوان ، ص ١٩٣ .
(٧)الأصمعي ــ الأصمعيات ، ص ٢٥٥ ، المفضل ــ المفضليات ، ص ٧٢٠ .
(٨) السكري ــ شرح ، ص ٨٧٨ .
(٩) المصدر نفسه ، ص ١١٩٣ .
(١٠) مسلم ــ صحيح ، ج ٢ ، ص ٦٨ ، الطبري – تاريخ ، ج ٢ ، ص ٦٤٤ ، انظر تفصيلات أكثر حول هذه الأنواع من الملابس في : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١٠٢ ــ ١٠٤ .
(١١) سحيم ــ ديوان ، ص ٢٥ .
(١٢) ابن منظور ــ لسان ، مادة عبأ ، الفيروز أبادي ــ القاموس ، مادة عبأ .
(١٣) ابن حنبل ــ مسند ، ج ١ ، ص ١٧٥ .
(١٤)مسلم ــ صحيح ، ج ٢ ، ص ٥٨٠ ، ٥٨١ .
(١٥)الأزهري ــ تهذيب ، ج ، ٣ ،ص ٢٣٥ .
(١٦) ابن سعد ــ طبقات ، ج ٨ ، ص ٦٩ ، انظر أيضا حول العباءة : دوزي ــ المعجم ، ص ٢٣٨ ــ ٢٤٢ ، صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٥٦ ــ ٥٧ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٣ .
(١٧)المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٥٤ ، البخاري ــ صحيح ، ج ٢ ، ص ٧٣٧ .
(١٨) الجوهري ــ الصحاح ، ص ٨٣٨ .
(١٩) المصدر نفسه ، ص ٢٤٢، ابن منظور ــ لسان ، مادة بت .
(٢٠) ابن حنبل ــ مسند ، ج ٦ ، ص ٥٨ ، انظر أيضا حول البت : صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٤٢١ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٤ .

الشملة في الحديث كنوع من ملابس الرجال (١) .

ملابس اليدين

ومن ملابس اليدين القفاز ، وقد ورد ذكره في الحديث ، حيث منع الرسول لبس القفازين في الإحرام أثناء الحج(٢) .

ملابس القدمين

ومن ملابس القدمين النعل ، وقد لبسه الرجال والنساء،وكان يصنع من الجلد ، ويبدو أنه يتكون من قطعة من الجلد يدخل فيها خيط جلدي بين الأصبعين الثانية والثالثة يسمى النِسْع ، يربط بقطعة جلدية تغطي أعلى القدم تسمى القُبال ، وهناك قطعة جلدية أخرى ترتبط من الأمام بالقبال ومن الخلف بالجزء الخلفي من القدم تسمى الشراك (٣) .

كانت النعال أنواعا متعددة ، فهناك نعال السِّبْت ، وهي من النعال المصنوعة من جلود البقر ، المدبوغ بالقُرَظ (٤) .

ومن أنواع ملابس القدم الخف ، ووروده نادر في الشعر ، أما في الحديث فيرد في مجال عرض بعض الأحكام الشرعية(٥) ، ويتميز الخف بأنه يمثل غطاء كاملا للقدم يصل حتى الكعبين .

ومن ملابس القدم الجورب ، ووروده نادر في الشعر ، أما في الحديث فيرد في مجال عرض بعض الأحكام الشرعية (٦) .

ومن ملابس القدم للمرأة والرجل الموق (٧) ،وينبئ وروده في الحديث شيئا عن

---

(١) ابن ماجه ــ سنن ، ج ٢ ، ص ١١٧ ، انظر أيضا حول الشملة : صالح العلي ــ الألبسة ، ص ٤١٨ ــ ٤١٩ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٤ .

(٢) البخاري ــ صحيح ، ج ١ ، ص ١٩ ، أبو داود ــ سنن ، ج ٢ ، ص ١٦٥، ٤١٢ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٤ .

(٣)العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٢٢ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٤ ــ ١١٥ .

(٤) طرفة ــ ديوان ، ص ٢٣ ، العسكري ــ التلخيص ، ص ٦٧٢ ، ١١٦٢ ، ١١٨٠ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٥ .

(٥)أبو داود ــ سنن ، ج ٢ ، ص ٤١٢ ، ٤١٣ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٥ .

(٦) ابن ماجه ــ سنن ، ج ١ ، ص ١٨٥ ، الترمذي ــ سنن ، ج ١ ، ص ١٦٧ – ١٦٨ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٥ .

(٧) ابن حنبل ــ مسند ، ج ٢ ، ص ٥٠٧ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٥ .

تصميمه ، حيث يتبين أنه مغلق من ثلاث جهات ، بحيث يمكن أن يوضع فيه الماء.

الملابس الدينية

إن أهم مناسبة دينية هي الحج إلى مكة ، ويلاحظ أنها اقترنت في الفترة السابقة للإسلام بنوع من التمييز الاجتماعي للحجاج إلى صنفين : الحمس وهم قريش ومن أمه أو إحدى جداته من قريش ،وهؤلاء يطوفون حول الكعبة بملابسهم الخاصة التي تدعى ملابس الحمس ، والحلة ، وهؤلاء يشترط عليهم إذا طافوا بملابسهم الخاصة أن يفقدوا حق استعمالها حال انتهائهم من الطواف ، حيث تترك هذه الملابس حول الكعبة ، دون أن يكون من حق أي شخص استخدامها ، ويبدو أن هذا الشرط يعد قاسيا ، والمخرج من هذا الوضع كان باستعارة ثوب أحمس والطواف به ، وهذا يزيد من سلطة قريش الدينية ، فإعارة أحمسي لثيابه لآخر قد يقترن ببعض الشروط ، أما إذا لم يرغب هذا الشخص بالخضوع لشروط الأحمسي أو التضحية بملابسه، فإنه يطوف عاريا مع إبداء بعض التسامح مع النساء والسماح لهن بلبس درع مفرج (لم يخط جانباه) أو قطع جلدية تغطي منطقة الحوض (١) .

ملابس المناسبات

من المناسبات التي يتم الاحتفال بها عادة مناسبة الزواج ، وعلى الرغم من أنه لا يوجد هناك روايات مباشرة تتحدث عن وجود ملابس خاصة للزواج ، إلا أنه يمكن استشفاف بعض المعلومات من خلال الشعر ، فهناك حديث في الشعر عن ذيل العروس (٢) ، وقناع العروس (٣) ، وهذا قد يعطي نوعا من التصور لملابس العروس ، حيث يبدو أن هناك اهتماما بإطالة ذيلها ، وأن يكون قناعها ساترا لرأسها على نحو شديد .

ومن المناسبات الأخرى الحداد ، حيث كانت فترة حداد المرأة على زوجها تمتد سنة ،

---

(١) ابن إسحق ــ السيرة ، ج ١ ، ص ٢١٤ – ٢١٥ ، الأزرقي ــ أخبار ، ص ١١١–١١٨ ، الطبري ــ جامع ، ج ١٢ ، ص ٣٩٣ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٥ ــ ١١٦ .

(٢) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ١٦٤ ، عدي ــ ديوان ، ص ١٦٩ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٦ .

(٣) المفضل ــ المفضليات ، ص ٨٤٤ ، محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٦ .

كانت المرأة تتعرض فيها إلى نوع من العزل الاجتماعي ، حيث تدخل بيتا يسمى الحِشْف ، وتلبس أسوأ الثياب (١) ، ويبدو أن اللون الذي كان عادة يستخدم في هذه الحالة هو اللون الأسود (٢) ، وتسمى هذه الثياب السِّلاب (٣) .

وكذلك من ملابس الحداد الصِدار ، ويبدو أنه ثوب يغطي الصدر (٤) ، ويبدو أنه من الشعر (٥) .

ومن المناسبات مناسبة الموت ، حيث يطلق على لباس الميت الكفن (٦) .

ملابس الحرب

ورد ذكر ملابس الحرب في القرآن الكريم تحت اسم السرابيل ، قال تعالى (٧) : (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون)، والسابغات ، قال تعالى (٨) : (أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير) ، ويبدو أن هذه التسميات تشير إلى الدرع ، ويشير القرآن الكريم إلى تصميم الدرع عندما يتحدث القرآن عن التقدير في السرد عند صناعة الدروع ، التي تعني ملاءمة المسمار للحلقة (٩) ، وهذا يدل أن العرب عرفوا الدروع المنسوجة ، فالدرع تتكون من مجموعة من الحلقات الحديدية المرتبطة ببعضها البعض بالمسامير ، وهذا يمنحها صفتي الحماية لكونها تتكون من الحديد ، والخفة نتيجة الفراغات التي تحتويها الحلقات مما يسهل حركة المقاتل .

(١) البخاري ــ صحيح ، ج ٧ ، ص ٧٧ .
(٢) مالك ــ الموطأ ، ج ١ ، ص ٦٦٥ .
(٣) عنترة ــ ديوان ، ص ٢٧٨ ، انظر أيضا حول السلاب : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٦ ــ ١١٧ .
(٤) العسكري ــ التلخيص ، ص ٢٠٩ .
(٥) عروة ــ ديوان ، ص ٨٦ – ٨٧ ، انظر أيضا حول الصدار : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٧ .
(٦) امرؤ القيس ــ ديوان ، ص ٩٠ ، انظر أيضا حول الكفن : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٧ .
(٧) سورة النحل ، الآية ٨١ .
(٨) سورة سبأ ، الاية ١١ .
(٩) الطبري ــ جامع ، ج ٢٢ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

ويبدو أن الدروع كانت متعددة التصاميم ، حيث ترد عدة أسماء للدروع حسب تصميمها ، فهناك اللأمة (١) ، وهناك الدرع السابغة ، وهي الدرع الطويلة (٢) ، وهناك الدرع الذائل ، وهي الطويلة الواسعة (٣) ، وهناك الماذِيّة وهي اللينة البيضاء (٤) ، وهناك الدرع المضاعفة (٥) ، وهناك الدرع الزَغْف ، وهي الدرع المحكمة الصنع (٦) ، وهناك الدرع الدِلاص وهي الدرع اللينة (٧) ، وهناك الدرع الشليل ، وهي الدرع القصيرة(٨) ، وهناك الدرع المسفوحة وهي الدرع الواسعة (٩) ، وهناك الدرع الموشحة (١٠) ، وهناك النِثْرة ، وهي الدرع الطويلة (١١) ، وهناك الدرع الفضفاضة وهي الدرع الواسعة (١٢) ، وهناك الدرع الموضونة ، وهي الدرع المنسوجة حلقتين حلقتين (١٣) .

وأما مصدر الدروع فيلاحظ أن الدروع نسبت إلى اليمن بشكل مباشر ، حيث سميت اليَلَب اليماني (١٤) ، أو بشكل غير مباشر حيث نسبت إلى التبابعة (١٥) ، أو نسبتها إلى مناطق يمنية مثل سلوق (١٦) ، وهذا يدل على دور اليمن كمصدر للدروع .

ومن ملابس الحرب البَيْضة ، وتلبس على الرأس لحمايته من الضربات (١٧) ، ويطلق عليها اسم التَركة ، حيث يبدو أن مصدرها اليمن (١٨) ، وقد تغطي البيضة الظهر حيث تسمى

---

(١) عبيد ــ ديوان ، ص ٨٤ .
(٢) الخرنق ــ ديوان ، ص ٥١ .
(٣) النابغة الذبياني ــ ديوان ، ص ٢٠١ .
(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ .
(٥) قيس بن الخطيم ــ ديوان ، ص ٨٢ .
(٦) عامر ــ ديوان ، ص ١٥٣ .
(٧) المصدر نفسه ، ص ١٥٧ .
(٨) ابن منظور ــ لسان ، مادة شلل .
(٩) المفضل ــ المفضليات ، ص ٩٨ .
(١٠) المصدر نفسه ، ص ٩٨ .
(١١) المصدر نفسه ص ١٣١ .
(١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٤ .
(١٣) ابن منظور ــ لسان ، مادة وضن ، انظر تفصيلات أخرى حول أنواع هذه الدروع في : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١١٨ ــ ١٢٠ .
(١٤) عمرو بن كلثوم ــ ديوان ، ص ٨٤ ،
(١٥) المفضل ــ المفضليات ، ص ٥٩ .
(١٦) قصائد ، ص ٥٤ ، انظر أيضا : محمود عدوي ــ الملابس ، ص ١٢٠ .
(١٧)قيس بن الخطيم ــ ديوان ، ص ١٩٢ .
(١٨) المفضل ــ المفضليات ، ص ٩٨ .

البيضة السابغة([1]) .

ومن ملابس الحرب المِغْفَر ، ويبدو من الحديث عن دخول حلقات المغفر في وجنة الرسول أنه يغطي الوجنة([2]) .

ومن ملابس الحرب العَلْهاء ([3]) ، ويبدو أنه يتكون من ثوبين يلبسان تحت الدرع ([4]) .

ومن ملابس الحرب اللّبابة ([5]) ، ويبدو أنه ثوب يلبس عند الحرب ([6]) .

([1]) زهير ـــ ديوان ، ص ٤٠ ، انظر أيضا حول البيضة : محمود عدوي ـــ الملابس ، ص ١٢٠ .
([2]) ابن إسحق ـــ السيرة ، ج ٣ ، ص ٢٧ ، محمود عدوي ـــ الملابس ، ص ١٢٠ .
([3]) عمرو بن قميئة ـــ ديوان ، ص ٦٩ .
([4]) ابن منظور ـــ لسان ، مادة عله ، انظر أيضا حول العلهاء : محمود عدوي ـــ الملابس ، ص ١٢١ .
([5]) عنترة ـــ ديوان ، ص ٢٧٤ ، انظر أيضا حول اللبابة : محمود عدوي ـــ الملابس ، ص ١٢١ .
([6]) ابن منظور ـــ لسان ، مادة لبب .

خاتمة

كان الهدف من هذا البحث هو دراسة الحياة الاجتماعية عند العرب في شمال ووسط الجزيرة العربية في القرن السادس والثلث الأول من القرن السابع الميلاديين ، وتوصل البحث إلى النتائج التالية :

١ ـــ كان لتنوع البيئة الجغرافية أثر في تنوع المجتمعات التي ظهرت في المنطقة المدروسة في الفترة المدروسة ، مما أدى إلى ظهور عدة أنماط معيشية ، فهناك نمط الحياة البدوي في المناطق الرعوية ، وهناك نمط الحياة المستقر الذي تمثل في ظهور مناطق اعتمدت على الزراعة بشكل أساسي حيث توفرت مقوماتها ، وظهور مناطق حضرية اعتمدت على التجارة بشكل أساسي ، كما هو الحال في مكة نتيجة لموقعها الجغرافي ومكانتها الدينية .

٢ ـــ شهدت الفترة المدروسة سقوط الدولة الحميرية في اليمن ، وسقوط الدول الحاجزة (المناذرة والغساسنة وكندة) ، كما شهدت ظهور الدعوة الإسلامية وما تلاها من إقامة الدولة الإسلامية التي بدأت في بسط نفوذها على أرجاء الجزيرة العربية مستقلة استقلالا تاما عن الدول الكبرى ، وداعية إلى إحداث تغيير في المجتمع العربي ، مهيئة إياه إلى نقلة نوعية في المرحلة التالية .

٣ ـــ تعددت الديانات في الجزيرة العربية ، وإن كانت الديانة الوثنية هي الغالبة ، وبعض هذه الديانات كان متأثرا بجيران الجزيرة العربية مثل اليهودية والنصرانية والمجوسية ، كما أن هناك نوع من التطلع نحو ديانة توحيدية تمثل في الديانة الحنفية .

٣ ـــ على الرغم من التنوع الاقتصادي والديني في الجزيرة العربية ، وعدم خضوع العرب في هذه الفترة لسلطة سياسية واحدة ، إلا أنه كان لدى العرب إحساس أنهم يشكلون أمة واحدة ، تجمعهم اللغة العربية ، والحج إلى مكة ، ووجود أعراف متشابهة داخل البيئة العربية مثل الاحتكام إلى الحكام ، وحضور الأسواق الموسمية ، وغيرها .

٤ ــ كانت القبيلة هي الوحدة الأساسية في المجتمع العربي قبل الإسلام ، وتقوم القبيلة من حيث المبدأ على أساس الاشتراك في النسب ، إلا أنه لم تكن حدود القبيلة ثابتة ، فالقبيلة قد تنقسم إلى عدة قبائل ، كما أن مجموعة من القبائل قد تتحد معا مكونة حلفا وذلك لمواجهة التحديات المفروضة عليها .

٥ ــ شهدت القبائل العربية نوعا من التنظيم الداخلي لشؤونها ، مما يجعل من القبيلة وحدة واحدة ، ويسمح لها بمواجهة التحديات التي تواجهها .

٦ ــ أدت العلاقات المتبادلة بين القبائل العربية ، وعلاقات القبائل مع الدول المجاورة إلى حدوث نوع من التطور في التنظيم الداخلي لبعض القبائل ، فتسمى بعض رؤساء القبائل بالملوك ، كما تولى أفراد بعض القبائل الردافة في الدول المجاورة ، كما ظهر الحكام الذين كانت سلطتهم القضائية تتعدى حدود قبائلهم ، وإن كانت سلطتهم بشكل أساسي سلطة أدبية .

٧ ــ أدت تفاعلات القبائل العربية مع بعضها ومع الشعوب المجاورة إلى وجود أفراد داخل القبيلة ولا يرتبطون مع أفرادها برابطة النسب ، من حلفاء وأرقاء وغيرهم ، كما وجد أفراد خرجوا عن سلطة قبائلهم وكونوا جماعات خاصة بهم (الصعاليك) .

٨ ــ قامت الأسرة على أساس الزواج ، وعلى الرغم من تعدد أنماط الزواج في هذا المجتمع ، إلا أن زواج البعولة (وهو الزواج الذي استمر في الإسلام) كان هو الشائع ، وهو الذي يلقى قبولا عند معظم العرب ، بعكس أنماط الزواج الأخرى التي كانت قليلة الانتشار ، وكانت النظرة إليها سلبية .

٩ ــ كان للمرأة دور أساسي في الأسرة ، وعلى الرغم من وجود عادة الوأد التي تعددت أسبابها من اجتماعية واقتصادية ودينية ، إلا أن المرأة كانت تتمتع بحق الملكية ، وتقوم بالعمل أحيانا خارج البيت .

١٠ ــ على الرغم من تنوع العادات والتقاليد عند العرب قبل الإسلام حسب الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، إلا أن هناك نوعا من القيم المشتركة لديهم ، فقد تتنوع عادات الأفراح والأتراح والزينة ووسائل الترويح التسلية ، إلا أن هناك أمورا تبدو مشتركة بين جميع العرب ، تعكس قيما مشتركة ، ونظرة متقاربة إلى الحياة .

١١ ــ عرف العرب نوعا من المواسم بعضها مشترك يعكس إحساس العرب بوجود نوع من الوحدة بينهم مثل الحج إلى مكة ، والأسواق الموسمية ، كما أن بعضها يعكس نوعا من الخصوصية للقبائل ، مثل الأعياد الخاصة بإله القبيلة والحج إليه .

١٢ ــ تنوعت وسائل المعيشة ، من مساكن وأطعمة وأثاث وملابس ، نتيجة للتنوع الاقتصادي والاجتماعي والديني للقبائل والأفراد ، وبما يتناسب مع المستوى الحضاري لهم .

المصادر والمراجع

المصادر المطبوعة

ابن الأثير الجزري ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تصحيح مصطفى وهبي ، المكتبة الإسلامية ، بيروت .

ابن الأثير الجزري ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) ـ الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت .

ابن الأثير الجزري ، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، دمشق ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

ابن الأثير الجزري ، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) ـ النهاية في غريب الحديث ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، المكتبة الإسلامية ، دمشق .

الأبشيهي ، شهاب الدين أحمد (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) ـ المستطرف في كل فن مستظرف ، ط ٢ ، مطبعة المعاهد ، القاهرة ، ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م .

الأزرقي ، أبو الوليد ، محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) – أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، بيروت ، ١٩٦٤ م .

الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) – تهذيب اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مراجعة محمد علي النجار ، دار القومية العربية للطباعة ، ١٩٦٤ م .

ابن إسحق ، محمد بن يسار (ت ١٥١ هـ / ٧٦٨ م) ـ السيرة النبوية ، رواية ابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

ابن إسحق ، محمد بن يسار (ت ١٥١ هـ / ٧٦٨ م) ــ المبتدأ والمبعث والمغازي ، ط ٢ ، تحقيق محمد حميد ، دار النشر والتوزيع ، قونية ، تركيا ، ١٩٨١ م .

الأسود بن يعفر النهشلي – ديوان الأسود بن يعفر النهشلي ، تحقيق نوري حمودي القيسي ، وزارة الثقافة والإعلام ، مديرية الثقافة العامة ، بغداد .

الأصطخري ، إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م) ــ المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسني ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

الأصفهاني ، أبو علي الحسن بن عبد الله (ت ٣١١ هـ / ٩٣٢ م) ــ بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية .

الأصفهاني ، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م) ــ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) ــ الأغاني ، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٣ م .

الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦ هـ / ٨٣١ م) ــ الأصمعيات ، ط ١ ، شرح محمد محمود ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٨ م .

الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦ هـ / ٨٣١ م) ــ تاريخ العرب قبل الإسلام ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، الكاظمية ، العراق .

الأصمعي ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦ هـ / ٨٣١ م) ــ النبات ، ط ١ ، تحقيق عبد الله يوسف الغنيم ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

الأعشى ، ميمون بن قيس _ ديوان الأعشى ، ميمون بن قيس ، شرح عمر فاروق الطباع ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع .

الآمدي ، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) ــ المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، ط ١ ، تصحيح كرنكو ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١ م .

امرؤ القيس بن حجر – ديوان امرؤ القيس بن حجر ، ط ٤ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .

أمية بن أبي الصلت – ديوان أمية بن أبي الصلت ، ط ١ ، جمع وتحقيق جميل الجبيلي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨ م .

ابن الأنباري ، أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م) – الأضداد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت ، ١٩٦٠ م .

ابن الأنباري ، أبو محمد القاسم بن محمد (ت ٣٠٤ هـ / ٩٣٩ م)– شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ط ٥ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

أوس بن حجر – ديوان أوس بن حجر ، ط ٣ ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر، بيروت ، ١٩٧٩ م .

البحتري ، أبو عبادة الوليد بن عبيد الله (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) – الحماسة ، ط ١ ، تحقيق محمود رضوان دبوب ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ م .

البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م) – صحيح البخاري ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الجيل ، بيروت .

بشر بن أبي خازم الأسدي ــ ديوان بشر بن أبي خازم ، ط ٢ ، تحقيق عزة حسن ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٢ م .

ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٧ هـ / ١٣٧٤ م) ــ تحفة النظار في عجائب الأمصار وغرائب الأسفار ، باريس ، ١٨٩٣ م .

البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ / ١٦٨٢ م) ــ خزانة الأدب ولب لباب العرب ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، مصر ، ١٢٩٩ هـ .

البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) ــ التنبيه على أوهام أبي علي القالي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ، بيروت .

البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) ــ سمط اللآلئ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) ــ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ م .

البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) – جمل من أنساب الأشراف ، ط ١ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٦ م .

البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) – فتوح البلدان ، لجنة تحقيق التراث ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) ــ الاثار الباقية عن القرون الخالية ، تحقيق ساخاو ، ليبزك ، ١٩٢٣ م .

البيهقي ، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) ــ المحاسن والمساوئ ، ط ١ ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ م .

تأبط شرا ، ثابت بن جابر – ديوان تأبط شرا ، ثابت بن جابر ، ط ١ ، تحقيق علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م) ــ الحماسة ، دار القلم ، بيروت ، لبنان .

التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي (ت ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م) ــ شرح القصائد العشر ، ط ١ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

الترمذي ، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) ــ سنن الترمذي ، ط ٢ ، دار الدعوة ودار سحنون ، تونس ، ١٩٩٢ م .

أبو تمام ، حبيب بن أوس (ت ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م) – الوحشيات ، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) ــ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .

الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) ــ فقه اللغة وسر العربية ، ط ١ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٤٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) ــ لطائف المعارف ، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٦٠ م .

ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى (ت ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م) ــ مجالس ثعلب ، شرح وتحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، مصر .

ثلاثة كتب في الأضداد ، للأصمعي والسجستاني وابن السكيت ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان .

الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) – البخلاء ، ط ٢ ، دار المطبوعات الحديثة ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٧ م .

الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) – البرصان والعرجان والعميان والحولان ، ط ٢ ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، مؤسسة الرسالة ،١٩٨١ م .

الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) – البلدان ، تحقيق صالح العلي ، مطبعة الكوفة ، بغداد ، ١٩٧١ م .

الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) – البيان والتبيين ، ط ١ ، تحقيق درويش جويدي ، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٩ م .

الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) – التبصر بالتجارة ، تحقيق حسن عبد الوهاب ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٦ م .

الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) – الحيوان ، ط ٣ ، تحقيق وشرح يحيى الشامي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ م .

الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) – رسائل الجاحظ ، ط ١ ، شرح وتعليق محمد باسل عيون السود ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٠ م .

الجاحظ ، أبو عثمان ، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) ـــ المحاسن والأضداد ، ط ١ ، شرح يوسف فرحات ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٧ م .

جران العود النميري – ديوان جران العود النميري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ١٩٩٢ م .

الجراوي التادلي ، أبو العباس أحمد بن عبد السلام (ت ٦٠٩ هـ / ١٢١٢ م) ــ الحماسة المغربية ، ط ١ ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩١ م .

الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) – أحكام القرآن ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م) – الخصائص ، ط ٢ ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٢ م .

الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) ــ الوزراء والكتاب ، ط ١ ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .

الجواليقي ، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد (ت ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م) ــ المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .

ابن الجوزي ، جمال الدين أبو الفرج (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) ــ أحكام النساء ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م) – تاج اللغة وصحاح العربية ، ط ٢ ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

حاتم الطائي – ديوان حاتم الطائي ، ط ١ ، تقديم حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٤ م .

الحادرة المازني ــ ديوان الحادرة المازني ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٣ م .

الحارث بن حلزة اليشكري – ديوان الحارث بن حلزة اليشكري ، تحقيق هاشم الطعان ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٦٩ م .

ابن حبان البستي ، أبو حاتم محمد (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م) ـ تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار ، ط ١ ، تحقيق بوران القناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٨ م .

ابن حبيب ، أبو جعفر محمد البغدادي (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) – المحبر ، تصحيح إيلزه ليختن شتيتر ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٣٦١ هـ .

ابن حبيب ، أبو جعفر محمد البغدادي (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) – المنمق في أخبار قريش ، ط ١ ، تصحيح خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، ط ١ ، تحقيق طه الزيني ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م) ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ط ١ ، مراجعة قصي محب الدين الخطيب ، دار البيان للتراث ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٧ م .

ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م) ـ شرح نهج البلاغة ، ط ١ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

الحربي ، إبراهيم بن إسحق بن إبراهيم (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م) ـ المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ، تحقيق حمد الجاسر ، دار اليمامة ، مطبعة المثنى ، بيروت ، ١٩٦٩ م .

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) ـ جمهرة أنساب العرب ، ط ٤ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م) ــ جوامع السيرة ، تحقيق إحسان عباس وناصر الدين الأسد ، دار المعارف ، مصر .

حسان بن ثابت الأنصاري – ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، دار صادر ، بيروت .

الحصري القيرواني ، أبو إسحق إبراهيم بن علي (ت ٤٥٣ هـ / ١٠٦١ م) ــ زهر الآداب وثمر الألباب ، ط ١ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتي العربية ، ١٩٥٣ م .

الحطيئة ، جرول بن أوس – ديوان الحطيئة ، جرول بن أوس ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

الحلبي ، علي بن برهان الدين الشافعي (ت ١٠٤٤ هـ / ١٦٣٤ م) ــ إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة .

الحلي ، أبو البقاء هبة الله ــ المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية ، تحقيق صالح درادكة ومحمد خريسات ، عمان ، ١٩٨٤ م .

حماد بن إسحق بن إسماعيل (ت ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م) ــ تركة النبي صلى الله عليه وسلم والسبل التي وجهها فيها ، دراسة وتحقيق أكرم ضياء العمري ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

ابن حمدون ، محمد بن الحسن بن محمد (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) ــ التذكرة الحمدونية ، ط ١ ، تحقيق إحسان عباس ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ١٩٨٣ م .

حميد بن ثور الهلالي – ديوان حميد بن ثور الهلالي ، ط ١ ، إشراف محمد يوسف نجم ، ١٩٩٥ م .

ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م) – مسند ابن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد ، ط ٢ ، دار الدعوة ودار سحنون ، تونس ، ١٩٩٢ م .

أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت (ت ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) ــ مسند أبي حنيفة ، نشر صفوة السقا ، مكتبة ربيع ، حلب ، ١٩٦٢ م .

ابن حوقل ، أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) ــ صورة الأرض ، ط ٢ ، ليدن ، ١٩٦٧ م .

أبو حيان التوحيدي ، (ت ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م) ــ الإمتاع والمؤانسة ، تصحيح أحمد أمين وأحمد الزين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

الخازن ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) ــ لباب التأويل في معاني التنزيل ، دار الفكر ، بيروت .

الخالديان ــ الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين ، تحقيق السيد محمد يوسف ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، ١٩٦٥ م .

ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) ــ مختار من كتاب اللهو والملاهي ، ط ٢ ، نشر إغناطيوس عبده اليسوعي ، دار المشرق ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، لبنان .

ابن خرداذبه ، أبو القاسم عبد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) ــ المسالك والممالك ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

الخرنق بنت بدر – ديوان الخرنق بنت بدر ، تحقيق حسين نصار ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٦ م .

الخزاعي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٧٨٩ هـ / ١٣٨٧ م) ــ تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد الرسول من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

الخطابي ، أبو سليمان محمد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) ـ غريب الحديث ، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، دار القلم ، دمشق ، ١٩٨٢ م .

الخطابي ، أبو سليمان محمد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م) – معالم السنن ، ط ١ ، تصحيح محمد راتب الطباخ ، المطبعة العلمية ، حلب ، ١٩٣٤ م .

خفاف بن ندبة – شعر خفاف بن ندبة ، جمع وتحقيق نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨ م .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩ م .

الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م) ـ كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي .

الخنساء ، تماضر بنت عمرو – ديوان الخنساء ، تماضر بنت عمرو ، دار التراث ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٣٨٧ هـ / ٩٨٧ م) ـ مفاتيح العلوم ، إعداد عبد اللطيف محمد العبد ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .

ابن خياط ، خليفة (ت ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) ـ الطبقات ، تحقيق سهيل زكار ، مطابع وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٦٦ م .

الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) – سنن الداررمي ، دار إحياء السنة النبوية ، ودار الكتب العلمية ، بيروت .

أبو داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) – سنن أبي داود ، ط ٢ ، دار الدعوة ودار سحنون ، تونس ، ١٩٩٢ م .

ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـــ / ٩٣٣ م)- الاشتقاق ، ط ٢ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٣٩٩ هـــ / ١٩٧٩ م .

ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـــ / ٩٣٣ م)- جمهرة اللغة ، مكتبة الثقافة الدينية ، بيروت .

ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـــ / ٩٣٣ م)- الملاهي ، تحقيق عبد الإله نبهان ، دمشق ، وزارة الثقافة ، ١٩٩٢ م .

دريد بن الصمة ـــ الديوان ، تحقيق محمد خير البقاعي ، دار قتيبة ، ١٩٨١ م .

الدينوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢ هـــ / ٨٩٥ م) – الأخبار الطوال ، تحقيق عبد المنعم عامر ، دار المسيرة ، بيروت .

ديوان الهذليين ، ط ٢ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .

الذهبي ـــ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـــ / ١٣٧٤ م) ـــ تاريخ الإسلام ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مطبعة القدس ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

الذهبي ـــ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـــ / ١٣٧٤ م) ـــ سير أعلام النبلاء ط ٢ ، ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢ م .

ذو الإصبع العدواني ، حرثان بن محرث ـــ ديوان ذي الإصبع العدواني ، جمع وتحقيق عبد الوهاب محمد علي العدواني ومحمد نائف الدليمي ، مطبعة الجمهور ، الموصل ، ١٩٧٣ م .

ابن رسته ، أبو علي أحمد بن عمر (ت ٢٩٠ هـــ / ٩٠٢ م) ـــ الأعلاق النفيسة ، ط ١ ، تحقيق خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٨ م .

ابن رشيق ، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٦٣ هـــ / ١٠٧٠ م) ـــ العمدة في صناعة الشعر ونقده ، ط ١ ، مطبعة أمين هندية ، مصر ، ١٩٢٥ م .

أبو زبيد الطائي ، حرملة بن المنذر – شعر أبي زبيد الطائي ، جمع وتحقيق نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٧ م .

الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م) ـ الأخبار الموفقيات ، ط ٢ ، تحقيق سامي مكي العاني ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٦ م .

الزبير بن بكار (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م) ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها ، شرح وتحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ .

الزبيري ، أبو عبد الله المصعب (ت ٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م) ـ نسب قريش ، نشر ليفي بروفنسال ، دار المعارف للطباعة والنشر ، القاهرة .

الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق (ت ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م) ـ اشتقاق أسماء الله ، تحقيق عبد الحسين المبارك ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٧٤ م .

الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحق (ت ٣٤٠ هـ / ٩٥١ م) ـ الأمالي ، ط ٢ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٧ م .

الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) ـ الأمكنة والمياه والجبال ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، مطبعة السعدون ، بغداد ، ١٩٦٨ م .

الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) ـ الفائق في غريب الحديث ، ط ٢ ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ،١٩٧١ م .

الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) ـ الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .

الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م) ـ المستقصى في الأمثال ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٧ م .

زهير بن أبي سلمى– ديوان زهير بن أبي سلمى ، ط ١ ، شرح وتحقيق محمد عاصي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٩٤ م .

الزوزني ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد (ت ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م) ــ شرح المعلقات السبع ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

أبو زيد الأنصاري ، سعيد بن أوس (ت ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م) ــ النوادر في اللغة ، ط ١ ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٨١ م .

زيد الخيل الطائي ــ ديوان زيد الخيل الطائي ، صنعة نوري حمودي القيسي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف .

أبو زيد القرشي ، محمد بن أبي الخطاب (ت ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م) ــ جمهرة أشعار العرب ، شرح عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان .

السجستاني ، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث الحنبلي (ت ٣١٦ هـ / ٩٢٨ م) ــ المصاحف ، ط ١ ، دراسة وتحقيق ونقد محب الدين عبد السليمان واعظ ، راجعه ناظر طلب النص ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، إدارة الشؤون الإسلامية ، قطر ، ١٩٩٥ م .

السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) – الأضداد ، دار المشرق والمكتبة الشرقية ، بيروت ، ١٩١٢ م .

السجستاني ، أبو حاتم سهل بن محمد (ت ٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م) – كتاب المعمرين ، ط ١ ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ م .

سحيم عبد بني الحسحاس – ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، بغداد ، ١٩٩١ م .

ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن منيع (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) – الطبقات الكبرى ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٦ م .

ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) ــ نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ، تحقيق نصرت عبد الرحمن ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، مكتبة الأهلي ، عمان ، الأردن .

السكري ، أبو سعيد الحسن بن الحسين (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) – شرح أشعار الهذليين ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، مراجعة محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة .

ابن السكيت ، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م) – كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ ، تحقيق لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٨٩٥ م .

ابن سلام الجمحي ، أبو عبد الله محمد (ت ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م) ــ طبقات الشعراء ، ط ١ ، تحقيق عمر فاروق الطباع ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ م .

ابن سلام الهروي ، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م) ــ الأمثال ، تحقيق عبد المجيد قطامش ، دار المأمون ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

ابن سلام الهروي ، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م) ــ الأموال ، ط ١ ، تحقيق محمد هراس ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

ابن سلام الهروي ، أبو عبيد (ت ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ م) ــ غريب الحديث ، ط ١ ، مراجعة محمد عبد المعيد خان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٩٦٧ م .

سلامة بن جندل السعدي – ديوان سلامة بن جندل السعدي ، ط ١ ، تقديم راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٤ م .

السلمي ، عرام بن الأصبغ (ت ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) ــ أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه ، ط ١ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، نشر يوسف زنبل ومحمد نصيف ، مطبعة أمين عبد الرحمن ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ .

السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) ــ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، ط ٤ ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٨٤ م .

السموءل بن عادياء ــ شعر السموءل ، تحقيق وشرح عيسى سابا ، مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٥١ م .

السهيلي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ / ١٢٨٣ م) ــ الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٨ م .

سويد بن أبي كاهل اليشكري – ديوان سويد بن أبي كاهل اليشكري ، ط ١ ، مراجعة محمد جبار المعيبد ، جمع وتحقيق شاكر العاشور ، ١٩٧٢ م .

ابن سيد الناس ، فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد (ت ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م) ــ عيون الأثر في فنون المغازي والسير ، ط ٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤ م .

ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م) ــ المخصص ، المكتب التجاري ، بيروت .

السيرافي ، أبو زيد الحسن (ت ٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م) ــ رحلة السيرافي إلى الهند والصين واليابان وإندونيسيا ، مطبعة دار الحديث ، بغداد ، ١٩٦١ م .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، المطبعة الميمنية ، القاهرة ، ١٨٩٦ م .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) ـ لباب النقول في أسباب النزول ، ط ١ ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ١٩٧٨ م .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) ـ المزهر في علوم اللغة ، شرح محمد أحمد جاد المولى وآخرين ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

الشافعي ، أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) ـ الرسالة ، ط ١ ، تحقيق خالد السبع العلمي ، زهير شفيق الكبسي ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٩ م .

ابن شبه ، أبو زيد عمر النميري البصري (ت ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م) ـ تاريخ المدينة المنورة ، ط ٢ ، تحقيق فهيم شلتوت .

ابن الشجري ، أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني (ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ م) ـ الحماسة الشجرية ، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٧٠ م .

الشريف المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م) ـ أمالي المرتضى ، غرر الفوائد ودرر القلائد ، ط ١ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م .

شعر أبي دؤاد الإيادي ، في كتاب دراسات في الأدب العربي ، غوستاف فون غرنباوم ، ترجمة إحسان عباس وأنيس فريحة ومحمد يوسف نجم وكمال يازجي ، إشراف محمد يوسف نجم ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٥٩ م .

شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، ط ١ ، دراسة وتحقيق سعود محمود عبد الجابر ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٤ م .

الشماخ بن ضرار الذبياني – ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، ط ١ ، شرح وتقديم قدري مابو ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٤ م .

الشمشاطي ــ أبو الحسن علي بن محمد (ت ٣٧٧ هــ / ٩٨٧ م) ــ الأنوار ومحاسن الأشعار ، تحقيق السيد محمد يوسف ، الكويت ، وزارة الإعلام ، ١٩٧٧ م .

الشهرستاني ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٤٨٧ هــ / ١٠٨٥ م) ــ الملل والنحل ، ط ١ ، مكتبة الحسين التجارية ، ١٩٤٨ م .

الشيباني ، محمد بن الحسن (ت ١٨٩ هــ / ٨٠٤ م) ــ الاكتساب في الرزق المستطاب ، تحقيق محمد عرنوس ، مطبعة الأنوار ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .

شيخ الربوة ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن طالب الأنصاري الدمشقي (ت ٧٢٧ هــ / ١٣٢٦ م) ــ نخبة الدهر في عجائب العصر ، ليبزغ ، ١٩٢٣ م .

صاعد الأندلسي (ت ٤٦٢ هــ / ١٠٦٩ م) ــ طبقات الأمم ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٣ م .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هــ / ١٣٦٣ م) ــ الوافي بالوفيات ، اعتناء شكري فيصل ، دار فرنزشتانر ، شتوتقارت .

الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت ٣٣٥ هــ / ٩٤٦ م) ــ أدب الكتاب ، ط ١ ، شرح وتعليق أحمد حسن لبيج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٤ م .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هــ / ٩٢٢ م)– تاريخ الرسل والملوك ، ط ٢ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هــ / ٩٢٢ م) – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط ٣ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .

طرفة بن العبد البكري – ديوان طرفة بن العبد البكري ، ط ٢ ، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال ، ٢٠٠٠ م .

طفيل بن عوف الغنوي – شعر طفيل بن عوف الغنوي ، ط ١ ، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، ١٩٦٨ م .

ابن طولون ، شمس الدين محمد بن علي ــ فص الخواتم فيما قيل في الولائم ، ط ١ ، تحقيق نزار أباظة ، دمشق ، ١٩٨٣ م .

ابن طيفور الخراساني ، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الخراساني (ت ٢٨٠ هــ / ٨٩٣ م) ــ بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن وأشعارهن في الجاهلية وصدر الإسلام ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الفضيلة ، القاهرة .

عامر بن الطفيل – ديوان عامر بن الطفيل ، ط ١ ، تحقيق هدى مهتوينيش ، دار البشير مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٧ م .

العباس بن مرداس السلمي – ديوان العباس بن مرداس السلمي ، تحقيق يحيى الجبوري ، المؤسسة العامة للصحافة والنشر ، دار الجمهورية ، بغداد ، ١٩٦٨ م .

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هــ / ١٠٧٠ م) ــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، مطبعة نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة .

ابن عبد الحق ، صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩ هــ / ١٣٣٨ م) ــ مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع ، ليدن ، ١٨٥٢ م .

ابن عبد الحكم (ت ٢١٤ هــ / ٨٢٩ م) ــ فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٦١ م .

ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هــ / ٩٣٩ م) – العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد العريان ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٥٤ م .

ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م) – طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وغرائب وأخبار وأسرار ، تحقيق وتعليق محمد إبراهيم سليم ، مكتبة القرآن ، القاهرة .

عبدة بن الطبيب – شعر عبدة بن الطبيب ، تحقيق ودراسة يحيى الجبوري ، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ١٩٧١ م .

ابن العبري ، غريغوريوس الملطي (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) ـ تاريخ مختصر الدول ، بيروت ، ١٩٥٨ م .

عبيد بن الأبرص – ديوان عبيد بن الأبرص ، ط ١ ، شرح أشرف أحمد عودة ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٤ م .

أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م) ـ أيام العرب قبل الإسلام ، ط ١ ، تحقيق ودراسة عادل جاسم البياتي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٨٧ م .

أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م) ـ شرح نقائض جرير والفرزدق ، ط ١ ، تحقيق محمد إبراهيم مور ووليد محمود خالص ، ١٩٩٤ م .

عدي بن زيد العبادي ـ ديوان عدي بن زيد ، جمع وتحقيق محمد جبار المعيبد ، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع ، بغداد ، ١٩٦٥ م .

عروة بن الورد – ديوان عروة بن الورد ، ط ١ ، شرح وتقديم سعدي ضاوي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٦ م .

ابن عساكر ، علي بن الحسين بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) ـ تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق سكينة الشهابي ، دار الفكر ، دمشق .

العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) – الأوائل ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩١٧ م .

العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) – التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ، ط ٢ ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ١٩٩٦ م .

العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) – ديوان المعاني ، دار الجيل ، بيروت .

العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبدالله (ت ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م) – جمهرة الأمثال ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣١٠ هـ .

علقمة الفحل – ديوان علقمة الفحل ، ط ١ ، تقديم حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٣ م .

أبو علي القالي ، إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٦ م) ـ الأمالي في لغة العرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٨ م .

عمرو بن شأس الأسدي – شعر عمرو بن شأس الأسدي ، تحقيق يحيى الجبوري ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف .

عمرو بن قميئة – ديوان عمرو بن قميئة ، تحقيق وشرح خليل إبراهيم العطية ، عالم الكتب ، ١٩٩٧ م .

عمرو بن كلثوم ـ الديوان ، جمع إميل يعقوب ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٩١ م .

عمرو بن معديكرب الزبيدي – شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي ، ط ٢ ، جمع وتحقيق مطاع الطرابيشي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٨٥ م .

عنترة بن شداد – ديوان عنترة بن شداد ، دار بيروت للطباعة والنشر ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٨ م .

ابن فارس ، أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥ / ١٠٠٤ م) – معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ م .

الفاسي ، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م) ــ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، ١٩٥٦ م .

أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) ــ المختصر في أخبار البشر ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م) – معاني القرآن ، ط ٢ ، تحقيق محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني ــ كتاب البلدان ، ط ١ ، تحقيق يوسف الهادي ، عالم الكتب ، ١٩٩٦ م .

الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) ــ القاموس المحيط ، دار الجيل ، بيروت .

الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) ــ المغانم المطابة في معالم طابة ، ط ١ ، تحقيق حمد الجاسر ، دار الرياض ، السعودية ، ١٩٦٩ م .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) – الأشربة ، تحقيق محمد كرد علي ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٤٧ م .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) – الأنواء في مواسم العرب ، ط ١ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٩٥٦ م .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) – تأويل مختلف الحديث ، صححه وضبطه محمد زهدي النجار ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١ م .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) – تأويل مشكل القرآن ، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) – الشعر والشعراء ، عالم الكتب ، بيروت .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) – عيون الأخبار ، تحقيق ثروت عكاشة ، المؤسسة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ م .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) –المعارف ، ط ٦ ، تحقيق ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢ م .

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) –المعاني الكبير في أبيات المعاني ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٤ م .

القرطبي ، عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١ هـ / ١٢٧٢ م) ــ الجامع لأحكام القرآن ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، ١٩٥٢ م .

القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) ــ آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ م .

قصائد جاهلية نادرة ، ط ٢ ، جمع يحيى الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٨ م .

القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ــ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، المطبعة الأميرية ، مصر .

القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ــ قلائد الجمان في التعريف بقبائل الزمان ، ط ١ ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م) ــ نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، ط ١ ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

قيس بن الخطيم الأنصاري– ديوان قيس بن الخطيم الأنصاري ، ط ٢ ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧ م .

ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر الزرعي الدمشقي الحنبلي (ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م) ــ أخبار النساء ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٧٩ م .

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) ــ البداية والنهاية ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت .

ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) ــ تفسير القرآن الكريم ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

كعب بن زهير ــ الديوان ، تحقيق حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٩٤ م .

كعب بن مالك الأنصاري ــ ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تحقيق سامي مكي العاني ، مكتبة النهضة ، بغداد .

ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٦ م) ــ الأصنام ، تحقيق أحمد زكي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة .

ابن الكلبي ، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٦ م) ــ جمهرة النسب ، ط ١ ، تحقيق ناجي حسن ، عالم الكتب ، ١٩٩٣ م .

لبيد بن ربيعة – ديوان لبيد بن ربيعة ، ط ١ ، تقديم حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، ١٩٩٣ م .

لقيط بن يعمر الإيادي – ديوان لقيط بن يعمر الإيادي ، تحقيق خليل إبراهيم العطية ، عالم الكتب ، ١٩٩٧ م .

ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م) – سنن ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .

مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) – الموطأ ، ط ١ ، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٧ م .

الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) ـــ الأحكام السلطانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨ م .

الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) ـــ أدب الدنيا والدين ، تحقيق محمد صباح ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) ـــ أعلام النبوة ، دار الفرجاني ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م) – التعازي والمراثي والمواعظ والوصايا ، تقديم وتحقيق إبراهيم محمد حسن الجمل ، مراجعة محمود سالم ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م) – الكامل في اللغة والأدب ، ط ١ ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٩ م .

المتلمس الضبعي – ديوان شعر المتلمس الضبعي ، ط ١ ، شرح وتحقيق محمد التونتجي ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨ م .

المثقب العبدي ، عائذ بن محصن – ديوان شعر المثقب العبدي ، عائذ بن محصن ، ط ٢ ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .

ابن المجاور (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) ـــ المستبصر ، تصحيح لوفغرين ، ط ٢ ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ م .

المرتضى الزبيدي ، محمد بن محمد بن الحسين (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م) ــ تاج العروس ، تحقيق محمد مرتضى ، المطبعة الخيرية ، مصر ، ١٣٠٦ هـ .

المرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) ــ أشعار النساء ، ط ١ ، تحقيق سامي مكي العاني وهلال ناجي ، عالم الكتب ، ١٩٩٥ م .

المرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م) ــ معجم الشعراء ، ط ١ ، تصحيح كرنكو ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١ م .

المرزباني ، أبو عبد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ ، ٩٩٤ م) ــ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ط ٢ ، طبع محب الدين الخطيب ، القاهرة ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، ١٣٨٥ هـ .

المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) ــ الأزمنة والأمكنة ، دائرة المعارف ، الهند .

المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١ هـ / ١٠٣٠ م) ــ شرح ديوان الحماسة ، نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) – أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان ، ط ٣ ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٨ م .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) – التنبيه والإشراف ، تصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الضاوي ، دار الضاوي للطباعة والنشر والتأليف ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) – مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط ١ ، تحقيق يوسف أسعد داغر ، دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

مسلم أبو الحسين بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م) – صحيح مسلم ، ط ٢ ، دار الدعوة ودار سحنون ، تونس ، ١٩٩٢ م .

المعافري المالقي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م) ـ الحدائق الغناء في أخبار النساء ، تحقيق عائدة الطيبي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا .

المعري ، أبو العلاء أحمد بن عبد الله (ت ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) ـ رسالة الغفران ، ط ٤ ، تحقيق عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، دار المعارف ، مصر .

معن بن أوس المزني – ديوان معن بن أوس المزني ، صنعة نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن ، مطبعة دار الجاحظ ، بغداد ، ١٩٧٧ م .

المفضل بن سلمة ، أبو طالب بن عاصم الكوفي (ت ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م) ـ الفاخر ، ط ٢ ، تصحيح شالس أنبروس استوري ، دار القرماني ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

المفضل الضبي (ت ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م) ـ أمثال العرب ، تحقيق إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، ١٩٨٠ م .

المفضل الضبي (ت ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م) ـ ديوان المفضليات ، شرح أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري ، طباعة كارلوس يعقوب لايل ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٩٢٠ م .

ابن مقبل ، تميم بن أبي – ديوان ابن مقبل ، تميم بن أبي ، تحقيق عزة حسن ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مطبوعات مديرية التراث القديم ، دمشق ، ١٩٦٢ م .

المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) ـــ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط ٢ ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٦ م .

المقدسي ، المطهر بن طاهر (ت ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م) ـــ البدء والتاريخ ، تحقيق كليمان هوار ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٦٤ م .

المقريزي ، أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) ـــ إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع ، ط ٢ ، تحقيق محمود محمد شاكر ، قطر .

ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م) ـــ لسان العرب ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٥٦ م .

المهلهل التغلبي ـــ ديوان المهلهل ، شرح وتحقيق أنطوان محسن النوال ، ط ١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٥ م .

الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨ هـ / ١٠٢٤ م) ـــ مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٩٥٥ م .

النابغة الجعدي ، قيس بن عبد الله – شعر النابغة الجعدي ، قيس بن عبد الله ، ط ١ ، منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية – ديوان النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية ، ط ا ، تقديم وشرح علي بوملحم ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩١ م .

النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م) ـــ سنن النسائي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

النمر بن تولب – شعر النمر بن تولب ، صنعة نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف ، بغداد .

النهروالي ، قطب الدين ــ الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، تحقيق وسستنفلد ، ليبزغ ، ١٨٥٧ م .

النهشلي ، عبد الكريم ــ الممتع في صنعة النشر ، ط ١ ، تحقيق محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٠ م .

نوادر المخطوطات ، ط ١ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ،١٩٩١ م .

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هــ / ١٣٣١ م) ــ نهاية الأرب في فنون الأدب ، طبعة دار الكتب ، القاهرة .

الهمداني ، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت ٣٤٤ هــ / ٩٥٥ م) ــ الإكليل ، ط ١ ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٤١٠ هــ / ١٩٩٠ م .

الهمداني ، لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت ٣٤٤ هــ / ٩٥٥ م) ــ صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٧٤ م .

الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري ــ أسباب نزول القرآن ، تحقيق أحمد صقر ، مصر .

الواقدي ، أبو عبد الله محمد بن عمران (ت ٢٠٧ هــ / ٨٢٢ م) – فتوح الشام ، بيروت ، المكتبة الأهلية ، ١٩٦٦ م .

الواقدي ، أبو عبد الله محمد بن عمران (ت ٢٠٧ هــ / ٨٢٢ م) – المغازي ، ط ٣ ، تحقيق مارسدن جونسن ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٩٤ م .

وهب بن منبه (ت ١١٤ هــ / ٧٣٢ م) ــ التيجان في ملوك حمير ، تحقيق ونشر مركز الدراسات اليمنية ، صنعاء .

اليافعي ، عفيف الدين عبد بن أسعد (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) ــ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ، تحقيق عبد الله الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) ــ معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٥ م .

اليعقوبي ، أحمد بن إسحق (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) – البلدان ، ط ٣ ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٩٥٧ م .

اليعقوبي ، أحمد بن إسحق (ت ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م) – تاريخ اليعقوبي ، دار صعب ، بيروت . .

أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م) ــ الخراج ، ط ٤ ، نشر المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٩٢ هـ .

المراجع الحديثة باللغة العربية والمترجمة إلى العربية

الأفغاني ، سعيد ــ أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، ط ٣ ، دار الفكر ، ١٩٧٤ م .

الألوسي ، شهاب الدين محمود البغدادي ــ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

الألوسي ، شهاب الدين محمود البغدادي ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، إدارة الطباعة المنيرة ، مصر .

أولندر ، جونار ــ ملوك كندة من بني آكل المرار ، ترجمة عبد الجبار المطلبي ، بغداد ، ١٩٧٢ م .

أوليري ، دي لاسي ــ جزيرة العرب قبل البعثة ، ترجمة موسى علي الغول ، وزارة الثقافة ، عمان ، ١٩٩٠ م .

ابن بليهيد ــ صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، ط ٢ ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

بيضون ، إبراهيم ــ الحجاز والدولة الإسلامية دراسة في إشكالية العلاقة مع السلطة المركزية في القرن الأول الهجري ، ط ١ ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٣ م .

بيغوليفسكيا ، بيتا فكتور فتا ــ العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس ، نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، الكويت ، ١٩٨٥ م .

الترمانيني ، عبد السلام ــ الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

الجاسر ، حمد ــ بلاد ينبع لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض .

الجاسر ، حمد ــ أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواقع ، ط ١ ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

الجاسر ، حمد ــ في سراة غامد وزهران ، نصوص مشاهدات انطباعات ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

الجاسر ، حمد ــ في شمال غرب الجزيرة ، نصوص مشاهدات انطباعات ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، ١٩٧٠ م .

الجاسر ، حمد ــ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٣٨٦ هـ .

جمعة ، محمد محمود ــ النظم الاجتماعية والسياسية عند قدماء العرب والأمم السامية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .

حتي ، فيليب ــ تاريخ العرب ، ط ٧ ، دار غندور للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٦ م .

حميد الله ، محمد ــ مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة ، مطبعة لجنة التأليف والطباعة والترجمة والنشر ، ١٩٤١ م .

الحوفي ، أحمد محمد ــ الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، مكتبة دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ١٩٥٠ م .

الحوفي ، أحمد محمد ــ المرأة في الشعر العربي ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٠ م .

خان ، محمد عبد المعين خان ، الأساطير والخرافات عند العرب ، ط ٣ ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ م .

درادكة ، صالح ــ بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام ، مؤسسة شيرين للدعاية والنشر والتوزيع ، عمان ١٩٨٨ م .

دروزة ، محمد عزة ــ عصر النبي وبيئته قبل البعثة ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، ١٩٦٤ م .

الدوري ، عبد العزيز ــ التكوين التاريخي للأمة العربية ، دراسة في الوعي والهوية ، ط ١ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٨٤ م .

دوزي ، رينهارت ــ المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ترجمة أكرم فاضل ، وزارة الإعلام ، مديرية الثقافة العامة ، دار الحرية للطباعة ، مديرية مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٧١ م .

الزركلي ، خير الدين ــ الأعلام ، ط ١٠ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

سحاب ، فكتور ــ إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ١٩٩٢ م .

سميث ، روبرتسن ــ محاضرات في ديانة الساميين ، ترجمة عبد الوهاب علوية ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، القاهرة ، ١٩٩٧ م .

السويدي ، أبو الفوز محمد أمين البغدادي ــ سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦ م .

الشريف ، أحمد إبراهيم ــ مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي القاهرة ، ١٩٦٧ م .

شلبي ، رؤوف ــ المجتمع العربي قبل الإسلام ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٨٠ م .

الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ــ نيل الأوطار وشرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ، ط ٢ ، مصطفى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، ١٩٥٢ م .

صباغ ، ليلى ــ المرأة في التاريخ العربي ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، ١٩٧٥ م .

عاقل ، نبيه ــ تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ، ط ٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٥ م .

عطا الله ، سمير ــ قافلة الحبر ، الرحالة الغربيون إلى الجزيرة والخليج (١٧٦٢ ــ ١٩٥٠) م ، ط ١ ، دار الساقي ، ١٩٩٤ م .

العقيقي ، نجيب ــ المستشرقون ، ط ٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ١٩٥٦ م .

علي ، جواد – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٦ م .

العلي ، صالح ــ محاضرات في تاريخ العرب ، بغداد ، ١٩٦٨ م .

غويدي ، إغناطيوس ــ المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة ، الجامعة المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٠ م .

القاسمي ، ظافر ــ الحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠ م .

القاسمي ، محمد جمال الدين (ت ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م) ــ محاسن التأويل ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

كرستنسن ، آرثر ــ إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب وعبد الوهاب عزام ، القاهرة ، ١٩٥٧ م .

كستر ــ الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية ، ترجمة يحيى الجبوري ، بغداد ، ١٩٧٦ م .

كوبيشانوف ، يوري ميخايلوفتش ــ الشمال الشرقي الإفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقاته بالجزيرة العربية (من القرن السادس إلى منتصف القرن السابع) ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٨٨ م .

موسل ــ شمال الحجاز ، ترجمة عبد المحسن الحسيني ، الإسكندرية ، ١٩٥٢ م .

مؤنس ، حسين ــ أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .

نولدكه ، ثيودور ــ أمراء غسان ، ترجمة بندلي جوزي وقسطنطين زريق ، بيروت ، ١٩٣٣ م .

ولفنسون ، إسرائيل ــ تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، مطبعة الاعتماد ، ١٩٢٧ م .

ويلكن ــ الأمومة عند العرب ، ترجمة بندلي صليبا الجوزي ، كازان ، ١٩٠٢ م .

المراجع الحديثة باللغة الإنكليزية

Crone , Patricia - Meccan Trade and the Rise of Islam , Princeton , 1987 .

Lammens - L Islam , Beyrouth , 1941 .

Smith , Robertson - Kinship and Marriage in Early Arabia , Beirut , 1973 .

الرسائل الجامعية

درادكة ، صالح ــ العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين ، رسالة دكتوراة ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

عدوي ، محمود ــ الملابس عند العرب في شمال ووسط الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام وعصر الرسول (٥٠٠ ــ ٦٣٢) م ، رسالة ماجستير ، الجامعة الأردنية ، عمان ، ١٩٩٨ م .

البحوث المنشورة في دوائر المعارف

Banquis and Guichard - Suk , EI2 .

Bevon - Mohamet and Islam , The Cambridge Medieval History , vol 11 , p 302 - 304 .

Chelhod - Hima , EI2 .

Grohmann - al - Arab , EI2 .

Noldeke - Ancient Arabs , Encyclopaedia of Religion and Ethics , vol 1 , p 659 - 673 .

Rentz - Djazirat al- Arab , EI2 .

Shahid , Irfan - Ghasan , EI2 .

Shahid , Irfan - Hira , EI2 .

Shahid , Irfan - Pre Islamic Arabia , The Cambridge History of Islam , vol 1 , p 3 - 29 .

Watt - Makka , EI2 .

البحوث المنشورة في كتب

العسلي ، خالد ــ الشورى في العرف القبلي ، الشورى في مكة قبل الإسلام ، في كتاب الحضارة الإسلامية ، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، مؤسسة آل البيت ، عمان ، مؤسسة آل البيت ، ج ٥ ، ص ٦٥ ــ ٩١ .

البحوث المنشورة في دوريات

العلي ، صالح أحمد ــ الألبسة العربية في القرن الأول الهجري دراسة أولية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، م ١٣ ، بغداد ، ١٩٦٦م .

Abstract

The Arabs Social Life in Northern and Central Arabia in the Pre-Islamic and Prophet Periods

(500 - 632)

By

Mahmud Adawi

Supervisor

Dr. Ghaida Khaznah Katibi

This thesis aims to study the social life of the Arab in northern and central Arabia in the Pre-Islamic and Prophet Periods . It relies on the information that the sources provide . These sources are various : Koran , Koran interpretation , Traditions of prophet , prophet biography , history sources , geography sources , poetry , literary sources , and language sources .

The first chapter deals with the factors that affected the formation of the society , so the geographical , political , economic and religious factors are studied . The second chapter deals with the social unit which called the tribe , and the relations between the tribes which lead to form confederations , and the distribution of the authorities in the tribe . The third chapter deals with the social classes in the society . The fourth chapter deals with the the formation of the family , so the forms of

marriage , the divorce , and other social aspects of the family are studied . The fifth chapter deals with the habits and traditions in the society . The sixth chapter deals with the means of life , so the residence , food , furniture and clothings are studied .